وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية- ابن رشد

الخدمات العامة في مصر
في العصر الفاطمي

رسالة تقدمت بها الطالبة

سوسم وحيد جبار

إلى مجلس كلية التربية- ابن رشد-جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

باشراف الأستاذ المساعد الدكتور
داود سلمان خلف الزبيدي

1432هـ بغداد
2011م

بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَمَا تُقَدِّمُواْ لأنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

صدق الله العظيم

{البقرة / الآية 110}

إقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الرسالة (**الخدمات العامة في مصر في العصر الفاطمي**) التي قدمتها الطالبة (**سوسم وحيد جبار**) قد جرى تحت إشرافي في جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد- قسم التاريخ, وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

أ.م.د

داود سلمان خلف الزبيدي

المشرف

بناءً على التوجيهات المتقدمة , أرشح هذه الرسالة للمناقشة

أ.م.د

نعمة شهاب جمعة

رئيس قسم التاريخ

الإهداء

إلـــى التـــي رعتنـــي بفـــيض حنانهـــا .... والـــدتي الحبيبـــة عرفانـــاً ووفاءً

إلى الذي غذاني بأخلاقه........... والدي العزيز حباً واحتراماً

إلـــى مـــن ســـاندني وشـــد أزري وتحمـــل عنـــي.......... زوجـــي الحبيب

إلـــى قـــرة عينـــي ومهجـــة فـــؤادي...... أخـــوتي وأخـــواتي شـــكراً وأمتناناً

إلـــى قناديـــــــل عمـــــــــري .... ديســـــــــم , ديمـــــــــــا , ســـــلوان

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا

سوسم

شكر وعرفان

الحمد لله الأول بلا أول قبله, والآخر بلا آخر بعده, الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين, وعجزت عن نعته أوهام الواصفين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين.

بعد أن منّ الله عليّ بانجاز هذه الدراسة, لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور (داود سلمان الزبيدي) لما بذله من جهود كبيرة لقراءة الرسالة ومتابعتها وإخراجها بهذه الحُلة, فجزاهُ الله عني خير الجزاء .

أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ المساعد الدكتور (نعمة شهاب جمعة) لدعمه المعنوي المتواصل طيلة مدة الدراسة .

وعرفاناً بالجهود التي قدمت لي من صفوة فاضلة من الأساتذة الذين تلمذتُ لهم في السنة التحضيرية, وكانوا لي مصدر عون وأمل وتفاؤل ولاسيما الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الحسين مهدي الرحيم والأستاذ الدكتور عبد الرزاق الانباري والأستاذ الدكتور عبد القادر الشيخلي والاساتذة المساعدين الافاضل الدكتور حسين داخل البهادلي والدكتور عبد الكريم خيطان الياسري والدكتورة سعاد الطائي والدكتور محمود اللهيبي, وأدعو الله جل ثنائه إن يحفظهم من كل مكروه.

وشكري الجزيل إلى أساتذة قسم التاريخ في كلية التربية لما قدموه لي من مساعدة ونصح وتزويدي بالمصادر النادرة واخص منهم بالذكر الدكتور غسان عبد صالح والدكتور نذير صبار والدكتور مثنى فليفل والدكتور مشتاق المياحي... أدامهم الله عوناً لكل طلبة العلم .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى زميلي الدكتور ثامر لفته الساعدي على ما قدمه من عون ونصيحة ومساعدة ذللت الكثير من الصعاب التي كانت تعترض الدراسة, فله كل الشكر والامتنان...

تعجز الكلمات عن بيان امتناني لأسرتي وصبرهم الجميل ومساعدتهم لـــي فـــي أصعب مراحل حياتي وفي مقدمتهم زوجي العزيز, إذ كانت مساعدته لـــي الحـــافز الأكبر في مواصلتي الدراسة, كان نعم العون والمعين لكل ما مر بي, وكـــذلك أخـــي سعد الذي شجعني على مواصلة دراستي والى أختي شيرين وتحملها عنـــي أعبـــاء الحياة والى أختي إيمان لما تحملته من عناء في طباعة الرسالة...فلهم الشكر الـــوافر والامتنان العظيم.

وشكري إلى الأخ الدكتور نعيم خليفة والأخ قائد كامل والأخ ظافر أكرم قـــدروي والأخ محمد نجيب والأخ محمد جبار لرفدي بمصادر نادرة أغنت الدراسة كثيراً .

واثني على الجهود المخلصة التي بذلها العاملون في المكتبة المركزية "الوزيرية" والمكتبة المركزية الجامعة المستنصرية ومكتبة الدراسات العليا في قسم التاريخ كلية التربية ابن رشد ومكتبة قسم التاريخ ومكتبة الدراسات العليا لكليـــة الآداب جامعـــة بغداد... جزاهم الله سبحانه عني خير الجزاء

وختاماً أتوجه بدعائي وعرفاني لكل يد مُدت لي من قريب أو من بعيـــد لإتمـــام الرسالة وجزى الله الجميع عني الخير كله فهو ولي النعم والتوفيق.

سوسم

المحتويات

Π

المقدمـــــة

نطاق البحث وتحليل المصادر

الحمد لله عدد خلقه وزنة عرشه, ورضا نفسه, ومداد كلماته, والصـــلاة والســـلام على أكرم خلقه وخاتم الأنبياء المصطفى محمد وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين

وبعد, يزخر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بظهور عدد من الدول, منها الدولة الفاطمية, إذ أسس الفاطميون حضارة عريقة في مصر وأصبح لها أثرٌ تاريخي عبـــر حقبة زمنية تجاوزت القرنين من الزمن، فقد تميزت الدولة الفاطمية بمكانة سامية في تاريخ مصر الإسلامية كونها من الدول التي استقلت استقلالاً حقيقـــاً بخلافتهـــا عـــن الدولة العباسية آنذاك, ولذ فقد شهدت مصر العديـــد مـــن الانجـــازات التـــي عمـــل الفاطميون على تحقيقها ولاسيما إذ ما عرفنا أنَّ حقبة حكم الفاطميين اتسمت بـــالترف والبذخ والحرية والتسامح الديني والثقافي وهذا ينعكس على تقديم الخـــدمات العامـــة للرعية, لذا فقد حُظي تاريخ الدولة الفاطمية بالعديد من الدراسات السياسية والعسكرية والاقتصادية, ولكن موضوع " الخدمات العامة " لم يتناوله المؤرخون على نحوٍ خاص إلا في ثنايا كتبهم العامة التي تعالج على نحوٍ عام تاريخ الدولة الفاطمية وفي صفحات قليلة عند الحديث عن مظاهر الحضارة في ذلك العصر.

ويعد موضوع " الخدمات العامة " من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتدقيق والبحث ولاسيما وان المؤلفات التي تتناول الدولة الفاطمية قليلة ونادر الحصول عليها بسبب ما تعرضت له من التلف والفقدان بعد

نهاية حكمهم في مصر سنة 567هـ/1171م, وعلى الرغم من تلك الصعوبات فقد حاولت أنْ أُلقي الضوء على الموضوعات التي تعرضت لها, وأرجو أن تكون خطوة الدراسة في هذا المجال الذي يعد من الوسائل المهمة التي تتم بها مساعدة الرعية ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم, وهي أيضاً خطوة نحو دراسة جادة لتاريخ المجتمع الإسلامي وتقديم الخدمات فيه, ومدى إسهام الدولة في تلك الخدمات وارتباطها بحياة الناس وانعكاس ذلك على رفاهية المجتمع ومستوى معيشته, فضلاً عن أَنّ موضوع الخدمات العامة برمته ما زالت سعته تتحمل المزيد, وقد حاولت في هذه الدراسة التطرق لموضوعات جديدة في الخدمات لم تعرض سابقاً, وقد وجدت من المهم دراسة الأصول العقائدية التي استمد منها الفاطميون نظريتهم في إدارة الدولة لما في ذلك من أهمية في إبعاد الكثير من الشبهات التي حامت حولهم .

ولقد شملت الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة , بحثت في الفصل الأول عن الأصول العقائدية للفاطميين وأثرها في تطور مفهوم الخدمة العامة, وقد ضم هذا الفصل ثلاثة مباحث, بينت في المبحث الأول معنى الخدمة العامة في اللغة والاصطلاح وورودها في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة, وتتبعت في المبحث الثاني الخدمة العامة من عصر الرسالة إلى العصر العباسي الأول, إذ أنها حقبة متقاربة مع حكم الفاطميين في مصر, استمد الفاطميون من حسناتها وتنظيماتها ما أفادهم في بناء دولتهم وكذلك اعتبارهم من أخطائها, أما المبحث الثالث فقد سلط الضوء على اثر العقيدة الفاطمية في تطور مفهوم الخدمة العامة من خلال انتسابهم إلى البيت (عليهم السلام).

إما الفصل الثاني فقد خصصته للخدمات الدينية والعلمية في مصر, وضم أيضاً ثلاثة مباحث, إذ درست في الأول بناء المساجد وتجديدها وعمارتها وابرز

الخدمات الدينية من خلال المساجد والجوامع والمشاهد الدينية, وكُرس الثاني لبيان خدمات الحج عند الفاطميين سواء كانت عن طريق إرسال الكسوة للكعبة المشرفة أو عن طريق تقديم الأموال والهدايا العينية لقوافل الحج, وخصص الثالث لتوضيح الخدمات العلمية والتي شملت اهتمام الفاطميين بإنشاء دور العلم والمدارس فضلاً عن تشجييع وإكرام العلماء والشعراء .

وسلطت في الفصل الثالث الضوء على الخدمات الاجتماعية والصحية وقد اشتمل على مبحثين, ركز الأول على أثر المرأة الاجتماعي في مصر وقيامها بالخدمة في مجالات مختلفة, وبناء المرافق الخدمية والتي شملت المساكن والخانات والقياسر والحمامات والأسواق والجسور, في حين خصصت الثاني لأهم الخدمات الصحية وظهور الكثير من الأطباء في مصر خلال العصر الفاطمي.

وتناولتُ في الفصل الرابع للمعاملات النقدية وقد اشتمل على ثلاثة مباحث, الأول خصص للحديث عن بيت المال واهم وارداته وكيفية إنفاق هذه الواردات في الخدمات العامة, والثاني ناقش إدارة الدولة المالية والتي تمثلت بقيام العديد من الدواوين التي نظمت هذه الإدارة والتي كان لوجودها الأثر الكبير في تنظيم مدخولات ومصروفات الدولة في الخدمة العامة, وكان الثالث فقد خصص للنقد والسكة عند الفاطميين وكيف أدت النقود أثراً بارزاً في الأزمات المالية التي نتجت عن الكوارث والأزمات الاقتصادية ومعالجة الفاطميين لها.

وقد اشتملت الرسالة على استنتاجات أشارت إلى ما توصلت إليه من خلال البحث.

تحليل المصادر

اعتمدت الدراسة على عدة مصادر ومنها: مصادر التاريخ العام والمصادر البلدانيـــة والرحلات وكتب السير والتراجم وكتب الحديث والفقه وكتب اللغة والأدب, وقد جاء ذكر المصادر حسب الترتيب الزمني .

أ- **مصادر التاريخ العام:** ومن اهم هذه المصادر كتاب تاريخ الانطاكي ليحيى بن سعيد الانطاكي(ت458هـ/1065) أذ فيه معلومات مهمة عن اهل الذمة فـــي مصر افادت الدراسة كثيراً, ومن الكتب المهمة التي احتوت معلومات مهمـــة عن تاريخ الخلفاء الفاطميين (اخبار الدول المنقطعة) لمؤلفه ابن ظافر الازدي (ت613هـ/1226م) و(اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) لمؤلفه ابـــن حمـــاد الصنهاجي(ت626هـ/1228م), و(الكامل في التاريخ) لمؤلفه ابن الاثير, عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت630هـ/1232م) وقد انتفعت الدراسة منه ولاسيما انه تطرق الى كثير من احداث الدولة الفاطميـــة, ومـــن الكتب المهمة التي اغنت البحث كتاب (اخبار مصر) لمؤلفه ابن ميسر, تـــاج الدين محمد بن علي بن يوسف (677هـ/1278م) فعلى الرغم من أنّـــه لـــم يصل الينا سوى الجزء الثاني من الكتاب المهم فقد اورد معلومات مهمة عـــن الدولة الفاطمية في المجالات السياسية والاقتصادية والادارية والدينيـــة, امـــا تاريخ ابن خلدون لابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد (ت808هـــ/1405م) فهو من المصادر المهمة والذي ذكر احداث كل خليفة من الخلفاء الفـــاطميين سواء في المغرب او في مصر , وقد ذكرها على نحوٍ مقتضب لكنه لا يخلـــو من الاشارات المهمة لتاريخ الفاطميين في مصر, اما المقريزي, تقـــي الـــدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م) فقد افادت مؤلفاته الدراسة في الكثير من الامور ولاسيما أَنّ المقريزي قد اعتمد على المصادر الاصلية مـــن العصـــر الفاطمي ومن ابرز مؤلفاته كتاب (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا), وكتاب (اغاثة الامة بكشف الغمة) وكتاب (النقود

الإسلامية), و(البيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب), فضلاً عن كتاب (النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة) لمؤلفه ابن تغري بردى, أبـــي المحاســـن جمال الدين يوسف(ت874هــ/1470م) وهو من الكتب المهمة في تاريخ مصر.

ب- **المؤلفات البلدانية والرحلات:** افادت الدراسة كثيراً من كتب البلدانية والرحلات, وكانت خير عون لي في البحث ولاسيما كتاب (أحسن التقاسيم في معرفـــة الأقـــاليم) لمؤلفه المقدسي البشاري أبي عبد الله محمد بن احمد (ت375هــ/985م) الـــذي زار مصر في العصر الفاطمي فكان شاهد عيان على ابرز الشواهد والأحداث التاريخيـــة, وكتاب (صورة الأرض) لمؤلفه ابن حوقل, ابي القاسم النصيبي(ت367هــ/990م), فضلاً عن كتاب (سفرنامة) لمؤلفه ناصر خسرو, ناصر علوي(481هـــــ/1088م), وهو من اشهر كتب الرحلات اذ جاء وصفه دقيقاً لكل ما مر به في اثنـــاء زيارتـــه لمصر في عهد الخليفة المستنصر بـــالله (427-487هـــــ/1035-1094م) وزود الدراسة بالكثير من المعلومات الهامة, وكتاب (الانتصار بوساطة عقـــد الامصـــار) لمؤلفه ابن دقماق, ابراهيم بن ايدمر العلائي(809هــ/1406م), فهو مـــن المصـــادر المهمة التي افادت الدراسة كثيراً.

ج- **المؤلفات الموسوعية:** ويعد كتاب (نهاية الارب في فنون الأدب) لمؤلفه شـــهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري(ت732هــ/1332م), فهو في غاية الأهميـــة اذ اشتمل على معلومات في معظم الجوانب, أما المقريزي فمن ابرز مؤلفاته (المـــواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار), ويُعدّ القلقشندي, أبو العبـــاس احمـــد بـــن علـــي (ت821هــ/1418م) من ابرز المؤلفين في كتب الخطط والموسوعات الذي هو من المصادر الأساسية في دراسة النظم الإدارية.

د- **كتب التراجم والوفيات:** ومن أهم الكتب التي اعتمدت عليها الدراسة كتب السير والتراجم ومن أهمها كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لمؤلفه ابن خلكان, أبي العباس شمس الدين (ت681هـ/1282م), وكتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي, صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1345م), و, فقد وردت معلومات وتراجم عن معظم الشخصيات الفاطمية التي ورد ذكرها في البحث .

هـ- مصادر السير والعقائد: ويقف في مقدمتها كتاب (دعائم الإسلام) لمؤلفه القاضي النعمان, أبي حنيفة بن محمد بن منصور بن حيون التميمي(ت363هـ/973م) ويتكون من جزئين لم ينشر منها الا الجزء الاول وهو خاص بالشعائر الفاطمية المختصة بالعقيدة والتشريع, والكتاب الثاني(المجالس والمسايرات) وهو مكتوب بعناية كبيرة وجمع فيه أقوال الخلفاء الفاطميين المعاصريين له التي كانت تذكر في المجالس الفاطمية .

أما المراجع الحديثة:

استفاد البحث من عدة مراجع من أبرزها كتاب (تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب) لمؤلفه حسن إبراهيم حسن, وكتاب (الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية) لمؤلفه عبد المنعم عبد الحميد سلطان وكتاب (التاريخ الاجتماعي الفاطمي) لمؤلفه أيوب إبراهيم رزق الله وكتاب (الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد) لمؤلفه أيمن فؤاد سيد, فضلاً عن مؤلفات عدة .

وقبل أَنْ انهي هذا الاستهلال لابد لي أَنْ أوضح أمراً مهماً وهو أنّ كثيراً من الصعاب قد جابهت الدراسة, ولاسيما ما يتعلق بالمؤلفات المباشرة من مصادر ومراجع ودوريات وغيرها, وقد اجتهدت في سبيل الحصول على بعضها, فخرجت

الدراسة على هذا النحو, فأن وفقت فلي الأجر, وان أخطأت فهو خطا المجتهد ولكـــل مجتهد نصيب والحمد لله رب العالمين

سوسم

التنوع العرقي والديني وأثره في تطور الخدمة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي

قسم المقريزي المجتمع المصري على طبقتين هما الطبقة الخاصة والطبقة العامة[1], والطبقة الخاصة تتألف من الخليفة وأسرته وهم يحتلون قمة الهرم الاجتماعي في المجتمع المصري أيام الفاطميين, ثم يأتي الوزراء بالمرتبة التالية من الطبقة الخاصة ولهم مكانة متميزة بين سائر رجال الدولة, ثم الأشراف الأقارب[2] وهم الذين يحملون النسب الفاطمي ويسمون بالأشراف الإسماعليين[3] ثم أصحاب الوظائف العليا وأصحاب الثروات والأملاك وموظفو الدولة وحواشيها[4] .

إما الطبقة العامة فهي الأخرى تقسم على قسمين بياض العامة , وهم الباعة أصحاب البز وهم متوسطوا الحال من التجار أصحاب المعايش[5] ثم الطبقة الخاصة وهم أصحاب الحرف والمهن في الأسواق ومن يحصل على قوت يومه بمهنته أو حرفته وهؤلاء شريحة كبيرة في المجتمع[6], هذا التقسيم الطبقي للمجتمع المصري آنذاك يبين مدى التطور الحضاري الذي وصلته الدولة العربية الإسلامية عامة وفي هذا المكان تحديداً, إذ انه يعكس الحاجة إلى دراسة الشرائح الاجتماعية كافة لبيان

أهمية التداخل الديني والمذهبي والعرقي من خلال الحركة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصري أبان الخلافة الفاطمية (358-567هـ/969-1171م).

---

(1) تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م): إغاثة الأمة بكشف الغمة, تحقيق: صلاح الدين الهواري, المكتبة العصرية، (بيروت 2008م)، ص69.

(2) القلقشندي, أبو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا, المطبعة الأميرية (القاهرة 1916م) ج3, ص496 ؛ المقريزي: الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, تحقيق: محمد زينهم, مديحة الشرقاوي, مكتبة مدبولي (مصر 1988م) ج1, ص386.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى , ج1 , ص395.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى , ج1 , ص409.

(5) المقريزي: إغاثة الأمة , ص69.

(6) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص100.

إن هذا التنوع الطبقي يفرض على ولاة الأمر إتباع سياسات متعددة الاتجاهات لضمان الوحدة الاجتماعية للمجتمع ومن أهم هذه السياسات السياسة الواجب أتباعها في تقديم الخدمة العامة إذ إننا نجد أشكالاً دينية وتنظيمية وسلوكية لا يتوجب الاهتمام بها في المجتمعات ذات الطبيعة الدينية والعرقية الواحدة, إلا إن التنوع يفرض تنوعاً في أداء الخدمة فحاجات المسجد تختلف عن حاجات الكنيسة, وحاجات المسلم غير حاجات القبطي, وحاجات أهل الحضر غير حاجات الأرياف, والدولة مسؤولة عن إشعار رعاياها بأنهم متساوون أمامها في تقديم الخدمة العامة, وهذا ما سنحاول توضيحه لاحقاً من خلال الإشارة إلى أهم تكوينات المجتمع المصري خلال العصر الفاطمي .

التنوع العرقي في مصر خلال العصر الفاطمي :

عناصر السكان

1- العرب

شكل العرب نسبة كبيرة من سكان مصر منذ بدايات الفتح العربي الإسلامي لها سنة (20هـ/641م) إذ بدأت القبائل العربية في الاستقرار والسكن فيها, وتشير المصادر إلى أن مجموع العرب الوافدين مع الجيش العربي هم أربعة آلاف رجل وقيل ثلاثة آلاف وخمسمئة[7] .

لم يكد يقبل عهد الفاطميين حتى تدفق على مصر جماعات من بيوتات قريش من الحجاز وغيره وظهرت جماعات منهم كانت مستقرة بمصر أو متفرقة في نواحيها وكان بعضها في هيأة أحلاف تجمع بيوتاً مختلفة من القريشيين ومواليهم ورحب بهم الفاطميون وهيئوا لهم سبل الاستقرار في ديار مصر سواء من كان منهم على مذهب

---

[7] ابن عبد الحكم, أبو القاسم بن عبد الرحمن (257هـ/870م): فتوح مصر والمغرب, تحقيق عبد المنعم عامر, الهيأة العامة للقصور والثقافة، (القاهرة 1961م)، ج1, ص81 .

الفاطميين أو كان على غير مذهبهم فرحلت إلى مصر طوائف من العمريين من سلالة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) في أيام الخليفة الفائز بنصر الله(*)(549-555هـ/1154-1160م), في وزارة الصالح بن رزيك(**) ومعهم طائفة من بني عدي وبني كنانة بن خزيمة فحلوا محل التكرمة على مباينة الرأي ومخالفة المذهب(8).

نشأت في العصر الفاطمي أحلاف عربية وهي ليست أحلافاً معادية, فالفاطميون على الرغم مما قيل في نسبهم يعتزون بالانتساب إلى قريش ويجرون على سياسة تشبه سياسة العباسيين في الاعتماد على العناصر الغير العربية والاستعانة بهم في حروبهم وفي تدعيم قوتهم وفي استغلال العصبية بينهم أحياناً(9).

(*) الفائز بنصر الله: هو الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الظافر بأمر الله وهو ابن إحدى عشرة سنة وشهور, ابن ظافر, جمال الدين علي (ت613هـ/1216م): أخبار الدول المنقطعة, تحقيق علي عمر, مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة 2001م) ص177؛ المقريزي, اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا, تحقيق محمد عبد القادر, دار الكتب العلمية (بيروت 2001م) ج2, ص274؛ ابن تغري بردى, أبو المحاسن جمال الدين (ت874هـ/1217م): النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة, تحقيق محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية (بيروت 1993م) ج5, ص294

(**) طلائع بن رزيك: الملقب بالملك الصالح, يعد من الملوك أصله من الشيعة الأمامية في العراق قدم العراق فقيراً فترقى في الخدم حتى ولي منية أبي خصيب من أعمال الصعيد المصري وسنحت له الفرصة فدخل القاهرة, فتولى وزارة الخليفة الفائز بنصر الله سنة 549هـ/1145م. ينظر: اليافعي, أبو محمد عبد الله بن اسعد بن سليمان المكي (ت768هـ/1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوداث الزمان, وضع حواشيه خليل المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت 1997م), ج3, ص238؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2, ص254.

(8) عابدين, عبد المجيد: القبائل العربية في إقليم مصر, ملحق بكتاب المقريزي, البيان والأعراب عما في ارض مصر من الأعراب, تحقيق عبد المجيد عابدين, (القاهرة 1969م), ص121.

(9) عابدين: القبائل العربية , ص116.

ولعل أخبار بني هلال مع الفاطميين مثل واضح على ذلك كله, فقد شجع الفاطميون هجرة بني هلال وهم من القبائل القيسية وحلفائهم إلى مصر فأكتظت بهم أنحاء مصر الشرقية ثم أدركتهم شريعة الصحراء فجعلوا يشغبون حتى سمح لأكثرهم بالهجرة إلى بلاد المغرب لمحاربة بني باديس الذين كانوا خصوماً للفاطميين[10].

رأى الفاطميون الفرصة سانحة لاستغلال قوة بني هلال في محاربة بني باديس بالقيروان[*] والمهدية[**] في بلاد المغرب وكان مؤسسها الحقيقي المعز بن باديس قد أعلن انفصاله عن الفاطميين في ذلك الوقت فسير الوزير اليازوري[***] هذه الجموع الهلالية وحلفائهم إلى المعز لقتاله وليثبت هذه الجموع تملأ قضاء الجانب الشرقي من مصر عشرات السنين ووصفهم المقريزي[11]بقوله: "أهل بلاد الصعيد إلى عيذاب", إلا إن ذلك لم يمنعهم من الاعتماد على العناصر غير العربية في أدارة شؤون الدول كذلك لم يمنعهم اضطهاد تلك العناصر, لأنها كانت تؤلف نسبة كبيرة من السكان على الرغم قسم من المواقف التي تنسب لعددٍ من الخلفاء الفاطميين .

---

[10] عابدين: القبائل العربية , ص116.

(*) القيروان: وهي قاعدة البلاد الأفريقية وأم مدائنها وكانت أعظم مدن المغرب نظرا وأكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وكان عقبة بن نافع أول من اختط القيروان واقطع مساكنها ودورها للناس وبنى مسجدها. للمزيد ينظر: الحميري , محمد بن عبد المنعم (كان حياً سنة 866هـ/1334م): الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق أحسان عباس ,ط2 , مكتبة لبنان , (بيروت 1984م) , ص460.

(**) المهدية: مدينة كبيرة في تونس مثلث قاعدة بحرية مهمة للانطلاق منها لمصر والاندلس،بناها الخليفة الفاطمي المهدي و احاطها بسور، انشاءوا بها صناعة السفن والدور، والقصور، والدواوين: قال: "اليوم أمنتُ على الفاطميات ينظر: المقريزي: افتتاح الدعوة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت 2005م)، ص199.

(***) اليازوري: هو أبو محمد اليازوري, وهو فلسطيني الأصل من قرية يازور, تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله سنة 441هـ/1049م, وقد زيد في ألقابه الناصر للدين غياث المسلمين وبلغ من قوة نفوذه أَنْ كتب اسمه على الطراز على السكة, توفي سنة 450هـ . للمزيد ينظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج2, ص60 ؛ المناوي: محمد حمدي, الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي, دار المعارف, (مصر لا.ت), ص257.

[11] البيان والأعراب , ص8- 9.

ومن القبائل العربية التي استقرت في مصر قبيلة ربيعة, وكان من رؤسائها أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي ويعرف بالأهوج المطاع وهو الذي ظفر بابي ركوة الخارج على الخليفة الحاكم بأمر الله(*)(386-411هـ/996-1020م) وقبض عليه فأكرمه الخليفة الحاكم بأمر الله ولقبه كنز الدولة, وهو أول من لقب بذلك منهم ولم تزل الأمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة حتى كان آخرهم[12].

وكان بنو قُرة الجذاميون يسكنون البحيرة وقد انضموا إلى أبي ركوة سنة 397هـ/1006م وعندما قبض الفاطميون عليه تفرق عنه بنو قُره فتركهم الفاطميون وشانهم فعاد الكثير منهم إلى مساكنهم بالبحيرة وعاودوا الشغب وأحسوا من جانب الدولة تراخيا فوثبوا على الإسكندرية وما حولها واستولوا عليها, ولما زاد شغبهم هاجمهم الفاطميون سنة442هـ/1050م فأعتصموا بالجيزة وأوقعوا بالجيش الفاطمي الهزيمة في بادئ الأمر, فعظم الأمر على الخليفة المستنصر بالله(**) فأوعز إلى

(*) الحاكم بأمر الله: هو أبو علي المنصور, الملقب بالحاكم تولى الحكم بعد وفاة والده العزيز وبعهد منه ويمكن تقسيم مدة حكمه على قسمين الأول من عام 386هـ إلى سنة 390هـ حيث كان فيها صغيرا لا يفقه من شؤون الحكم شيئا وكان الحكم تحت سيطرة الأوصياء والقادة والقسم الثاني من عام 391هـ إلى سنة 411هـ وفيه استقل الحاكم بالشؤون العامة والسلطة وكان هو الحاكم الفعلي.للمزيد ينظر: القضاعي, أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت454هـ/1046م): عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي, تحقيق نشأت بن كمال المصري, البدر للنشر والتوزيع, (مصر 2008م), ص612؛ الأنطاكي, يحيى بن سعيد (ت458هـ/1065م): تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق المعروف بصلة تاريخ أوتيخا, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, جروس برس, طرابلس, (لبنان 1990م), ص237؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص119؛ الصنهاجي, أبو عبد الله محمد (ت626هـ/1226م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم, تحقيق جلول احمد البدوي, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, لا.ت, ص57 ؛ الصفدي, الحسن بن أبي محمد عبد الله (ت717هـ/1317م): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيره من ولي من مصر من الملوك, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, المكتبة العصرية, (بيروت 2003م), ص118؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص325؛ طقوش, محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام, ط2, دار النفائس, (بيروت 2007م), ص259.

(12) المقريزي , البيان والأعراب , ص9.

(**) المستنصر بالله هو أبو تميم معد ولد الظاهر لإعزاز دين الله تولى مصر يوم وفاة والده وله من العمر سبع سنين ولد بالقاهرة سنة 420هـ وتوفي سنة 487هـ ومدة خلافته ستين سنة وأشهر وهي أطول مدة حكم بها وسبق بها غيره من الخلفاء. للمزيد ينظر: ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد, ==

جموع من قبيلة "سنبس" و"طيء" و"كلب" لمحاربة بني قُره في البحيرة وانهزم بنو قرة بعد قتال عنيف في سنة 443هـ/1051م.

ورأى الفاطميون إن يطردوهم من مساكنهم بالبحيرة فنقلوا إليها بعض بطون سنبس, وربما أراد الفاطميون إن يكافئوا جماعات سنبس على موقفهم في محاربة بني قرة كونها غير مستقرة تماماً في مواطنها بفلسطين والداروم قريباً من غزة[13], وكان من حلفاء سنبس عذره ومدلج وما يجاورهم وهم فرقة من كنانة بن خزيمة كان مقدمهم في خلافة الفائز بنصر الله ووزارة الصالح طلائع بن رزيك[14] .

أما بنو أمية فمنهم ولد أبان بن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وولد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وبنو مسلمة بن عبد الملك وبنو حبيب بن عبد الملك بن مروان ومنهم المروانية أولاد مروان بن الحكم, ومرت الدولة الفاطمية وهم بأماكنهم لم يروع لهم سرب ولم يكدر لهم شرب[15] , وهذا مما يؤكد أَنّ الفاطميين كانوا رجال دولة اعتمدوا في سلوكهم مع الرعية على القرآن والسنة النبوية الشريفة والمنهج الذي اعتمدوه والقائم على سيرة آل البيت (عليهم السلام) على العكس من الإشارات التي تشير إلى تعصبهم, إذ إنهم لم يتتبعوا أحفاد الأمويين بحجة قتلهم آل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كما فعل العباسيون من قبل[16] .

2- البربر

== ص70؛ الصفدي: نزهة المالك, ص120؛ ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر), دار الكتب العلمية, (بيروت 1992م), ج4, ص74؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج5, ص3؛ السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, (لبنان 2004م), ج1, ص466.

[13] عابدين: القبائل العربية , ص116-117.

[14] المقريزي: البيان والأعراب , ص10.

[15] المقريزي: البيان والأعراب , ص43.

[16] الطبري, محمد بن جرير(ت310هـ/623م): تاريخ الرسل والملوك, دار الكتب العلمية, (بيروت 1407هـ), ج5 , ص450

تعود هجرة المغاربة إلى مصر منذ أقدم العصور بسبب الطريق البري الذي يربط مصر ببلاد المغرب العربي, وعندما توجه الفاطميون إلى مصر واستقروا سنة 358هـ/ 969م وفدت معهم جماعات كبيرة من قبائل البربر في جيشهم[17], ومن هذه الجماعات الكتاميون[18],والزويليون[19],والصنهاجيون[20], ومن القبائل والموالي الباطليون[21], والبرقيون[22], والصقالبة[23] فضلاً عن الروم ونزحت قبيلة هوارة ولاسيما إلى الدلتا

---

(17) **المقريزي: البيان والأعراب , ص58.**

(18) **الكتاميون: وهم أقوام جاءت من القيروان حضروا لخدمة المعز لدين الله وعددهم 20 ألف فارس وكانوا يمثلون طوال الحقبة العنصر المتفوق داخل الجيش الفاطمي ينظر: القاضي النعمان أبو حنيفة بن حيون (ت363هـ/ 974م): المجالس والمسايرات, تحقيق الحبيب الفقي وآخرون, المطبعة الرسمية, (تونس 1978م), ص486؛ إقبال, موسى محمد: دور قبيلة كتامة في الدولة الفاطمية, مطبعة الجامعة, (القاهرة 1974م), ص119.**

(19) **الزويليون: ينتسبون إلى مدينة زويلة قاعدة إقليم فزان بالقرب من بلاد الكانم (تشاد الحالية) وكانوا يؤلفون داخل الجيش الفاطمي فيلقاً خاصاً وكانوا يمثلون العبيد السود داخل الجيش الفاطمي وجاءوا بصحبة القائد جوهر سنة 358هـ/969م عند دخوله مصر وقد سميت باسمهم حارة زويلة بعد بناء جوهر القاهرة, ينظر: خسرو, ناصر (ت481هـ/1088م): سفرنامة, رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري, نقله إلى العربية يحيى الخشاب, تصدير عبد الوهاب عزام, ط2, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1993م), ص114؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص402؛ المقريزي: الخطط, ج2, ص33؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة, ج4, ص52؛ هوبكنز, ج ف ب: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى, تعريب أمين توفيق, الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر, (لا.م 1980م), ص140-141.**

(20) **الصنهاجيون: من قبائل البربر وهي أخرها عدداً ولا يخلو بلداً من أقطار المغرب من بعدهم وزعم الناس أنهم الثلث من أمم البربر وهم فرعان صنهج الجنوب مؤسسة دولة المرابطين وصنهاج الشمال مؤسس دولة بني زيري ينظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص175.**

(21) **الباطليون: هم جماعة من المغاربة قدموا مع المعز لدين الله وسموا بهذا الاسم عندما قسم الخليفة المعز لدين الله العطاء بين الناس وجاءوا يطالبون بالعطاء فقيل لهم فرغ ما كان حاضر, فقالوا رحنا في الباطل وسموا بالباطليون, المقريزي: الخطط , ج2, ص383.**

(22) **البرقيون: هم جماعة كبيرة من أهل برقة صحبوا الخليفة المعز لدين الله عند مجيئه إلى مصر وسموا بالبرقيين نسبة إلى منطقتهم برقة. للمزيد ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص204 ؛ المقريزي: الخطط, ج2, ص391.**

وهي بطن من بطون قضاعة من القبائل القحطانية[24] , قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم في بلاد المغرب ولاسيما قبيلة كتامة[25] التي تعد العمود الفقري للجيش الفاطمي بقيادة جوهر الصقلي[26] قائد الخليفة المعز لدين الله[27] .

---

(23) **الصقالبة: من الصقلاب وهو الرجل الأبيض وقيل الرجل الأبيض , وقيل الرجل الأحمر وقيل الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعر يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم ويعدون العنصر الذي لا يقل أثراً عن الكتاميين إذ معظمهم من بلاد البلقان. ينظر: الحموي, ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م): معجم البلدان, دار الفكر, (بيروت لا.ت), ج3, ص416؛ ابن منظور, محمد بن مكرم, (ت711هـ/1310م): لسان العرب, دار صادر, (بيروت لا.ت), ج1 , ص531.**

(24) **القلقشندي: صبح الأعشى , ج , ص363.**

(25) **القاضي النعمان: المجالس والمسايرات , ص486.**

(26) **جوهر الصقلي: هو جوهر بن عبد الله الرومي باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر كان موالي المعز لدين الله , سيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدي فدخلها سنة 358هـ/968م ومكث بها حتى قدوم المعز للقاهرة سنة 362هـ/972م للمزيد ينظر: الحبال أبو إسحاق بن سعيد بن عبد الله (ت482هـ/ 1089م): وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم, تحقيق إبراهيم صالح, دار البشائر, (دمشق 1995م), ص58؛ ابن خلكان, أبو العباس شمس الدين احمد محمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق إحسان عباس, , دار صادر, (بيروت 1977م), ج5, ص118؛ الجبرتي, عبد الرحمن بن حسن (ت1237هـ/1832م): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار, دار الجبل, (بيروت لا.ت), ص25–26؛ حسن, علي إبراهيم: تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي, ط2, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1963م), ص24.**

(27) **المعز لدين الله: أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي بن عبد الله رابع الخلفاء الفاطميين ولد بالمهدية سنة319هـ/952م, ملك مصر سنة 358هـ/968م وانتقل إليها سنة362هـ/972م توفي سنة365هـ/ 975م للمزيد ينظر: ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1120م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا, مراجعة وتصحيح نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت), ج14, ص215؛ ابن العبري, أبو الفرج غريغوريوس بن أهارون (ت685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول, تحقيق خليل المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت 1997م), ص148؛ ابن حماد: أخبار ملوك بني == عبيد, ص48–50؛ ابن الآبار, محمد بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1259م): الحلة السيراء, تحقيق حسين مؤنس, ط2, دار المعارف, (القاهرة 1985م), ص391؛ الذهبي, محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م): العبر في خبر من غبر, تحقيق صلاح الدين المنجد, ط2, مطبعة حكومة الكويت, (الكويت لا.ت), ج2, ص332؛**

ابن عذارى, أبو محمد بن محمد المراكشي (ت القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (تاريخ افريقية والمغرب

واستقر المغاربة في مصر وقد ازداد عددهم عند قدوم الخليفة المعز لدين الله سنة 362هـ/972م إذ اصطحب معه كبار واعيان المغاربة وكان يثق في شيوخ كتامة التي كانت من أهم القبائل وأكثرها مكانة عند الخلفاء الفاطميين ولاسيما الخليفة المعز لدين الله حيث كان لا يسعد في أوقات الاحتفالات إلا بحضورهم وكان كثير السؤال عنهم[28], وكان الخليفة المعز لدين الله يعدهم السند القوي له حيث اعتمد عليهم ويأخذ برأيهم في كل ما يتعلق بأمور الدولة والدليل على ذلك استدعائه لهم لأخذ رأيهم في الجهاد, وغالبا ما كان يشعرهم أنهم أصحاب الرأي والفصل في شؤون البلاد وذكر أنهم كانوا شديدي الولاء للدولة الفاطمية ويتخذون من المذهب الإسماعيلي مذهباً لهم, وكان إلى جانب قبيلة كتامة قبائل عربية أخرى منها زويلة وبرقة والشعرية ولواتة وغيرها[29].

كانت الدولة الفاطمية في أول أمرها تعتمد على البربر على اختلاف طوائفهم ولاسيما في الجانب العسكري ضمن تنظيمات الجيش, وان سيطرتهم وعدم إعطائهم الفرصة لأي عنصر آخر يعود للثقة التي كان يوليها الخلفاء الفاطميين الأوائل وكذلك لسلوكهم داخل الجيش وفي الحياة العامة مما جعل الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م) يفكر ملياً في ضرورة الاعتماد على غيرهم ولاسيما عندما اخذ الخليفة يشعر بالخطر من سيطرة الكتاميين على أمور البلاد, فقد استعان بالسودان في جيشه واعتمد عليهم في تنفيذ مخططه[30] .

3- السودان

يشكل السودان العنصر المهم في الدولة الفاطمية ويعود ظهورهم إلى أيام احمد بن طولون (254-292هـ/868-905م) الذي استكثر من العبيد في جيشه حتى بلغ عددهم ما

من الفتح إلى القرن الرابع الهجري), تحقيق ج.س, كولان وليفي بروفنسال, ط3, دار الثقافة, (بيروت 1983م), ج3, ص362-363؛ ابن العماد الحنبلي, أبو الفتح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت), ج2, ص40؛ سرور, محمد جمال الدين: النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة , ط3, دار الفكر العربي, (بيروت 1964م), ص77.

(28) المقريزي: الخطط , ج2 , ص388.

(29) المقريزي: الخطط , ج2 , ص370.

(30) المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1 , ص325.

يقارب أربعين ألف[31], إما في الدولة الإخشيدية فوجودهم يعود إلى أيام كافور الإخشيدي فكانوا يجلبون من السودان عن طريق تجارة الرقيق ولاسيما من قبيلة المصامدة التي كانت تمد الجيش الفاطمي بأعداد كبيرة من الجنود[32], إذ سكن السودان حارات خاصة بهم مثل حارة الحسينية والفرحية والميمونية والريحانية وكان للريحانية عدة حارات[33] لا يدخلها غيرهم وفيها يمارسون حياتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم.

كان للسودان أثرٌ كبيرٌ وخطرٌ في حياة الدولة الفاطمية وقاموا بالمؤامرات الكثيرة ولاسيما في الجانب السياسي والاجتماعي واقتصرت مهمتهم على الخدمة في الجيش الفاطمي[34] وكانوا يعرفون باسم عبيد الشراء[35], وقيل إن عددهم ثلاثون ألف فارس[36] وقد كثر عددهم في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وذلك لأن أم الخليفة المستنصر كانت جارية سوداء عملت على شرائهم وجعلت لهم طائفة منهم وحرصت على رعايتهم والعناية بهم وبسطت لهم الرزق[37].

قوي أمر السودان في الدولة الفاطمية لتقريب الخلفاء لهم في الحياة العامة بوجه عام والعسكري بوجه خاص ففي عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله[38](411-427هـ/ 1020

---

[31] المقريزي: الخطط , ص409 ؛ الساعدي, ثامر: عناصر السكان في مصر الفاطمية والعلاقة بينهم, مجلة الأستاذ, جامعة بغداد, كلية التربية, ابن رشد, العدد 96, لسنة2009م, ص351.

[32] سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها ومظاهرها الحضارية, مكتبة النهضة المصرية,(القاهرة لا.ت), ص102.

[33] حسن, حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ومكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1964م), ص88.

[34] المقريزي: الخطط , ج2 , ص409.

[35] المقريزي: الخطط , ج2 , ص396.

[36] خسرو, ناصر: سفرنامة , ص110.

[37] خسرو, ناصر: سفرنامة , ص129.

[38] الظاهر لإعزاز دين الله: أبو هاشم علي الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة سنة 395هـ/1004م. ينظر: ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد, ص68 ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون, ج4, ص73 ؛ ابن أبي دينار, أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت1101هـ/1681م): المؤنس في أخبار افريقية وتونس, ط3, دار المسيرة, (لبنان 1993م), ص86.

–1035م) قويت شوكتهم على نحو كبير وذلك لأن زوجة الخليفة الظاهر كانت جارية سوداء في بيت أبي سعيد التستري اليهودي فأخذها منه الظاهر وولدت له المستنصر بالله[39]

4– الأرمن

لم يكن المجتمع المصري يحتوي على عنصر الأرمن, إذ إن وجودهم ارتبط بوجود بدر الجمالي[40] والي عكا وكانوا هم العنصر الأساس في جيشه الذي آتى بهم من بلاد الشام اثر الشدة العظمى التي أصابت مصر أيام الخليفة المستنصر بالله, بدأ بدر الجمالي بتنظيم الأحوال والسيطرة عليها وبسط الهدوء في الأقاليم الفاطمية كافة وقد اتخذ له ولجنده الأرمن حارة برجوان للإقامة بها ومنذ ذلك الوقت اخذ الأرمن يشكلون عنصراً من عناصر المجتمع المصري الفاطمي .

عندما سار بدر الجمالي متوجهاً إلى مصر الفاطمية كان هدفه مساندة الخليفة المستنصر بالله ضد الصراعات التي شهدها المجتمع المصري نتيجة الصراعات بين المغاربة والأتراك من ناحية وبين السودان من ناحية أخرى وتفرد الأتراك بشؤون البلاد لذا جاء بالعنصر الأرمني كي يقضي على تلك العناصر وعرفوا بالمشارقة تميزاً لهم عن العناصر الأخرى[41]

5– الأتراك

بدا أمر الأتراك بالظهور عنصرا مهما في زمن احمد بن طولون الذي جلبهم من بلاد ما وراء النهر وبأعداد كبيرة جداً وسرعان ما تزايد عددهم في منتصف القرن الثالث الهجري في صفوف الإخشيد بحيث استعملهم كافور الإخشيدي في الجيش, سكن الأتراك مدينة القاهرة واتخذوا لأنفسهم حارات نسبت لهم ولاسيما في اتجاه الجامع الأزهر وجانبه وعرفت بحارة الأتراك إذ يذكر المقريزي[42]: "وقد تزايد شأن تلك الحارة بعد قدوم افتكين واستقراره بمصر خصوصاً بعد إن جلب معه أربعمئة من ضباطه واستقر بحارة الديلم التي أصبحت فيما بعد تعرف بحارة الأتراك".

---

[39] المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج2 , ص266.

[40] ابن الصيرفي, أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي (ت542هـ/1148م): الإشارة إلى من نال الوزارة, تحقيق عبد الله مخلص, طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي, (القاهرة 1933م), ص55–56 ؛ ابن خلدون: العبر, ج4, ص77 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج2, ص136.

[41] المقريزي: الخطط , ج2 , ص387.

[2] المقريزي: الخطط، ج2، ص387.

ظهر أمر الأتراك في الدولة الفاطمية خلال عصر الخليفة العزيز بالله(*)(365-386هـ/975-996م) وعمل على استكثارهم وتقريبهم إليه فتكاثرت أعدادهم بصفة خاصة في المؤسسة المتمثلة بالجيش الفاطمي(43), ويبدو أن الخليفة العزيز بالله أراد أن يجعل من الإكثار للعنصر التركي القوة الضاربة ضد الخارجيين والمتآمرين والناقمين على الخلافة الفاطمية من جهة وتعزيز الجانب العسكري بعنصر يمتاز بالقوة من جهة أخرى ناسياً بذلك أَنّ العناصر الأجنبية غالباً ما تثير الاضطرابات والفتن وأحداث الفوضى فقد أشار احد المؤرخين قائلا: "كان الخليفة العزيز بالله أول خليفة فاطمي نسج على منوال العباسيين ونهج نهجهم الخاطئ في اعتماده على العساكر التركية فكان هياج هذه العساكر على أولياتها واقتتالها فيما بينها ونزاعها مع الخليفة من البربر من أهم العوامل التي أدت إلى انحلال الأمر وسقوط المملكة"(44).

6- الأكراد

شهدت مصر وجود عناصر كثيرة ولاسيما في العصر الفاطمي إذ استقرت وتعايشت مع العناصر الأصلية للسكان, ومن تلك العناصر (الكرد) ويرجع السبب في ذلك الاستقرار إلى الأوضاع التي كانت تعيشها مصر إذ صراع الوزراء وتبديل آخرين, فعندما استنجد الوزير شاور بن مجبر السعدي(45) بعد توليه الوزارة في خلافة العاضد بالله(*) سنة 558هـ/1163م بالسلطان العادل نور الدين محمود حاكم دمشق ضد منافسة أبي الأشبال ضرغام بن عامر

(*) العزيز بالله: هو أبو المنصور النزار بن المعز, ولد بالمهدية سنة أربع وأربعين وثلثمئة, وبلغت الدولة الفاطمية في عهده أقصى درجات الازدهار والرخاء, وجنى العزيز ثمار ما غرس آباؤه وأجداده . للمزيد ينظر: ابن الجوزي: المنتظم, ج14, ص386؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص109؛ ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد, ص55؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص283؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج14,ص386.

(43) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص387؛ الساعدي, ثامر: عناصر السكان, ص352.

(44) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص387.

(45) ابن خلكان: وفيات الأعيان, ج2, ص443 ؛ المقريزي: الخطط , ج1, ص338.

(*) أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله بويع له في سنة 555هـ/1160م, وهو آخر الخلفاء الفاطميين وتميز عهده بالصراع بين الوزراء, ثم التنافس بين الصليبين والزنكيين من اجل السيطرة على مصر. للمزيد ينظر: ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص180؛ ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد, ص77 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج2, ص288؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة , ج5, ص319.

المنذري مقدم الأمراء البرقية[46] استجاب نور الدين إلى طلب شاور مرسلاً إلى مصر جيشاً يقوده أسد الدين شيركوه[47] سنة (559هـ/1164م) .

وبذلك حقق شاور ما أراد[48] وعاد إلى الوزارة[49] وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى أنّ الحملة الثانية لشيركوه على مصر حدثت (سنة562هـ/1167م) والثالثة سنة (564هـ/1169م) والتي صحب فيها ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي إلى مصر .

إن ما قدمناه من إيجاز في الإشارة إلى الحملات العسكرية لمصر هي من اجل أن نتوصل إلى الظروف التي جاءت بالعنصر الكردي إلى مصر وبأعداد كبيرة صحبت الحملات العسكرية ولاسيما إن صلاح الدين هو من الكرد, لذلك إن الأكراد الوافدين إلى مصر عن طريق الحملات العسكرية والذين دخلوا مصر عن طريق المتاجرة وغيرها قد أضيف عددهم إلى الكرد الموجودين في مصر على الرغم من قلة عددهم.

استقر الأكراد في مصر وتمكنوا من الانتشار سريعاً في مدن مصر والقاهرة والإسكندرية والفسطاط وانفردوا بأحياء نسبت إليهم شأنهم شان العناصر الأخرى التي نسبت إليهم حاراتهم حيث سميت الحارة أو الحي الذي سكنه الأكراد باسم حارة البستان[50], والتي عرفت بحارة الأكراد وعلى الرغم من الأعداد الضئيلة لأكراد مصر زمن الفاطميين والذي يقدر عددهم خمسة آلاف كردي عاشوا في مصر[51] إلا أنهم أدوا أثراً رئيساً في مصر خلال العصر الفاطمي .

---

(46) **المقريزي: الخطط ,ج1 , ص338.**

(47) **شيركوه: هو أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم صلاح الدين الأيوبي وكان مقدم العساكر لقوات نور الدين, جاء مع شاور لتمكينه ضد ضرغام وتولي وزارة العاضد بالله سنة 564هـ/1168م, وأقام فيها شهر وتوفي في العام نفسه. للمزيد ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان, ج2, ص479؛ أبو شامة, شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت626هـ/1228م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق محمد علي, مطبعة دار الجيل, (بيروت 1956م), ج1, ص319؛ ابن الأثير, محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ, دار صادر, (بيروت لا.ت), ج11, ص342.**

(48) **المقريزي: الخطط ,ج1 , ص238.**

(49) **عمل شاور بالتعاون مع الإفرنج على أخراج جيش شيركوه من مصر وتم له ذلك. ينظر: ابن الأثير: الكامل, ج11 , ص304 ؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ,ج1 , ص55.**

(50) **المقريزي: الخطط ,ج2 , ص395.**

(51) **ابن المقفع, ساويس أسقف الاشمونيين: سيرة الآباء البطاركة , (القاهرة 1948م), مج2, ص60.**

7ـ السرائيين

وهم مشاة في الجيش الفاطمي جاءوا من كل ولاية، لهم قائد خاص، يتولى رعايتهم، كل منهم يستعمل سلاح ولايته ، وعددهم عشرة آلاف رجل[52].

8ـ البدو

وهم من اهل الحجاز استخدمهم الفاطميين في جيشهم وكلهم يجيدون حرب الرماح، قيل عددهم خمسون الف فارس[53].

---

(5) خسرو، ناصر: سفر نامة، ص110.

(1) خسرو، ناصر: سفر نامة، ص110.

التنوع الديني في مصر خلال العصر الفاطمي

1- المسلمون (السنة , الشيعة)
2- الأقباط
3- اليهود

1- أهل السنة

سادت في مصر قبل مجيء الفاطميين مذاهب إسلامية مماثلة لما وجد في العصر العباسي, وكانت غالبية المصريين قبل مجئ الفاطميين تعتنق الإسلام على نهج أهل السنة, وكان المذهبان المالكي والشافعي هما الشائعان, المالكي, وهو مذهب مالك بن انس(ت179هـ/795م) والشافعي هو مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي(ت204هـ/ 819م) هما أكثر المذاهب انتشاراً داخل المجتمع المصري وكان من يذهب إليهما يتولى القضاء[54] وأخذ الفاطميون ينشرون مذهبهم (المذهب الإسماعيلي) بين أهل البلاد داخل المجتمع المصري الأمر الذي جعلهم يدخلون مصر بعد موت كافور الإخشيدي سنة 358هـ/969م حين بدأت الفوضى تعم البلاد[55].

نظر المصريون إلى الدولة الفاطمية وهي ما تزال في بلاد المغرب نظرة النظام السياسي القوي العادل الذي من شانه أن يحمي البلاد من هاوية التدهور الاقتصادي والاجتماعي ولم ينظر لها على أنها ذات مذهب مخالف لمذهبهم وسيكون المذهب الأساس والرئيس لمصر بعد دخول الفاطميين إليها, وهذا ما يؤكد وحدة المسلمين تجاه معالجة الفوضى السياسية الناتجة عن الضعف فأي قوي من أبناء الأمة هو قوة لها.

إما موقف أهل السنة من قدوم الفاطميين فقد تبين من خلال إعلان الموقف العام وهو اتخاذ موقف موحد تجاه الفاطميين الذين أصبحوا على مشارف مدينة الفسطاط فقد تجمع وفد رسمي مكون من فئات المجتمع المصري من قواد ورجالات الدولة ومن القضاة وكبار الموظفين فضلاً عن مختلف طبقات الشعب الذي انضم إليه التجار

---

(54) **المقريزي: الخطط ,ج2 , ص334 ؛ سرور: الدولة الفاطمية , ص79.**

(55) **ابن الأثير: الكامل, ج7 , ص30.**

والصناع, وكان على رأس هذا الوفد الشريف العلوي أبو جعفر مسلم الحسيني[56] والقاضي أبو طاهر الهذلي[57] مما يؤكد ابتعاد المصريين عن التمييز بالمذاهب .

أسفرت المفاوضات عن كتاب "أمان"[58] عقده جوهر الصقلي على اختلاف الطوائف يعدهم فيه بالمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم .

2- الشيعة

لا نريد الخوض في معرفة أصول الشيعة واصل التشيع وما تعني كلمة "شيعة", لأن ذلك ليس له علاقة في دراسة موضوع البحث ولكن الذي يهمنا هو معرفة هذه الفئة من الشعب المصري والتي كان وما يزال لها الثقل الكبير في مصر ولاسيما في عهد الدولة الفاطمية والأثر الكبير الذي أدته في مصر .

لم يتجه الفاطميون بعد دخولهم مصر إلى ترسيخ العقيدة الفاطمية في مصر بالقوة بل كان هناك نوع من التعايش السلمي بين فئات الشعب كافة[59] وإنما ما حصل بالفعل إن معظم المصريين بدأت الأمور تتوضح لهم بعد دخول الفاطميين مصر في معرفة التشيع وأصول التشيع والمذهب الفاطمي, وذلك من خلال حالة الوعي والطمأنينة التي أشاعها الفاطميون عند تعاملهم مع أهل مصر بعد دخولهم إليها فضلاً عن حالة الاستقرار السياسي والأمني الذي شهدته البلاد .

---

(56) هو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى, وسمي بأبي حنزابة وكان وزيراً للإخشيديين وعندما استقل كافور بملك مصر بقي في الوزارة إلى أنْ توفي كافور سنة 357هـ/967م, وقد تزوج من ابنة يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله والعزيز بالله وكان ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وتوفي في مصر سنة391هـ/1000م, الصفدي, صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1345م): الوافي بالوفيات, تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى, دار أحياء التراث العربي, (بيروت 2000م), ج11, ص92- 95.

(57) أبو طاهر الهذلي, نزيل مصر وقاضيها ولي قضاء واسط وبغداد وقضاء دمشق ثم قضاء مصر وكان حسن البديهة شاعراً حاضر الحجة عارفاً بأيام الناس وكان غزير الحفظ , توفي سنة367هـ/977م, ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ,ج2 , ص32.

(58) ينظر: ملحق رقم(1).

(59) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص341.

بعد دخول الفاطميين مصر واتخاذهم من القاهرة عاصمة لانطلاق حكمهم الذي دام قرابة قرنين من الزمان وأصبحت مقراً لأنصارهم ودعاة مذهبهم[60] فضلا عن إنشاء أول مسجد في مصر يؤدون فيه الشعائر والطقوس الفاطمية, فقد كانت في مصر مساجد تابعة من ناحية الولاء إلى الدولة العباسية التي كان مقرها في بغداد والتي هي مغايرة للمذهب الفاطمي الذي عمل فيه الفاطميون في الترويج لمذهبهم في البلاد المصرية كافة بشتى الوسائل منذ وقت مبكر مستعملين في ذلك أساليب الترغيب عددٍ من الناس على اعتناق هذا المذهب[61].

أبدى الخلفاء الفاطميين من جانب آخر وسيلة أخرى من وسائل الجذب إلى المذهب الفاطمي وهي استعمال روح التسامح مع من هم من غير المذهب الفاطمي وخير دليل على ذلك ما قام به الخليفة الحاكم بأمر الله بإن يصدر كتابا قُرأ على منابر مصر[62] بعد تعرض قسم من المصريين من قبل الفاطميين لعددٍ من التصرفات التي عدها الفاطميون لا تمت للمذهب الفاطمي الإسماعيلي بصفة , إنما هي تصرفات شخصية.

إن الوجود الشيعي في مصر كان من العوامل التي سهلت مجيئهم إلى مصر وتقبل المجتمع المصري لهم بسهولة[63] وهذا يعني إن التشيع في مصر كان موجوداً بنسبة متواضعة ولا نستطيع أَنْ نجزم إن الفاطميين بعد دخولهم مصر لم يعملوا أبداً على نشر مذهبهم , إذ هناك ما يشير إلى محاولة من علماء الدولة الفاطمية عبر نشاطاتهم الفقهية والعلمية والفكرية في الجامع الأزهر والتنبيه إلى مبادئ مذهبهم التي قيّمت من خلال مؤلفاتهم[64] .

كان داعي الدعاة القاضي النعمان يعقد حلقات في الجامع الأزهر يّعلم الناس من

---

[60] ابن خلكان: وفيات الأعيان ,ج1 , ص376.

[61] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص131.

[62] ابن خلدون: العبر, ج4 , ص125.

[63] سرور, جمال الدين: الدولة الفاطمية, ص178.

[64] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص121.

كل الطبقات أصول المذهب الفاطمي وكانت مجالسه تسمى "مجالس الحكمة"(*)(65) وفي هذا وصف المقريزي(66) مشاركة الجميع في هذه المجالس, فكان يفرد للأولياء مجلساً ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلساً وللنساء في جامع القاهرة المعروف بجامع الأزهر مجلساً للحرم ولخواص نساء القصر مجلساً.

يمكن القول إن جهود دعاة الفكر الإسماعيلي في مصر قد انتشرت في كل مكان إذ نجد في الصعيد قبيلة ربيعة العربية التي عرفت بأنها كانت أكثر القبائل مناصرة وتشيعاً للفاطميين(67), وإن المصريين مالوا إلى المذهب الشيعي حباً بآل علي (عليه السلام)(68) وزيارة المشاهد والأضرحة والدعاء عندها(69) خير دليل على تماسك الأمة المصرية ولاسيما بين طوائفها المسلمة .

إن الفاطميين لم يستعملوا القسوة والإجبار على اعتناق المذهب الفاطمي ولكننا نجد أن تقبل الناس للمذهب سواء أكان إيمانا أم لمصلحة ما, فهو يعد نوع أو حالة حب للعترة المحمدية ولاسيما من جانب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أو جانب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهذا الحب والانسجام كان متواصلاً وظل إلى حين سقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ/1172م, ولم تفرق السياسة الفاطمية بين أطراف الشعب المصري وهذا ما جاء على لسان المستشرقة الألمانية سيمينوفا حين

(*) اصطلاح فاطمي يطلق على الكراس التي تكتب فيها دروس الدعوة وبعد اتمامها يوقع الخليفة عليها. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، 103.

(65) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص122.

(66) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص122.

(67) ابن واصل, جمال الدين محمد ابن سالم (ت697هـ/1297م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب, تحقيق جمال الدين الشيال, (القاهرة 1953م), ج1, ص174.

(68) الشارعي, موفق الدين أبي محمد بن أبي الحرم مكي بن عثمان (ت708هـ/1378م): مرشد الزوار إلى قبور الابرار, (القاهرة 1995م), ص143.

(69) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص284.

قالت: "الفاطميين كانوا يتعاملون فقط مع المصريين بروح السياسة الواقعية العملية فلم يجبروهم على الانتقال إلى المذهب الشيعي بأشكال دموية أو بالعنف"[70] .

3- الأقباط :-

عندما فتح العرب مصر كان معظم أهلها في ذلك الوقت من الأقباط والى جانبهم أقلية من اليهود, وفي السنوات الأولى من الفتح سكن العرب المدن الكبرى وتركوا سائر قرى مصر بأيدي القبط ثم بدأوا ينزلون إلى الريف ولاسيما في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي إذ كثر انتشارهم بقرى مصر ونواحيها[71] .

ويذكر ابن حوقل[72] انه في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أَنّ معظم رساتيق مصر وقُراها في الحوف والريف وأهلها نصارى قبط ولهم البيع الكثيرة الغزيرة الواسعة وأنهم أهل يسار وذخائر وأموال, أما المقدسي البشاري[73]فيقول إن: "عام ذمة مصر نصارى يقال لهم القبط ويهود قليل".

ونخلص إلى القول إن الأقباط في العصر الفاطمي الأول يمثلون أقلية كبيرة من أهل مصر ولاسيما في قُراها, وفي القاهرة الفاطمية وُجدت أحياء خاصة بالأقباط وعرفت بآسمهم ويذكر الإنطاكي[74] أَنّه كان للروم الملكانية حارة بالقاهرة يسكنون بها, وكان لسياسة التسامح الديني التي اتبعها الخلفاء الفاطميين إزاء أَهل الذمة الأثر الكبير فكان منهم الوزراء والوسطاء وكبار رجال الدولة والأطباء والكتاب والتجار وغيرهم

---

(70) الدولة الفاطمية(أبحاث ودراسات), تحقيق وترجمة حسن بيومي,المجلس الأعلى للثقافة,(القاهرة 2000م), ص15.

(71) محمود, سلام شافعي: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول, الهيأة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1995م), ص157.

(72) ابن حوقل, أبو القاسم النصيبي(ت367هـ/977م): صورة الأرض, ط2, مطبعة بريل, (ليدن 1980م), ص161.

(73) المقدسي: شمس الدين, ابي عبد الله محمد بن احمد (ت375هـ/985م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, تحقيق محمد امين الضناوي, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م) , ص169.

(74) تاريخ الأنطاكي , ص24.

الكثير, فقد أغدق الخلفاء الفاطميون على الكثير من الأطباء من أهل الذمة الأموال والهدايا تشجيعاً وتكريماً لهم[75] .

وتمتع النصارى بالكثير من الأموال كما يذكر لنا ناصر خسرو انه رأى بمدينة الفسطاط نصرانياً من كبار أغنياء مصر وان لديه من الغلال ما يمكنه من أطعام أهل مصر "الفسطاط" ست سنوات[76], ونتيجة لهذا الثراء وتلك المكانة الاجتماعية كان النصارى يلبسون أثواباً كأثواب المسلمين ويركبون البغال ويمتطون الخيول[77] .

وقد بالغ الخليفة العزيز بالله في تعاطفه تجاه أهل الذمة ولاسيما النصارى, ويرجع سبب هذا التعاطف إلى ما كان بينهم من صلات النسب, إذ تزوج العزيز بالله من سيدة مسيحية[78] , كان لها تأثير كبير في تسيير أمور البلاد فقد ساندت النصارى من أهل ملتها وزيادة روح التسامح من خلال المشاركة في احتفالاتهم الدينية[79] .

وانعم الخلفاء الفاطميين على كبار رجال دولتهم من النصارى بالألقاب تكريماً لهم ودلالة على مكانتهم في الدولة فلقب عيسى بن نسطورس بسيدنا الآجل, إما زرعة بن عيسى بن نسطورس فلقب بالشافي ولقب أخوه صاعد بن عيسى بالأمير الظهير شرف الملك تاج المعالي ذي الحدين[80] .

واهتم الخلفاء الفاطميين بالكنائس وتعميرها فعمر الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م) ما هدم من كنائس وأطلق عمارتها جميعاً وأعاد أوقافها إليها فعادت كنائسهم إلى أحسن مما كانت عليه , وأصدر أمراً آخر بإعفاء كثير من أملاك الكنائس وأوقافها مما وقع عليها من الخراج والرسوم وما فرض عليها من غرامات سابقة[81], وفي بداية خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م)

---

(75) ينظر: الفصل الثالث , المبحث الثالث , فقرة الأطباء.

(76) سفرنامة , ص121.

(77) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص822.

(78) حسن: الفاطميون في مصر, ص202.

(79) حسن: الفاطميون في مصر, ص225.

(80) المناوي: الوزارة والوزراء , ص63 ؛ محمود: أهل الذمة , ص174.

(81) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص358.

سُمح للنصارى بتجديد الكنائس وأُعيد تجديد عمارة كنيسة يوم القيامة ببيت المقدس كما استمر النصارى في تعمير وتجديد كنائسهم في سائر أقاليم الدولة[82] .

4- اليهود

يمكن عد العصر الفاطمي عصراً ذهبياً لأهل الذمة من يهود ونصارى إذ تمتعوا فيه طوال العصر بالتسامح الديني وعوملوا معاملة مبنية على العطف والرعاية من قبل الخلفاء الفاطميين وظهرت هذه الصورة الرائعة عن روح التسامح من خلال تعمير الكثير من الكنائس والأديرة وممارسة الذميين طقوسهم الدينية في أمن وسلام[83].

ومنذ بداية عصر الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) وأهل الذمة من قبط ويهود ويعيشون حياة تسامح, فقد قرب يعقوب بن كلس[*] واسند إليه قسم من الدواوين وكان يهودياً قبل أَنْ يسلم[84] .

أقطع الخلفاء الفاطميون كبار رجال دولتهم من اليهود الإقطاعات الواسعة فالثابت إن الخليفة العزيز بالله اقطع وزيره يعقوب بن كلس أقطاعات كثيرة في مصر والشام مبلغها ثلاثمائة ألف دينار, وبعد موت ابن كلس ترك الكثير من الأموال والأملاك ضمن ثروة تقدر بأربعة ملايين دينار[85] .

ويذكر ناصر خسرو الذي زار مصر في خلافة المستنصر بالله أن أبا سعيد التستري التاجر اليهودي كان مقرباً من السلطان الذي كان يعتمد عليه في شراء ما

---

[82] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص372.

[83] عامر, فاطمة مصطفى: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1999م), ص220.

(*) يعقوب بن كلس أبو الفرج يعقوب بن كلس كان وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله وكان كبير الهمة عظيم الهيبة فوضت إليه الأمور واستقامت على يديه. للمزيد ينظر: الروذراوري, أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد(ت488هـ/1095م): ذيل تجارب الأمم ملحق بكتاب تجارب الامم, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م), ج6, ص113.

[84] المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1 , ص210.

[85] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص240.

يريد من الجواهر الكريمة[86], سكن اليهود حارة الجودرية نسبة إلى إحدى طوائف العسكر في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله وظلوا مقيمين بها ثم افرد الحاكم بأمر الله لهم حارة في زويلة[87] .

ضم مجلس الخليفة المعز لدين الله كبار رجال الدولة من اليهود, إذ كانوا هم الطبقة التي اعتمد عليها في إدارة دواوين الحكومة ففي عهده بلغ ابن كلس منزلة رفيعة في بلاط الخلافة وتولى الإشراف على الإدارة المالية في الدولة وليس هناك أدل على علو المنزلة الاجتماعية لرجال الدولة منهم من تلك العلاقة والصداقة التي وجدت بين العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلس في الكلمات التي قالها له عند احتضاره: "وودت لو انك تبتاع فابتاعك بمالي أو تفدى فأفديك بولدي"[88] .

يتحدث ناصر خسرو عن ثروة أبي سعيد التستري بقوله: "يهودي وافر الثراء .... وقيل انه لا يعرف مدى غناه إلا الله, فقد كان على سقف داره ثلثمئة جرة من الفضة, زرع في كل منها شجرة كأنها حديقة وكلها أشجار مثمرة"[89], ومن الجدير بالذكر أن البلاط الفاطمي أصبح مكتظاً بالأعداد الكبيرة من أهل الذمة على اختلاف وظائفهم ونتج عن زيادة نفوذ أهل الذمة في البلاد إلى استياء مسلمي مصر من هذه التصرفات التي كانت تنطوي على التعصب, أخذت أصوات الاحتجاج تتعالى وتظهر على نحوٍ علني إذ قام احد إجلاء المسلمين بكتابة رقعة وتسليمها إلى العزيز بالله وكان مضمون الرقعة: "يا أمير المؤمنين بالذي اعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشأ بن الفرار وأذل المسلمين بك ألا نظرت في أمري"[90].

---

[86] سفرنامة , ص124.

[87] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص376.

[88] الدواداري, ابن أيبك, أبي بكر عبد الله الدواداري (ت736هـ/1335م): كنز الدرر وجامع الغرر(الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية), تحقيق صلاح الدين المنجد, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, (القاهرة 1961م), ج6, ص225.

[89] سفرنامة , ص124.

[90] ماجد, عبد المنعم: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر والتاريخ السياسي, دار المعارف, الإسكندرية, (مصر 1968م), ص354.

أدرك العزيز بالله ما أصاب البلاد من حكم أهل الذمة وتحكمهم في البلاد وتدارك الأمر فأمر بالقبض على ابن نسطورس وزملائه من الكتاب وقبض على منشأ في بلاد الشام وغيره من الموظفين اليهود, والواقع إن أمر اليهود لم ينته فقد عادوا إلى سابق عهدهم حين تولى الخلافة الحاكم بأمر الله الذي سرعان ما أصدر القوانين بشان اليهود والتي عدها قسم من المؤرخين صارمة بحقهم وأنهم (إي اليهود) شعروا بالإهانة جراء تعسف الحاكم بأمر الله واضطهاده لهم, إن أهل الذمة وتصرفاتهم أجبرت الخليفة الحاكم بأمر الله على ترك سياسة التسامح التي بدأ بها خلافته, لأنهم عاملوا المسلمين معاملة سيئة بعدما علا شأنهم واحتلالهم للمناصب وتحكمهم في جباية الضرائب واستغلالهم أقوات الشعب فحددوا أسعار القمح وقسم من المواد الغذائية[91] .

وخلاصة القول إِن أهل الذمة من يهود ونصارى قد عاشوا زمن الدولة الفاطمية في مصر حياة حرة مترفة مستقرة في معظم الأوقات وان ما تعرضوا له من معاملة سيئة وقاسية والحد من حرياتهم سواء كانت دينية أو دنيوية لا تعد امرأ طاغياً فقد جاءت نتيجة لتصرفاتهم غير اللائقة واعتدائهم على سلطان الخلافة ومضايقتهم لعامة الشعب من المسلمين الذين ما كانوا ليثوروا عليهم إلا حين طفح الكيل مما أضطر الخلفاء الفاطميين إلى إبقائهم عند حدودهم في مثل هذه المناسبات, إن تلك العناصر المتعددة للسكان والمختلفة من حيث الجنس والطوائف في مصر قد انصهرت مع الوقت في الحياة المصرية وتأثرت في تقاليد المجتمع المصري صاحب الحضارة العريقة التي تضرب بجذورها العميقة إلى فجر التاريخ فأصبح الجميع ينتسبون إلى مصر حتى أَنّ الخلفاء الفاطميين أنفسهم غلب عليهم تسميتهم بالمصريين[92] وأطلقوا قسماً من التسميات

---

[91] ابن ميسر, تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت677هـ/1278م): تاريخ مصر, تحقيق أيمن فؤاد سيد, المعهد العالي العربي للآثار الشرقية, (القاهرة 1984م), ص82.

[92] ابن القلانسي, أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ/1160م): ذيل تاريخ دمشق, تحقيق امدروز, نشر الآباء اليسوعيين, (بيروت 1908م) , ص141.

على دولتهم "دولة المصريين" والدولة المصرية[93] وكان يطلق على الجيش الفاطمي بكل طوائفه وأجناسه "العساكر المصرية"[94] أو "جند المصريين"[95] .

لذلك من الواضح أَنّ المجتمع المصري في العصر الفاطمي بكل طوائفه وعناصر سكانه لابد وان تكون هناك علاقة بين السكان ولا نريد تسميتها الانقسامات الطبقية, فأن المجتمع المصري ساده نوع من الانسجام بفضل التكوين الديني والعقائدي والثقافي والروح الدينية لدى الفاطميين, إذ إن هناك علاقة اتسمت بالتسامح الديني مع عدد من سكان مصر فضلاً عن السياسة المتبعة من قبل الفاطميين مع سكان مصر على نحوٍ عام وذلك يعطي انطباعاً بأن المجتمع المصري في الدولة الفاطمية اخذ يتأثر تأثيراً كبيراً في عادات وتقاليد الفاطميين .

---

(93) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص202.

(94) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص103-106.

(95) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص103-106.

مفهوم الخدمة العامة :

عملاً بأوامر الإسلام التي تحث على إيصال الخدمة العامة وتيسيرها للرعية, والمساواة بين الغني والفقير, اهتم الحكام في الدولة العربية الإسلامية بالمؤسسات كافة التي تؤدي الخدمة العامة للرعية اهتماما كبيراً, وقبل الحديث عن الأصول العقائدية للفاطميين في هذا الجانب لا بد من الإشارة إلى معنى الخدمة العامة وأصولها في القران الكريم والحديث الشريف وتطور أدائها خلال تطور تكوين الدولة العربية الإسلامية.

الخدمة العامة لغةً واصطلاحاً :

لا بد لنا من الإشارة أولا إلى معنى كلمة الخدمة لغةً واصطلاحاً, ففي اللغة تعني ما يقدمه الخادم من خَدَمَة يَخدمْهُ ويَخدِمه, والخادم, غلاماً كان أو جارية, وأَخْدَمه أعطاه خادماً[96], واصطلاحاً كل عمل ينتفع منه المجتمع, فهي مساعدة أو فضل أو هدية, أو منحة, أو عناية واهتمام[97].

---

[96] الزمخشري, جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ/1143م): أساس البلاغة, ط3, الهيأة المصرية للكتاب (لا.م 1985م), ج1,ص219 ؛ الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1267م): مختار الصحاح , تحقيق سميرة خلف الموالي, طباعة نشر وتوزيع المركز العربي للثقافة والعلوم, (بيروت لا.ت), ص134؛ ابن منظور: لسان العرب,ج12, ص194؛ الفيروز أبادي, محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (ت718هـ/1414م): القاموس المحيط , تحقيق يحيى مراد, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع,(لا.م 2008م), باب الميم , ص1048.

[97] عمر, أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, (القاهرة 2008م), المجلد الأول, ص621.

يمكن تعريف العامة بأنهم جمهور كبير من الباعة والسوقة والسقاءين والمعدمين وأشباه المعدمين[98], وكلمة العامة هي عكس كلمة الخاصة وترجع إلى كل عام أو نشاط تقوم به الدولة أو الحكومة[99], ولما كانت حاجة الأفراد هي الهدف الأساس في مساعدة الفرد بطريقة الخدمات الاجتماعية كان لابد وان تتطور وسائل الخدمات الاجتماعية المختلفة تبعاً لتنوع الحاجات الفردية وتطورها وتعقدها أحياناً[100], وحسب تطور المجتمعات الإنسانية.

وقد كتب أرسطو طاليس إلى الاسكندر: " املك الرعية بالإحسان تظفر منهم بالمحبة والعلم واعلم إنما تملك الأبدان فتتخطاها إلى القلوب واعلم انه إذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية وإذا جار لم يمتلك إلا الرياء والتصنع "[101].

جاء الإسلام فعمق مفهومات الرعاية الاجتماعية وركز على الإحسان كونه الوسيلة الفعالة للتكافل الاجتماعي[102], وعليه فيمكننا أَنْ نوجز تعريف الخدمات العامة بأنها الخدمات التي تقدمها الدولة أو الأفراد والتي يقصد منها تأمين المصلحة العامة[103], وللخدمة الاجتماعية معنى عام وآخر خاص فالمعنى العام يتأتى من المدلول اللفظي المكون لهذا الاصطلاح, فكلمة خدمة هي مجهودات هادفة يقصد بها تحقيق فائدة أو منفعة معينة أو

---

(98) عاشور, سعيد عبد الفتاح: المجتمع المصري, عصر سلاطين المماليك, دار النهضة العربية, (القاهرة لا.ت) ص67.

(99) القصير, عبد اللطيف: الإدارة العامة (المنظور السياسي), مراجعة خليل الشماع, جامعة بغداد, (بغداد 1980م), ص10.

(100) عريم , عبد الجبار: فن الخدمات الاجتماعية, مطبعة المعارف, (بغداد 1968م) , ص29.

(101) الطرطوشي, أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت521هـ/1126م): سراج الملوك, (لا.م 1399هـ), ص118.

(102) أحمد, أحمد كمال والفوال, صلاح مصطفى: الخدمة الاجتماعية والميثاق في المجتمع الاشتراكي العربي, مكتبة القاهرة الحديثة, (لا.م 1963م), ص12.

(103) الرحيم, عبد الحسين مهدي: الخدمات العامة في بغداد (400-656هـ), دار الحرية للطباعة, (بغداد 1987م), ص245.

إيقاف أو منع ضرر واقع أو محتمل الوقوع[104](*), أما لفظ "اجتماعية" فهي صفة من المجتمع أو الارتباط بالعلاقات المتبادلة بالبيئة المحيطة[105].

من خلال ما تقدم نستطيع أن نستنتج تعريفاً آخرَ للخدمة الاجتماعية, لأنها طريقة علمية لخدمة الإنسان ونظام اجتماعي يقوم بحل مشكلاته وتنمية قدراته ومعاونة النظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع للقيام بمهتمها وإيجاد نظم اجتماعية يحتاجها المجتمع لتحقيق رفاهية أفراده[106] , والدولة هي المسؤول الأول على الإنفاق سواء كان هذا الإنفاق على الفقراء والمحرومين بوصفهم أو كونهم الفئة التي تستحق الرعاية الاجتماعية وتتكفل بهم أو تأسيس المدارس والمساجد والبيمارستانات والأسواق لما تقدمه هذه المؤسسات من خدمة عامة للناس[107].

ويتضح لنا أن الهدف النهائي للخدمة هو تحقيق حياة أفضل عن طريق معاونتها للنظم الاجتماعية الأخرى وتكون عن طريق خدمة الفرد أولا ومن ثم خدمة الجماعة ومن ثم خدمة المجتمع[108], وبذلك تهدف الخدمة إلى مساعدة الناس من اجل إن يقوموا بمهامهم على

---

(104) برهم, نضال عبد اللطيف: الخدمات الاجتماعية, مكتبة المجتمع المصري, (لا.م 2008م), ص49.

(*) هنا يجب التطرق إلى وظيفة (المحتسب) وما يقوم به للحيلولة من دون وقوع ضرر أو منعه أو مساعدة الناس والحسبة هي من قواعد الأمور الدينية وهي أمر بمعروف أذا ظهر تركه ونهي عن المنكر أذا ظهر فعله, وإصلاح بين الناس. للمزيد ينظر: ابن تيمية, أبو العباس, تقي الدين أحمد(ت728هـ/1328م): الحسبة في الإسلام, دار الحداثة, (بيروت 1990م) , ص532 ؛ ابن الأخوة , محمد بن محمد أحمد (ت729هـ/1329م): معالم القربة في أحكام الحسبة, دار الحداثة, (بيروت 1990م), ص29؛ ابن بسام, محمد بن احمد(ت844هـ/1440م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة , دار الحداثة , (بيروت 1990م), ص319.

(1) برهم: الخدمات الاجتماعية , ص49.

(106) احمد, احمد وآخرون: الخدمة الاجتماعية , ص15.

(107) محمود, ميرزا بشير الدين: نظام الاقتصاد في الإسلام , تعريب مبارك أحمد ملك , مطبوعات التبشير, (باكستان لا.ت) , ص59-60.

(108) احمد, احمد وآخرون: الخدمة الاجتماعية, ص16-17 ؛ برهم: الخدمات الاجتماعية , ص49.

نحوٍ أفضل, فهي ضمان اجتماعي يتساوى جميع أفراد المجتمع في تقديمه بعضهم لبعض لتحقيق الرفاه للإنسان.

الخدمة في القران الكريم :

وردت في القران الكريم آيات عديدة تشير في معناها العام إلى الخدمة العامة ولم يرد ذكر كلمة الخدمة بمعناها المعروف ومن هذه الآيات قوله تعالى: ((...وتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...))[109], فالبر هو الإيمان بالله والتقوى هي مراقبة أمر الله ونهيه فالتعاون على الإيمان والعمل الصالح هما الصلاح والتقوى, إما الإثم والعدوان فهما العمل السيئ وتعدي على حقوق الناس[110].

وكذلك أشار القران الكريم إلى الخدمة العامة من خلال الإنفاق مما انعم الله به على الناس, وان هذا الإنفاق هو من أموال الله التي ولاها للناس وجعلهم خلفاء في التصرف فليست هي أموالهم وما هم إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فيجب الإنفاق منها في حقوق الله[111], استناداً إلى قوله تعالى: ((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأنفِقُوا مِمَّا

---

[109] سورة المائدة/ الآية (2).

[110] الطبرسي, أبو علي الفضل بن الحسن (ت548هـ/1153م): مجمع البيان في تفسير القران, دار القارئ, دار الكتاب العربي, (لا.م 2009م), ج3, ص245؛ العاملي, أبو الحسن بن محمد طاهر (القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي): تفسير البرهان المسماة بمرآة الأنوار ومشكاة الأسرار, تحقيق لجنة من العلماء والمحققين, مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات, (إيران 2007م), ج2, ص366؛ شبر, عبد الله (ت1242هـ/1826م): تفسير القران الكريم, دار أحياء التراث العربي, (لا.م 2007م), ص155؛ الطباطبائي, محمد حسين: الميزان في تفسير القران, منشورات الاعلمي للمطبوعات, (بيروت 1997م), ج5 , ص166.

[111] الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, تحقيق خليل مأمون شيحا, ط3, دار المعرفة, (بيروت 2009م), ص1081؛ ابن كثير, عماد الدين, أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1373م): تفسير القران العظيم, تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي, (بيروت لا.ت), ج4, ص297؛ الشيرازي, ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل, ط2, الأميرة للطباعة والنشر, (لا.م 2009م), ج18, ص16.

جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأنفَقُوا لَهُمْ أجْرٌ كَبِيرٌ))[112].

قال تعالى: ((أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ))[113].

إن الله عز وجل هو الذي قسم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يساوي بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحتاجين وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستعملوهم في مهنهم[114].

وقال تعالى: ((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[115], **وفيها أن الله تعالى يراقب المؤمنين على أعمالهم ويحاسبهم عليها فيما بعد في عالم الغيب[116].**

---

[112] سورة الحديد/ الآية (7).

[113] سورة الزخرف/ الآية (32).

[114] الزمخشري: تفسير الكشاف, ص989؛ ابن كثير: تفسير القران, ج4, ص132؛ الطباطبائي: الميزان في تفسير القران, ج9, ص391.

[115] سورة التوبة/ الآية (105).

[116] الرازي, فخر الدين (ت544هـ/1150م): أسرار التنزيل وأنوار التأويل , تحقيق محمود أحمد محمد, بابا علي الشيخ عمر, صالح محمد عبد الفتاح , (بغداد 1985م), ص104.

ورود الخدمة في الحديث النبوي الشريف :

يتضح اهتمام الإسلام بالخدمة والتشجيع عليها فيما اثر عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) , فهناك أحاديث نبوية كثيرة بهذا الشأن منها قوله (صلى الله عليه واله وسلم): " قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم أنفق أنفق عليك"[117].

وقال (صلى الله عليه واله وسلم): " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته, فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه, ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[118].

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"[119] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[120].

وقال عليه الصلاة والسلام: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[121].

---

[117] مسلم, مسلم بن الحجاج بن القشيري (ت261هـ/874م): صحيح مسلم, اعتنى به محمد بن عبادي بن عبد الحليم, مكتبة الصفا, (القاهرة 2004م), ج1, ص483.

[118] مسلم: صحيح مسلم, ج2, ص280.

[119] البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ/869م): صحيح البخاري, دار الفجر للتراث, (القاهرة 2005م), ج4, ص385؛ مسلم: صحيح مسلم, ج2, ص142.

[120] البخاري: صحيح البخاري, ج4, ص 108؛ الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ/892م): سنن الترمذي , تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون , دار أحياء التراث العربي, (بيروت ج4), ص325.

[121] مسلم: صحيح مسلم, ج1, ص34؛ ابن ماجة, عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت272هـ/886م): سنن ابن ماجة, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, (لا.م لا.ت), ج1, ص25.

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء"[(122)].

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبيته"[(123)].

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "البّر لا يبلى, والذنب لا ينسى والديان لا يموت أعمل ما شئت كما تدين تدان"[(124)].

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "أصطنع الخير إلى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فهو أهله فأن لم تصب أهله فأنت من أهله"[(125)].

وقد وصف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) المسلمين في تعاطفهم وتوادهم بقوله: "مثل المؤمنين في توادهم ورحمتهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"[(126)].

[(122)] الحر العاملي, محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين (ت1255هـ/1692م): تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة, مؤسسة آل بيت لاحياء التراث, (قم 1409هـ) , ج16, ص124.

[(123)] المجلسي, محمد باقر(ت1111هـ/1699م): بحار الأنوار, ط4, مؤسسة الوفاء,(بيروت لا.ت),ج67 , ص1.

[(124)] خطب الرسول (صلى الله عليه واله) (676 خطبة من روائع كنز النبوة , تحقيق وشرح نواف الجراح, دار صادر, (بيروت لا.ت), ص130.

[(125)] ينظر: الطبرسي, ميرزا حسين النوري(ت1320هـ/1894م), مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل, مؤسسة آل البيت لأحياء التراث, (قم 1408هـ) , ج12, ص348.

[(126)] مسلم: صحيح مسلم ,ج4 ,ص199 ؛ القرشي, باقر شريف: حقوق العامل في الإسلام, دار التعارف للمطبوعات, (بيروت لا.ت), ص333.

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "والذي نفسي بيده ما انفق الناس من نفقة أحب من قول الخير"[127].

نهى الله سبحانه وتعالى عن الظلم وقد ورد ذلك في حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): "المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه بها كربه من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة "[128].

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "كل معروف صدقة وأفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول عليه, واليد العليا خير من اليد السفلى, ولا يلوم الله على الكفاف"[129].

وعند وصول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة أو ما قال: "أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"[130], وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[131] , "أسرع الخير ثواباً البر"[132] .

---

(127) العاملي: وسائل الشيعة, ج16, ص123.

(128) مسلم: صحيح مسلم, ج2, ص635؛ أبو داود , سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ/889م): سنن أبي داود, دار الكتاب العربي , (بيروت لا.ت), ج4, ص424 ؛ الترمذي: سنن الترمذي ,ج4, ص34.

(129) الكليني, محمد بن يعقوب (ت328هـ/939م): فروع الكافي , تحقيق محمد جعفر شمس الدين, دار التعارف للمطبوعات, (بيروت 1993م), ج2, ص27.

(130) ابن عبد البر, القرطبي النمري(ت463هـ/1070م): الدرر في اختصار المغازي والسير, تحقيق شوقي ضيف, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, لجنة إحياء التراث الإسلامية , (القاهرة 2002م), ص92.

(131) الترمذي: سنن الترمذي ,ج5 , ص41 ؛ الصدوق , محمد بن علي بن الحسين القمي (ت381هـ/991م): من لا يحضره الفقيه , الأميرة للطباعة والنشر , (بيروت 2008م), ج4, ص725.

(132) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ,ج4 , ص724.

المبحث الثاني

تطور مفهوم الخدمة العامة في الدولة العربية الإسلامية

1-عصر الرسالة

2-عصر الخلافة الراشدة

3-العصر الأموي

4-العصر العباسي الأول

أولا: عصر الرسالة:

وضع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أسس أول دولة إسلامية في المدينة المنورة وأمست الحاجة ملحة لقيام تنظيمات في تقرير أركان الدولة وما تقدمه من خدمات لمواطنيها, وقد حث الإسلام ودعا إلى المساواة في الحقوق والواجبات والى حرية الإنسان والحث على العلم فمن واجبات الدولة تقديم ما يحتاج إليه المواطن ومن ثم على المواطن واجبات تجاه الدولة وأن له حقوقاً عليها.

كان لوجود الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الأثر الكبير في حياة الإنسانية لما له من تأثير كبير في كافة الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن الجوانب الدينية والذي عبر عنها من خلال القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومن أهم الخدمات التي قدمت للمسلمين في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هي بناء المسجد النبوي في قباء[*] والذي عد المؤسسة الإدارية الأولى في المدينة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إليها, فهو إلى جانب كونه المدرسة الفقهية الأولى للمسلمين , فقد عد أول أنجاز عمراني فبناء المسجد على الرغم من بساطته فقد كان إيذانا بالعمران وعلى الطراز الإسلامي, فقد آمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن يبني مسجدا وقد عمل فيه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ليرغب المسلمين في العمل فيه ودأبوا فيه[133].

(*) قباء: أسم بئر عرفت به القرية وبها مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وجمعها قبوه وجمعها في اللغة أهل. ينظر: الحموي: معجم البلدان , ج4, ص301.

[133] ابن هشام, أبو محمد عبد الملك بن أيوب (ت218هـ/833م): السيرة النبوية, مؤسسة المعارف للطباعة والنشر, (بيروت 2007م), ص251؛ ابن سعد, محمد بن منيع (ت230هـ/844م): الطبقات الكبرى, تحقيق علي محمد عمر, مكتبة الخانجي, (القاهرة 2001م), ج1, ص205؛ ابن النجار, محمد بن محمود (ت647هـ/1346م): الدرة الثمينة في تاريخ المدينة , مكتبة النهضة الحديثة , (مكة المكرمة 1956م), ص355.

وأهم عمل واجه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هو توحيد المجتمع المدني من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد هجرتهم من مكة والعمل على التضحية بكل شيء في سبيل الدين الإسلامي وقد جاء ذكرهم في القران الكريم ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[134], ولذلك كانت المؤاخاة فيما بين المهاجرين والأنصار بناء على قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): "وتآخوا في الله أخوين أخوين"[135].

وقد رغب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في تنظيم الأمور الاجتماعية والعسكرية للمجتمع الجديد وذلك من خلال الصحيفة التي عدت دستورا لدولة الإسلام الأولى[136], فبعد هجرته إلى المدينة أقام مجتمعا جديدا وشرع يشرح للناس بحسن بيانه وعذوبة ألفاظه وبين لهم الأحكام الشرعية والآداب الدينية كما أمره بها رب العالمين[137], قال تعالى: ((بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[138].

---

[134] سورة الأنفال/ الآية (75).

[135] ابن هشام: السيرة النبوية , ص256 ؛ البلخي, ابو زيد احمد بن سهل (ت322هـ/933م): البدء والتاريخ, وضع حواشيه خليل عمران المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت 1997م), ص70؛ ابن حزم, أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/1063م): جوامع السيرة النبوية, ط2, تحقيق عبد الكريم سامي الجندي, دار الكتب العلمية, (بيروت 2009م), ص58؛ أبو الفدا, عماد الدين إسماعيل(732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر, مكتبة المتنبي, (القاهرة لا.ت), ج1, ص12؛ حسن , إبراهيم حسن وحسن علي إبراهيم: النظم الإسلامية, ط4, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1970م), ص152.

[136] ابن هشام: السيرة النبوية, ص253؛ فياض, عبد الله: محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, مطبعة الإرشاد, (بغداد 1967م), ص31.

[137] حسن, حسين الحاج: حضارة العرب في صدر الإسلام, مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, (بيروت 1992م), ص340 ؛ الرحيم , عبد الحسين: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية , (بغداد 1994م) , ص427.

[138] سورة النحل/ الآية (44).

وقد تضمنت الصحيفة الكثير من الخدمات إذ وجه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم وأكدت الصحيفة إلى أَنّ الله عز وجل مصدر السلطة وان رسوله هو الحكم الأعلى في حل القضايا المدنية والإدارية في المدينة[139].

وقد تطور التشريع الإسلامي وتطورت تبعا لذلك المؤسسات الإدارية في الدولة العربية الإسلامية وقد استهدف هذا التشريع إقامة دولة فاضلة على أساس الحق والعدل والمساواة والخير[140], وكان المسجد المركز والمدرسة الأولى للتعليم في الإسلام[141] فضلاً عن خدماته الأخرى, وتبعا لذلك فقد حث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على التعلم في أحاديث كثيرة[142], ولهذا فقد حرص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على جعل فداء الأسير المشرك في معركة بدر (2هـ/623م) أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين أصول القراءة والكتابة[143].

---

[139] ابن هشام: السيرة النبوية, ص254 ؛ فياض: محاضرات, ص31.

[140] عاشور, سعيد عبد الفتاح: تاريخ الحضارة الإسلامية, ذات السلاسل, (الكويت 1986م), ص42.

[141] الديوه جي, سعيد: التربية والتعليم في الإسلام, (الموصل 1982م) , ص60.

[142] لقد أكد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) في أحاديثه الشريفة على طلب العلم وأهميته. للمزيد ينظر: ابن ماجه: سند ابن ماجه, ج1, ص80 ؛ الترمذي: سنن الترمذي, ج4, ص137؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله , تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان, ط2, (مصر 1968م), ص91 ؛ الغزالي, محمد بن محمد(ت505هـ/1111م): إحياء علوم الدين, مكتبة ومطبعة كرياطة فوتر اسمارغ, ج1, ص5 ؛ طاش كبرى زاده , أحمد بن مصطفى (963هـ/1555م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم, دار الكتب العلمية, (بيروت 1985م) , ج1 , ص10.

[143] ابن كثير, أبو الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي: السيرة النبوية, تحقيق مصطفى عبد الواحد, ط3, دار الرائد العربي, (لبنان 1987م), ج2, ص512.

وقد ذكر ابن سعد[144], عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتفريجه لكروب الفقراء من المسلمين ومنهم أهل الصفة وهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذين لا منازل لهم فكانوا ينامون في المسجد وليس لديهم مأوى غيره فكان رسول الله يدعوهم إليه بالليل أذا تعشى فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأغناهم الله بعد ذلك وحث الناس على التصدق عليهم قال جل شأنه : ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ . . .))[145].

وهنا يتبين أن الوظيفة الأساسية للمسجد لم تكن إقامة الشعائر الدينية وإدارة الدولة الجديدة بل تعداه ذلك إلى تقديم الخدمة العامة لغير القادرين والمعوزين من خلال تجويز المبيت في المسجد لمن لم يكن يمتلك منزلا وهذا يدل على أن الإسلام تعامل بواقعية مع الحالة الاجتماعية التي واجهته من خلال تجمع أهل الصفة[146], ولقد كانت من ابرز الخدمات المقدمة في عصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من خلال الواجبات الدينية التي فرضت على المسلمين الزكاة فهي: "مواساة ومعاونة وأفضال والعقل يوجب الأفضال والتفضل بالإيثار وقد بينها الله في الوقت والمقدار"[147].

وقد وردت عدة آيات قرآنية توجب هذا التكافل فيما بين أفراد المجتمع الإسلامي وتمثل ذلك بقوله تعالى: ((. . . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ

---

(144) ابن سعد: الطبقات, ج1, ص219؛ أبو الفدا: المختصر,ج1, ص155 ؛ عبد الوهاب, محمد (ت1206هـ): مختصر سيرة الرسول, تحقيق محمد حامد الفقي, مطبعة السنة المحمدية , (القاهرة 1956م) , ص103.

(145) سورة البقرة / الآية (273).

(146) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القران , دار الفكر, (لا.م 1988م) ,ج3 , ص96 ؛ القرطبي , أبو عبد الله محمد بن احمد (ت671هـ/1276م): الجامع لأحكام القران , اعتنى به هشام سمير البخاري , دار أحياء التراث العربي , (بيروت 2001م) , ج3 , ص230.

(147) البلخي: البدء والتاريخ , ص131.

خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[148].

وقد أكد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الزكاة بقوله: "من تصدق بعدل تمرة عن كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فأن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل"[149], عن حارثة بن وهب (رضي الله عنه) إن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها ويقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها"[150], وللزكاة أثر مهم في تفتيت الثروة لتشمل كل فقراء المسلمين وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ((...كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُم...))[151], وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في غنائم خيبر[152], وتخصيص نصفها بما ينزل بالمسلمين إقرارا لملكية الأرض ملكية جماعية وبذلك تصبح الأرض ملكا جماعيا في سبيل المنفعة العامة لهم وفق ما جاء في القران الكريم ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً))[153], وقد عمل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على استصلاح الأراضي لغرض الزراعة بقوله (صلى الله عليه واله وسلم): "من أحيا أرض ميتة فهي له"[154].

عصر الخلافة الراشدة :

---

[148] سورة المزمل/ الآية (20).

[149] البخاري: صحيح البخاري , ج1, ص314.

[150] البخاري: صحيح البخاري, ج1, ص315.

[151] سورة الحشر/ الآية (7).

[152] ابن هشام: السيرة النبوية , ص564 ؛ الاعظمي , عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي: دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي, مطبعة التعليم العالي, (بغداد 1988م), ص12.

[153] سورة البقرة / الآية (29).

[154] ابن ادم , يحيى القرشي(ت203هـ/818م): الخراج, تحقيق حسين مؤنس, دار الشروق, (القاهرة 1987م), ص122.

توسعت الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي ولاسيما بعد عمليات الفتح الإسلامي ومن ثَمّ فقد زاد هذا التوسع توسعا في الوظائف الإدارية الجديدة وذلك من اجل تنظيم الإدارة وحفظ النظام والأمن والقيام بإدارة الدولة العربية الإسلامية وفقاً لمنهاج الشريعة الإسلامية, ومما لاشك فيه أن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ساروا على نهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في إدارة الدولة العربية الإسلامية فكان القران هو دستور الإسلام وهذا يتجلى من خلال خطبة الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) : "أما بعد : أيها الناس فأني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني, وأن أسأت فقوموني الصدق أمانة, والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله, والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله, فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"[155], وقد قسم أبو بكر (رضي الله عنه) بين الناس بالسوية لم يفضل أحداً على احد[156] .

هذه المبادئ العامة في الإدارة تنطلق من قراءة معمقة للآيات القرآنية الكريمة التي تحث على الصدق وإنصاف الرعية ومكافحة الفاحشة.

فمن الآيات التي تحث على الصدق هي قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ))[157].

---

[155] ابن هشام: السيرة النبوية ,ص743 ؛ ابن قتيبة الدينوري, عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م): عيون الأخبار, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت 2005م) , ص372 ؛ الطبري: تاريخ , ج2, ص237-238.

[156] اليعقوبي, أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/904م): تاريخ اليعقوبي, تحقيق خليل المنصور, دار الكتب العلمية , (بيروت لا.ت), ج2 , ص93.

[157] سورة التوبة / الآية (119).

وقوله تعالى في إنصاف الرعية: ((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[158].

وقوله سبحانه وتعالى في مكافحة الفاحشة: ((اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ))[159].

وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عماله:

" أن لا تتخذوا على المجالس التي تجلسون فيها للناس باباً ولا تركبوا البراذين ولا تلبسوا الثياب الرقاق ولا تأكلوا النقي ولا تغيبوا من صلاة الجماعة ولا تطعموا فيكم السعاة "[160], وقد أجرى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الأقوات على العيالات, وهم قوم من المسلمين وأمر أن تكون نفقات أولاد اللقط ورضاعهم من بيت المال المسلمين, ففرض للمنفوس مئة درهم فإذا ترعرع بلغ به مئتي درهم فإذا بلغ زاده وكان أذا أتى اللقيط فرض له في مئة وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر يقدر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة وكان يوصي بهم خيرا[161], من خلال قراءة متمعنة لهذا النص نجد أَنّ الخليفة بصفته المسئول الأول عن إدارة الدولة, يتحمل المسؤولية الاجتماعية المباشرة عن النتاج غير الشرعي للعلاقة غير الشرعية... انه لا يجعل منه عالة على المجتمع لكي ينتج عنه فيما بعد ما يدعو للانحراف بسبب العوز المادي والاجتماعي, أن الدولة تتحمل مسؤوليتها لمنع الانحراف من خلال تقديم الخدمة العامة للرعية كيفما كانت.

---

(158) سورة النحل / الآية (90) .

(159) سورة العنكبوت / الآية (45).

(160) ابن الجوزي: المنتظم , ج4, ص137.

(161) البلاذري, أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ/892م): فتوح البلدان, تحقيق عبد الله أنيس الطباع, مؤسسة المعارف للطباعة والنشر, (بيروت 1987م), ص634.

وكانت تجري على العمال والولاة من بيت مال المسلمين من جباية الأرض أو من خراج الأرض والجزية, لأنهم في عمل المسلمين فيجري عليهم من بيت مال المسلمين[162], ويعد هذا الحق في الأموال بمثابة المرتب الشهري للعامل , فضلاً عن العطاء قرر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لكل شخص جريبين من الحنطة وقد روي نقلاً عن البلاذري[163], أن الخليفة عمر(رضي الله عنه) أمر بجريب من طعام فعجن ثم خبز ثم ثرد بزيت ثم دعا بثلاثين رجلا فأكلوا منه غذائهم حتى أصدرهم ثم فعل بالعشي مثل ذلك فقال يكفي الرجل جريبان كل شهر فكان يرزق الناس الرجل والمرأة جريبن كل شهر, وهذا من شأنه إن يؤكد القيم الإنسانية والاجتماعية في توفير وضمان حقوق المعيشة لكل فرد في المجتمع ومن ثَمَّ سوف يخفف عن كاهل الأفراد عن الحياة الملقاة على عاتقهم.

ومما يدلل على تمسك الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالاهتمام بالخدمة العامة على الرغم من عدم الإشارة لذلك من خلال عدم شيوع استعمال هذه الجملة آنذاك نجده يوصي في وصيته التي أعقبت طعنه إذ يقول في نهاية الوصية: ".... وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم ..."[164] , ومما يروى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله: " أن نمت الليلة لأضيعن نفسي وان نمت النهار لأضيعن الرعية "[165]

ومن خلال تحليلنا لهذا النص يتحدث الخليفة أنه يجد في قيام الليل علاقة بينه وبين ربه عليه إتيانها لنيل مراتب الآخرة, أما عن علاقة الرعية كونه المسئول الأول فهو يعتقد إن ابتعاده عن خدمتهم والقيام بواجبه نحوهم ضياعاً ومفسدة للرعية, ومن باب كرم الضيافة

---

(162) أبو يوسف الانصاري, يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م): الخراج, دار المعرفة,(بيروت 1979م), ص2.

(163) البلاذري: فتوح , ص645 ؛ الطبري: تاريخ, ج2, ص452.

(164) أبو يوسف: الخراج , ص110 ؛ محمد رضا: الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين , دار الكتب العلمية , ط2, (بيروت 1980م) , ص323.

(165) الغزالي: منهاج العابدين, تحقيق محمد مصطفى أبو العلا , مكتبة الجندي , (مصر 1972م) , ص51.

التي امتاز بها العرب, فقد عمل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) خدمات أطعام في بعض المناسبات ولاسيما منها الدينية كما هو الحال في شهر رمضان وكانت تقام لأبناء السبيل وقد جعل سماطا للقراء والمتعبدين في المسجد(166), وقد توسع أجراء القوت على العمال في خلافة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) عما كانت عليه في خلافة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) فوسع فيهم القوت والكسوة(167).

وقد سار الإمام علي عليه السلام على نهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والاقتداء بسيرته في إدارة الدولة العربية الإسلامية, فقد كان يأمر عامله كعب بن مالك بجولات تفقدية في كل منطقة من مناطق العراق فيما بين دجلة والفرات ويسأل الفلاحين عن عملهم وينظر في سيرتهم وان يتولى معونتهم ويعمل بطاعة الله فيما ولاه(168), وجاء رجل إلى الإمام علي (عليه السلام) فقال له أتيت أرضا قد خربت وعجز عنها أهلها فكريت انهارا وزرعتها فقال له الإمام علي: " كل هنيئا وأنت مصلح غير مفسد معمر غير مخرب "(169), وكان الإمام علي (عليه السلام) ينفق من بيت المال على السجناء ومن مات منهم ولم يكن له ولي ولا قرابة منهم غُسل وكُفن من بيت المال(170), كذلك فقد وجه الإمام علي (عليه السلام) بالعمل بنظام الضمان الاجتماعي لمن لم يجد القدرة على العمل وقد شمل ذلك المسلمين وغير المسلمين ومما يروى في ذلك انه "وجد شيخاً اعمى بالبصرة يتصدق من اموال المسلمين, فانكر امير المؤمنين ذلك فقالوا له: يا امير المؤمنين, انه نصراني, فقال الامام: " استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه؟ انفقوا عليه من بيت

---

(166) الطبري: تاريخ , ج3 , ص307.

(167) البلاذري: فتوح البلدان , ص634.

(168) اليعقوبي: تاريخ , ج2, ص141 ؛ الاعظمي وحمدان عبد المجيد: دراسات في تاريخ الاقتصاد, ص48.

(169) أبن ادم: الخراج , ص99.

(170) الحنفي, عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي(ت1275هـ/1765م): فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتب الخراج, تحقيق أحمد عبيد الكبيسي, مطبعة الإرشاد, (بغداد 1985م), ج2, ص244؛ مرجان, زينب فاضل رزوقي: أحوال مصر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير العربي حتى نهاية العصر الراشدي, بيت الحكمة, (بغداد 2003م) , ص72.

المال"[171], كذلك معالجاته لحالات الشباب غير القادرين على الزواج إذ وجه بالصرف لهم من بيت المال[172].

وقد روى سبط ابن الجوزي بسنده عن الحر بن جرموز المرادي عن ابيه قال: "رأيت علياً (عليه السلام) يخرج من هذا القصر_يعني قصر الكوفة_ وعليه آزار الى انصاف ساقيّه, ورداؤه مشمر قريباً منه, ومعه الدرة, يمشي في الاسواق ويقول: "يا قوم اتقوا الله". وفي رواية: يأمرهم بحسن البيعة ويقول: "أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم, ولا تنفقوا اللحم" وفي رواية: ويرشد الضّالة, ويعين الحمال على الحمولة, ويقرأ: ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))[173], ويقول: " هذه الاية نزلت في الولاة وذوي القدرة على الناس""[174]

العصر الأموي :

بانتهاء الخلافة الراشدة ومجئ الأمويين للحكم (41-132هـ/660-749م) بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية وبدأ معها تطور الإدارة في الدولة وفقاً للزيادة الملحوظة في مؤسسات الدولة الإدارية , فقد تطور مفهوم القضاء والحسبة والنظر في المظالم والدواوين والحجابة والشرطة والبريد وغيرها من الوظائف الإدارية التي ظهر تطورها واضحاً في هذا العصر, ونتيجة لذلك فقد ظهرت خدمات متعددة وفقاً لهذه الوظائف لاسيما إذا عرفنا بأن الدولة هي المسؤولة عن توفير هذه الخدمات من بناء وتعمير وإقامة القناطر والجسور والسدود وبناء المدن والأسواق وغيرها.

---

(171) الحر العاملي: وسائل الشيعة, ج11, ص49.

(172) ينظر: الحر العاملي: وسائل الشيعة, ج20, ص352.

(173) سورة القصص/ الآية (83).

(174) يوسف بن قزغلي البغدادي (ت654هـ/1256م): تذكرة الخواص من الأمة بذكر الأئمة, تحقيق حسين تقي زاده , نشر المجمع العلمي لأهل البيت, (طهران 1426هـ), ج1, ص475-476.

فقد اهتم الخلفاء والأمراء الأمويين بتنظيم الأرزاق وتوزيعها في بداية كل شهر[175], وكانت تخزن في دار خاصة بها وكان يطلق عليها "دار الرزق أو مدينة الرزق لسعتها"[176], وفي مجال الزراعة فقد اعتنى الخلفاء والأمراء الأمويون بحفر الأنهار واستصلاح الأراضي واعتنوا بالفلاحين ومتطلباتهم وإعطائهم القروض التي وصلت قيمتها إلى مليون درهم تشجيعاً لهم بالعمل بنشاط اكبر من اجل تحسين الزراعة وتطويرها[177], وقد عمل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (75-95هـ/694-713م) على تجفيف المستنقعات في منطقة البطائح وحفر الأنهار وشق الترع والقنوات وإقامة السدود[178], وفي مجال بناء المدن التي تَعدُّ من أهم المظاهر الحضارية فقد تم بناء مدينة واسط والقيروان وتضمن بناء هذه المدن بناء المساجد ودار الإمارة والأسواق وتخطيط الشوارع فيها[179], وقد بلغ مقدار الإنفاق على بناء مدينة واسط مثلاً ثلاثة وأربعين ألف درهم في سنة 81هـ/700م, وكان مقدار الإنفاق هو خراج العراق لمدة خمس سنوات[180], وقد اهتم الحجاج بشؤون المدينة من الدواوين وضرب الدرهم في العراق وتحديد الأوزان والمكاييل وأصلح نظام الضرائب وأهتم بشؤون الكتابة فأمر بتنقيط الحروف[181], على الرغم مما عرف عنه من استبداد وقسوة في حكمه اتجاه الرعية من اجل تثبيت الحكم للبيت الاموي, أما في مجال التعليم فقد

---

(175) الطبري: تاريخ , ج6 , ص181.

(176) الطبري: تاريخ , ج6 , ص181.

(177) أحمد, لبيد إبراهيم وآخرون: الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي, (بغداد 1992م), ص222-226.

(178) البلاذري: فتوح البلدان, ص355-356 ؛ المعاضيدي, عبد القادر: واسط في العصر الأموي, دار الحرية للطباعة , (بغداد 1976م), ص171.

(179) أحمد وآخرون: الدولة العربية الإسلامية, ص263.

(180) بحشل, اسلم بن سهل الرزاز(ت292هـ/904م): تاريخ واسط, تحقيق كوريكس عواد, عالم الكتب, (بيروت 1406هـ),ص38؛ المعاضيدي: واسط في العصر الأموي,ص357؛ أحمد وآخرون:الدولة العربية,ص206.

(181) بحشل: تاريخ واسط, ص38-39 ؛ المعاضيدي: واسط في العصر الأموي, ص169-170.

كانوا يجزلون العطاء للمتعلمين وقد اهتمت الدولة بذلك كونها المسؤولة من بناء الكتاتيب وترميمها[182] .

أما منهاج الدراسة فهو القران الكريم ومبادئ الدين الإسلامي والقراءة والكتابة والشعر[183], وقد أولى الخلفاء الأمويين الطب عنايتهم الخاصة به فقد أنشأ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) بيمارستان لعزل المجذومين عن سواهم وقد أجرى الأرزاق عليهم وقام برعاية العميان والمقعدين والمصابين بالأمراض المزمنة[184], وقد عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/714-717م) المجذومين عن غيرهم وقد تم عزلهم حتى لا تنتقل العدوى إلى غيرهم[185]

أما في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) فقد أنشأت الخانات للمسافرين بطريق خراسان[186] لتوفير الراحة لهم ولدوابهم وغالبا ما كانت هذه الخانات تحتوي على غرف لإقامة رجال البريد وأصطبلات لتبادل دواب البريد والعناية بها فضلا عما فيها من المؤونة اللازمة لمواصلة السير في طريقها [187], فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى واليه على سمرقند سليمان بن أبي السري كتابا جاء فيه: "أن اعمل الخانات في بلادك لمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوماً وليلةٍ وتعهدوا بدوابهم , فمن كانت به علة فأقروا يومين وليلتين ومن كان متقطعا فقروه بما يصل إلى بلده"[188], وفي قضائه الدين عن الغارمين من بيت المال فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أبو بكر

---

(182) فوزي, فاروق عمر وآخرون: النظم الإسلامية "دراسة تاريخية" , دار الحكمة, (بغداد 1987م), ص182.

(183) الديوه جي, سعيد: التربية والتعليم , ص24.

(184) اليعقوبي, تاريخ: ج2, ص204؛ الطبري, تاريخ, ج6, ص423؛ الرحيم, الحضارة العربية, ص509.

(185) اليعقوبي: تاريخ , ج2, ص204.

(186) ابن سعد: الطبقات, ج5, ص345.

(187) ينظر: الطبري: تاريخ, ج6, ص557 ؛ الرفاعي, أنور: النظم الإسلامية, دار الفكر, (لا.ت لا.م), ص97.

(188) الطبري: تاريخ , ج6, ص557.

بن حزم: "أن كل من هلك وعليه دين لم يكن دينه في خرقة فأقض عنه دينه من بيت مال المسلمين "[189], وكان عمر بن عبد العزيز إذا كثر عنده أرقاء الخمس فرق بين كل مقعدين وبين كل زمنين غلاما يخدمهما ولكل أعمى غلاما يقوده[190], قال عمر بن عبد العزيز: "قرة عين الملوك في استفاضة الأمن في البلاد وظهور مودة الرعية لهم وحسن ثنائهم عليهم[191], وقد كتب إلى بعض عماله إما بعد , فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فأذكر قدرة الله عليك في نفاذ ما يأتي إليهم وبقاء ما يؤتى إليك"[192].

ومن ناحية أخرى أهتم الأمويون بحفر الآبار اهتماما كبيرا فقد حفرت قناة باسم نهر الخليفة محاولة لإصلاح عملية الري وازدهار الزراعة وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يشجع الولاة على شق الأنهار والترع. فضلا على عمل إسقاط الضرائب التي كانت مفروضة على الفلاحين وأمر عماله بالاهتمام بهم وحل مشاكلهم وهذا واضح من كتاب الخليفة عمر الذي وجهه إلى عامله بالكوفة جاء فيه: "لا تحمل خرابا على عامر, ولا عامر على خراب, انظر الخراب فخذ فيه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج"[193], وعمل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (125-126هـ/742-743م) على زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم[194], وبذلك يكون لكل مريض من المرضى أعطيات خاصة بهم وخادم يهتم بأمرهم ولاسيما الحالات الخاصة من المرضى (العميان و المجذومين).

---

(189) ابن عبد الحكم, أبو محمد عبد الله (ت214هـ/829م): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن انس و أصحابه, تحقيق أحمد عبيد, ط2, مكتبة وهبة , (لا.م 1954م), ص57.

(190) ابن عبد الحكم: سيرة عمر, ص48.

(191) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز, تحقيق طه عبد الرؤوف سعد, دار ابن خلدون, (الإسكندرية 1996م), ص78.

(192) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز , ص101.

(193) الطبري: تاريخ , ج8 , ص175.

(194) الطبري: تاريخ, ج6, ص423 ؛ الرحيم: الحضارة, ص509.

العصر العباسي الأول :

بعد انتهاء الخلافة الأموية بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية تمثلت بتولي العباسيين مقاليد الحكم (132-656هـ) فقد شهدت هذه الحقبة تطورا ملموساً للوظائف الإدارية في المجالات كافة التي عكست صور التقدم والازدهار الحضاري وتبعا لذلك فقد تطور مفهوم الخدمات وفقا للتوسع الحاصل في الدولة , فقد أهتم الخلفاء العباسيون بمشاريع حفر الأنهار ومنهم أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-775م) الذي حفر نهر شيلي القديم قرب الكوفة ولم يتمه فأتمه الخليفة المهدي (158-169هــ/753-764م) بعده[195] وكذلك أمرت الخيرزان أم الخلفاء بحفر نهر (محدود) قرب الأنبار وسمته الريان[196], وقد أولى المنصور اهتماماً بالجانب المالي من خلال الاعتناء بجباية الخراج ونوع النقد وتنظيم السجلات الخاصة به ومقاديره حتى نسب إليه استحداث نظام المقاسمة ولجأ إلى العمال وصادر أموالهم وألزمهم بدفع ما اتهموا به من الأموال وتابع أسعار السلع والحبوب والمواد الغذائية من خلال صاحب البريد[197].

وآمر الخليفة العباسي محمد المهدي بإقامة البريد سنة(166هـ/782م) بين المدينة ومكة واليمن عن طريق البغال والأبل[198], إذ لم تكن في هذه المناطق بريد سابقا, وأمر الخليفة كذلك بمنح العطاء للمجذومين وأهل السجون في جميع أنحاء الدولة وذلك في سنة162هـ/ 778م[199] حرصاً على عدم انتشار الأمراض وخوفا على المرضى والمسجونين, وبدأ

---

(195) البلاذري: الفتوح , ص583.

(196) البلاذري: الفتوح , ص583.

(197) الرحيم, عبد الحسين مهدي: العصر العباسي الأول (المؤهلات والانجـازات), الجامعـة المفتوحـة, (طرابلس 2002م), ص242.

(198) الطبري , تاريخ: ج4 , ص578 ؛ الدوري: عبد العزيز (العصـر العباسـي الأول), دراسـة فـي التاريخ السياسي والإداري والمالي , ط3 , دار الطليعة , (بيروت 1997م) , ص98.

(199) حسن, إبراهيم حسن وحسن, علي إبراهيم: النظم الإسلامية, ص241؛ أيـوب, إبـراهيم, التـاريخ العباسي السياسي والحضاري, دار الكتاب العالمي, (لا.م 1989م) , ص52.

الطب العربي علمياً في العصر العباسي بفضل إسهام العلماء الذين عزلوا الطب عن الفلسفة وأقيمت البيمارستانات ومعاهد لتعليم الطب وأفردت دور العلاج مرضى الجذام والأمراض النفسية والعقلية[200], وفي مجال الخدمات الدينية فقد أهتم الخليفة المهدي بالمسجد الحرام وأوعز إلى يقطين بن موسى بتوسيعه سنة167هـ/783م واستمر بالعمل فيه حتى وفاة الخليفة المهدي (169هــ/785م)[201].

اعتنى الخليفة العباسي هارون الرشيد(170-193هـ/786-808م) بالإدارة والتنظيم المالي في الدولة لما لها من ارتباط وثيق فيما بعضها البعض, وأراد تنظيم جباية الخراج وغيره من موارد بيت المال, وبلغ من شدة اهتمام الرشيد بالخراج انه أمر أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وهو من أشهر فقهاء عصره إن يكتب في الخراج كتاباً جامعاً ليعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك[202].

ومن الجدير بالذكر هنا أن أبا يوسف قد أوصى الخليفة هارون الرشيد عند وضعه لكتابه (الخراج) بعدة أمور ومنها: " إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه فأقم الحق فيما ولاكَ الله وقلدك ولو ساعة من نهار فان اسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ولا تزغ فتزيغ رعيتك فاحذر إن تضيع رعيتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيعك بما ضيعت أجرك وإنما يدعم البنيان قبل إن يتهدم , وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره وجور الراعي هلاك الراعي هلاك الرعية واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك العامة, وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا ابغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي كفر"[203], أما في مجال الحياة العلمية, فقد أهتم الخليفة العباسي

---

[200] كشاش , محمد: في تراثنا العربي الإسلامي , بحث منشور في مجلة التراث العربي , العدد 68 لسنة 1997م , ص98.

[201] الفاكهي , محمد بن إسحاق (ت275هـ/888م): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه, تحقيق عبد الملك عبد الله دهيش , ط2 , دار خضر, (بيروت 1414هـ) , ج2, ص165 ؛ الطبري: تاريخ , ج4 ,ص580.

[202] أبو يوسف: الخراج , ص5 ؛ الجنابي , عجمي محمود خطاب: هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده (170-193هـ), دار الحكمة , (بغداد 1988م) , ص77.

[203] الخراج , ص6 .

المأمون(198-218هـ/ 813-832م) بالأمور العلمية والفلسفية وكان يعقد مجالس المناظرة والجدل برعايته ويبعث في طلب العلماء لحضورها[204] وقد وصفه الدميري بأنه " جوادا بالمال محبا للعلم "[205].

ومن الجدير بالذكر الإشارة هنا إلى وصية طاهر بن الحسين (ت 207هـ/ 822م) لولده عبد الله عندما ولاه المأمون مصر حيث احتوت على إشارات مهمة في إدارة الدولة والخدمة العامة عند العباسيين الأوائل فقد أوصاه بمحبة أهل الصدق والصلاح وإعانة الأشراف بالحق ومواصلة الضعفاء والرحم ابتغاء وجه الله تعالى والتماس الدار الآخرة[206], فأن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر وإذا كانت في إصلاحية الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة [207], إذ لا فائدة من جمع الأموال وخزنها أن لم تكن في مصلحة الرعية لأنها مصدر صلاحهم وقد أوصى طاهر بن الحسين ولده بان يفرد نفسه للنظر في أمور الفقراء المساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليه ... وتعاهد ذوي البأساء والضراء وأيتامهم وأراملهم وجعل لهم أرزاقا لهم من بيت المال وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم[208] وهو بهذا يؤكد على الطبقة العامة ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم لأنهم أحق الناس بالرعاية وتقديم الخدمات والتخفيف عن كاهلهم عبء الحياة, وكان الخليفة المأمون يحضر مع الناس على الطعام ويخرج في الليل لتفقد رعيته وكذلك يتفقد العلماء إذا غابوا عنه ويزورهم بيوتهم[209] .

---

[204] المسعودي, أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر, تحقيق محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية , (بيروت لا.ت) , ج4 , ص19.

[205] الدميري, كمال الدين (ت808هـ/1405م): تاريخ الخلفاء , اعتنى به محمد الفاضلي , مؤسسة المعارف للمطبوعات, (بيروت 2001م) , ص98.

[206] الطبري: تاريخ , ج5 , ص157.

[207] الطبري: تاريخ , ج5 , ص157.

[208] الطبري: تاريخ , ج5 , ص159.

[209] ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة, ص256.

وهذا يوضح مدى اهتمام الخلفاء العباسيين بالناس ومصالحهم والوصول إلى أدق تفاصيل حياتهم اليومية ويتجلى لنا ذلك بشكل أكثر وضوحا عند الخليفة الواثق (227-232هـ/ 841-846م) الذي كان متفقداً لرعيته متحبباً إليهم واسع المعروف ويحسن إلى الناس[210], فيقول ابن الأثير عنه: "وفرق في أهل الحرمين أموالا لا تحصى حتى انه لا يوجد في أيامه بالحرمين سائل"[211].

ومن أهم الأمور التي حدثت في خلافة الواثق هو حريق الكرخ فعجز الفقراء عن عمارة أملاكهم وتركوها, فبادر الواثق إلى إعطائهم مبلغ مليون درهم كنوع من المساعدة لهم في إصلاحها[212], وكذلك قام بإصلاح طريق مكة وأوصى بتوفير الماء فيه بعد أن علم بشحته وقد انتدب لهذه المهمة عمر بن فرج بعد إن عزم على أداء فريضة الحج[213], وفي سنة (245هـ/859م) حدثت زلازل في عدة مناطق ومنها بلاد المغرب فأرسل الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م) ثلاثة ملايين درهم إلى المتضررين منهم, وقام المتوكل بإصلاح مسناة عين مكة لاسيما بعد غلاء أسعار القربة من الماء حتى وصل إلى ثمانين درهم[214] .

---

(210) السعودي: مروج الذهب , ج4 , ص66 ؛ ابن الأثير: الكامل , ج7 , ص31.

(211) الكامل , ج7 , ص31.

(212) اليعقوبي: تاريخ , ج2 , ص339.

(213) ابن الأثير: الكامل , ج7 , ص23.

(214) ابن الأثير: الكامل , ج7 , ص87-88 ؛ الاعظمي وحمدان عبد المجيد: دراسات في الاقتصاد , ص193.

المبحث الثالث

أثر العقيدة الفاطمية في تطور مفهوم الخدمة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي

مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح :

لابد ونحن نتكلم عن العقيدة أن نتعرف على معناها اللغوي والاصطلاحي, فهي تعني في اللغة عقد , العقد نقيض الحل , عَقَدَه , يَعْقَدَهُ عَقَداً وتَعْقَاداً والعَقَد هو العهد والجمع عُقَود وهي أَوكد العُهود[215] قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ...))[216] , واعتقد الشيء صلب واشتد , واعتقد بقلبه[217]جماعة عقد البناء إي جمعته بمعنى انعقد قلبه على شيء لم ينزع عنه, واعتقد الشيء صلب واعتقد الإخاء بينهما إي ثبت[218].

والاعتقاد هو العلم الجازم[219] من عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه [220], ويقصد بالعقائد نفس الاعتقاد دون العمل[221].

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة العقيدة وهي العقائدي نسبة إلى مذهب سياسي أو ديني يكون صاحبها شديد التمسك بها[222].

---

[215] ابن منظور: لسان العرب ,ج3 , ص296.

[216] سورة المائدة / الآية (1) .

[217] ابن منظور: لسان العرب ,ج3 , ص296.

[218] الفراهيدي, عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م): العين, تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي , دار الرشيد للنشر , (الجمهورية العراقية 1980م), ج1 , ص140.

[219] الأنصاري , أبو يحيى زكريا بن محمد(ت926هـ/1523م): الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة, دار الفكر المعاصر, (بيروت 1411هـ) , ص69.

[220] المناوي, محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف, تحقيق محمد رضوان الداية, دار الفكر المعاصر, (بيروت 1410هـ) , ص75.

[221] الجرجاني , علي بن محمد (ت816هـ/1413م): التعريفات , تحقيق إبراهيم الايباري, دار الكتاب العربي, (بيروت 1405هـ) , ص 196.

[222] لجنة اللغة العربية: ألفاظ حضارية, تحرير وداد محمد فاضل, مراجعة أحمد مطلوب, منشورات المجمع العلمي, (بغداد 1998م), ص148.

ظهور الفاطميين:-

ظهرت الكثير من الحركات السياسية والثورات الدينية في العصر العباسي وقد كان لها الأثر الكبير في انتزاع الكثير من البلاد التي كانت تحت سيطرة العباسيين بسبب الشدة التي اتبعوها مع الرعية ولاسيما مع العلويين والذي أدى إلى نشوء دول مستقلة عن الدولة العباسية, وقد ظهرت الفرق والمذاهب الإسلامية في العصر العباسي الأول ومنها فرقة الإسماعيلية(223), التي ظهرت بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) (148هـ/765م) وجعلت الإمامة في إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) ثم في ابنه محمد بن إسماعيل ثم الأئمة من بنيه ومنهم الخلفاء الفاطميين(224), وخلال تواجدهم في المغرب سنة (296هـ/908م) استطاعوا تأسيس دولة لهم حتى أصبح السلطان المطلق لهم في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من مدينة القيروان(225) .

---

(223) الإسماعيلية : فرقة من فرق الشيعة تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) بعد أبيه ولا تعترف بإمامة ابنه الأصغر موسى الكاظم (عليه السلام). للمزيد ينظر: الرازي , أحمد بن حمدان (ت275هـ/888م): الزينة في الكلمات الإسلامية, تحقيق عبد الله سلوم السامرائي, (بغداد 1972م),ج3, ص278-289؛ النوبختي , أبو محمد الحسن بن موسى (ت310هـ/895م): فرق الشيعة, تصحيح زيزر, (اسطنبول 1921م), ص 37-58؛ الشهرستاني, الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م): الملل والنحل, تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور, ط3, دار المعرفة, (بيروت 1993م), ج1, ص197.

(224) الأشعري, أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت330هـ/939م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين, تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, ط2, (القاهرة لا.ت), ص5؛ الكتبي , محمد شاكر (ت764هـ/1362م): عيون التاريخ , تحقيق فيصل السامر , دار الرشيد ,(بغداد 1980م) , ص215.

(225) حسن, حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية, ص50- 51؛ سرور: الدولة الفاطمية, ص20.

ومؤسس هذه الدولة هو عبد الله المهدي[226] (297-322هـ/909-934م), ثم آلت

الخلافة من بعده إلى آبنه أبي القاسم ولقب بالقائم بأمر الله[227] (322-334هـ/934-945م), ثم عهد لآبنه إسماعيل الذي تلقب بالمنصور[228] (334-341هـ/945-954م) وبعد

---

[226] اشتهر بأسم (عبيد الله) هو ابن الامام رضي الدين عبدالله ولد سنة (259هـ) في مدينة سليمة وتسلم الإمامة بعد وفاة ابيه عام (239هـ) مع أن اسمه في المصادر الشيعية المعاصرة (عبد الله) وهذا الامر يظهر جلياً في نقوش الدراهم والدنانير والاوزان المحفوظة في متحف القيروان, وأول من لاحظ هذا الباحث التونسي حسن حسني عبد الوهاب حيث ذكر: " ومن غريب ما يلاحظ في شأنها أن اسمه يأتي دائماً بصيغة (عبد الله) ولم يعثر على واحد منها يحمل اسم (عبيد الله) بصيغة التصغير كما هو معروف. ينظر: القاضي النعمان: ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت363هـ/973م): رسالة افتتاح الدعوة, رسالة في ظهور الدعوة الفاطمية, تحقيق وداد القاضي, دار الثقافة, (بيروت 1970م) ص249-250 ؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص93 ؛ الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم, ص17؛ ابن الأثير: الكامل , ج8 , ص446 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان , ج2 , ص324 ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات , ج19, ص241؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1, ص38, الخطط ,ج2, ص29؛ عبد الوهاب , حسن حسني: ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا, مطبعة المنار,(تونس 1966م) ,ج1, ص348 ؛ الحمد,عادله علي: قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب , دار المستقبل , (القاهرة 1980م) , ص 209. الخزاعي, حوراء حسون شاكر: الاسماعيلية بين الدعوة والدولة حتى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي, رسالة ماجستير غير منشورة, (كلية الاداب/جامعة الكوفة 2011م) , ص67.

[227] القائم بأمر الله : هو أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بسلمية سنة 278هـ/891م, دخل المغرب مع أبيه فبويع عند وفاة والده سنة 322هـ/933م وهو ثاني الخلفاء الفاطميين في المغرب. ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ,ج4 , ص6 ؛ ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, ج4, ص48؛ سرور: الدولة الفاطمية في مصر, ص27-28.

[228] المنصور بالله هو إسماعيل بن محمد بن عبيد المهدي أبو طاهر المنصور بنصر الله وهو ثالث الخلفاء الفاطميين بالمغرب ولد بالقيروان قام بعد وفاة أبيه (334هـ/945م) بالخلافة. ينظر: الكتبي, محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها, تحقيق إحسان عباس, دار صادر, (بيروت 1973م), ج11, ص237؛ أدريس, عماد الدين (ت872هـ/1488م): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار), تحقيق محمد البعلاوي, دار الغرب الإسلامي, (بيروت 1985م), ص349 ؛ الدشراوي, فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات), نقله إلى العربية حمادي الساحلي, دار الغرب الإسلامي (بيروت 1994م) ص237.

وفاته تقلد ابنه المعز لدين الله الخلافة[229] والذي تم في عهده انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى مصر (358هـ/968م) وأوكل مهام الفتح إلى قائد جنده جوهر الصقلي[230].

آل البيت عليهم السلام وأثرهم في تحديد الأطر الأساسية للمجتمع الفاضل من خلال عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر حينما ولاه على مصر :-

مثل الإمام علي عليه السلام الاتجاهين النظري والتطبيقي , لتطبيق القيم الإسلامية في أنظمة الإدارة , فإذا كان قد نظَّر لذلك من خلال خطبه وعهوده ووصاياه فإنه مارس ذلك ممارسة فعليه من خلال توليه المسؤولية المباشرة لإدارة الدولة خلال فترة خلافته(35-40هـ/ م).

عدَ الإمام علي عليه السلام الإدارة كياناً كلياً من اجل تحقيق أهداف سامية تتسم بالشمولية تتعامل مع الإنسان على أَنّه مسؤول ومسؤول عنه من خلال النص النبوي الشريف "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[231] وكثيرا ما كان يؤكد على العمل الصالح فالعمل الصالح عنده حرث للآخرة , فالعمل الصالح أفضل الزادين وانفع الذخائر صالح الأعمال[232] .

ومما لا شك فيه فإن جميع الخطب التي كان يلقيها الإمام علي (عليه السلام) كانت مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تؤكد على القيم الإنسانية والأخلاق العالية وأداء الواجبات وإشاعة الحق والمساواة والتعاون فيما بين أفراد المجتمع الإسلامي, وعليه إن المجتمع المتكامل لا يمكن الحصول عليه إلا بعد التسلح بالإيمان والسير وفقاً

---

[229] المعز لدين الله : تم تعريفه في التمهيد .

[230] تم تعريفه في ص9.

[231] مسلم: صحيح مسلم, ج2, ص280.

[232] الامدي , عبد الواحد بن محمد (ت550هـ/1155م): غرر الحكم ودرر الكلم, مكتب الأعلام الإسلامي, (قم لا.ت), ج1, ص154.

لمنهاج الإسلامي الذي يؤكد على كل ما هو أنساني فيما تعنيه هذه الكلمة من معنى, وهذه المعاني

تتجلى من خلال عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه مالك الاشتر[(*)] حينما بعثه إلى مصر ليتولى شؤونها أذ أمره الإمام علي بقوله: "أَمَرَهُ بتقوى الله وإيثار طاعته"[(233)], ومنها بإن الخوف من الله تعالى هو مفتاح كل خير وأصل كل بركة, فأن الحاكم متى خاف الله آمنه عباد الله[(234)] .

وفي هذا الجانب يوصي الإمام علي (عليه السلام) مالك الاشتر بقوله: "الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فأن في هذه الطبقة قانعاً[(235)] ومعتراً[(236)] "[(237)], ومما ينبغي للوالي عمله من اجل أهل الفقر إن يجعل قسم لهم من مال الله يقسم فيهم الحق المفروض من الصدقات وتفقد حاجات مساكين الناس وفقرائهم ممن لا تصل إليك حاجته ومن تقتحمه

العيون"[(238)] , وقد حث الله تعالى على

(*) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلم بن ربيعة , تولى ولاية مصر من قبل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فسار إليها حتى نزل القلزم مستهل رجب سنة 37هـ/ م. للمزيد ينظر: الكندي محمد بن يوسف (ت350هـ/961م): ولاة مصر, تحقيق حسين نصار, دار صادر, (بيروت لا.ت), ص46.

(233) ابن أبي الحديد , أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن حمد بن الحسين (ت656هـ/1258م): شرح نهج البلاغة, تحقيق محمد إبراهيم , دار الكتاب العربي , (بيروت 2007م), المجلد التاسع (17-18), ص22.

(234) ابن الطقطقا , محمد بن علي بن طباطبا (709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية, منشورات الشريف الرضي, (لا.م 1414هـ) , ص19.

(235) قانعا: السائل, قنع بالفتح يقنع قنوعا أذا سأل أي السائل. ينظر: ابن منظور: لسان العرب, ج8 , ص298.

(236) معتراً : المعتر هو من القنوع بالرضا باليسير من العطاء. ينظر: ابن منظور: لسان العرب , ج8 , ص298.

(237) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة, المجلد التاسع, ص58.

(238) القاضي النعمان: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) , ط3, تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي, دار المعارف, (القاهرة لا.ت) , ص366 .

هذا الاتجاه بقوله تعالى: ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ))[239].

وأوصى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالأرامل والمساكين بقوله: "ثم الساعي على أرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"[240] .

ولهذا نرى اهتمام الإمام علي (عليه السلام) باليتيم: "وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له"[241], ويؤكد كذلك على إن يشعر قلبه بالرحمة تجاه الرعية لأنهم إما أخوته في الدين أو إنسان مثله تقتضي رقة الإنسانية وطبع البشرية الرحمة فيقول الإمام علي لمالك "واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم فأنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق[242] فأن اكبر خصال الخير التي يمكن بها استمالة القلوب وإصلاح النيات هي العفو عن الذنوب والصفح عن الهفوات"[243], بناء على قوله تعالى: ((. . . وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[244].

ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) عطف الولاة على رعاياهم وان الرعية لا تستطيع أن تعمل شيئا لولاتها لا إذا أحبوهم ولا يتمنون زوال دولتهم فيوصي الإمام علي (عليه السلام) مالك بقوله: "إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم , ولا تصح إلا بصحبتهم على ولاة الأمور , وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم"[245] , فإن السلطان العادل مثل

---

[239] سورة الضحى/ الآية (9–10) .

[240] البخاري: صحيح بخاري, ج4, ص144؛ مسلم: صحيح مسلم, ج2, ص821 .

[241] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة, المجلد التاسع, ص59−60.

[242] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة, المجلد التاسع, ص23.

[243] ابن الطقطقا: الفخري , ص20.

[244] سورة النور/ الآية (22) .

[245] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة, المجلد التاسع, ص37.

الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد والرعية مثل سائر الشذر[246], وعليه يجب اختبار الولاة الأمناء والأكفاء وتقليد الولايات للثقاة النصحاء من اجل ضبط الإعمال بالكفاءة وتحفظ الأموال بالأمناء[247] , وقد ورد ذلك في حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"[248].

فالإسلام جعل معيار القوة الإيمان بقدرة الله لا بقدرة الإنسان وجعل العقل كاشفاً لهذه القدرة فهذا الإيمان هو ظهير العدل وبه يتساوى الحاكم والمحكوم في الخضوع لها وهو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية[249], فيجب على الوالي اختيار عماله من الأشخاص الأكفاء الذين يصلحون أمور الناس التي لا تصلح إلا بصلاح الولاة أنفسهم وتوسيع الرزق على العمال حتى لا يقعوا في الخطأ والخيانة ومراقبتهم وبث العيون عليهم من أهل الأمانة والصدق[250] .

وقد حث الإمام علي (عليه السلام) على الاهتمام بأمور عماله وان يتوثق منهم فيقول لمالك: "ثم انظر في أمور عمالك فأستعملهم اختيارا ولا تولهم محاباً وآثره فأنهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام"[251], وأوضح الإمام علي (عليه السلام) في أمر الولاة انه يجب إغداق الأموال والأرزاق عليهم وان يكفيهم حاجتهم من الجانب المادي لأن الجائع لا أمان له ولأن الحجة

---

(246) الطرطوشي: سراج الملوك , ص114.

(247) القلقشندي, أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م): مآثر الأنافة في معالم الخلافة , تحقيق عبد الستار أحمد فراج , عالم الكتب , (الكويت لا.ت) ,ج1 ,ص 61.

(248) مسلم: صحيح مسلم, ج1, ص77.

(249) الترمانيتي, عبد السلام: مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية, بحث منشور في مجلة الثقافة والتراث, العدد 40لسنة 1994م, ص10.

(250) القاضي النعمان: دعائم الإسلام , ص361.

(251) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة, م9, ص47.

تكون لازمة لهم إن خانوا لأنهم قد كفوا مؤونة أنفسهم وأهليهم بما فرض لهم من الأرزاق فيقول (عليه السلام) موجهاً مالك "ثم أسبغ عليهم الأرزاق فأن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك"[252].

أما في الجانب الاقتصادي فأن الإمام (عليه السلام) قد أهتم بهذا الجانب لما له أهمية كبيرة في البلاد وارتباطه الوثيق بالفرد من الناحية المعيشية, فتراه يوجه مالك إلى أمور الخراج فيقول له: "وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله, فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم إِلاَّ بِهِم, لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله"[253], وهذا ما ينبغي للوالي أن يتعهده لأن صلاح أهل الخراج مرتبط بصلاح الكل لأنهم معتمدين القوم والناس عيال عليهم[254] , وأمر الخراج مرتبط بعمارة الأرض حيث لا يمكن جباية الخراج إلا بعد عمارة الأرض والى ذلك نبه الإمام (عليه السلام) مالك الاشتر بقوله: "وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج , لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد"[255] , وهو هنا يسير وفقاً لمنهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في استصلاح الأراضي لغرض الزراعة بقوله: "من أحيا أرض ميتة فهي له"[256], إن الطريقة المثلى في جباية الخراج هي عمارة الأرض فالعمارة مقترنة مع الخراج وبغيرها لا يمكن الحصول على الأموال وبالتالي خراب البلاد وهلك العباد[257].

وفي الجانب الاقتصادي أيضا أوضح الإمام (عليه السلام) واجبات الولاة تجاه التجار وأهل الصناعات موضحاً ذلك بقوله: "ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات وأوصي بهم

---

[252] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , م9, ص47.

[253] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , م9, ص48.

[254] القاضي النعمان: دعائم الإسلام , ص362.

[255] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , م9, ص48.

[256] ابن آدم: الخراج , ص122 ؛ البخاري: صحيح البخاري, ج2 , ص148.

[257] القاضي النعمان: دعائم الإسلام , ص362.

خيرا, المقيم منهم والمضطرب بما له والمترفق ببدنه"[258], لأن هؤلاء التجار وأهل الصناعات هم مادة الناس من حيث البضائع التي يجلبونها إليهم وما فيها من فائدة للناس في حياتهم , وان الناس بطبيعة الحال لا يستطيعون من القيام بهذه المهمة (جلب البضائع), لأن ضمن اختصاص هؤلاء التجار والصناع[259] , فلهم بذلك حق وحرمة يجب حفظهم لها.

إن المجتمع يتكون من طبقات مختلفة لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا تستطيع أي طبقة الاستغناء عن الأخرى وفي ذلك يوجه الإمام (عليه السلام) مالك بقوله: "ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم"[260], وهو بذلك يؤكد على أهمية هذه الطبقة لما لها من دلالات قيمة واسعة في حياة الفرد وعلاقتها الوثيقة بمعيشته .

ونبه الإمام (عليه السلام) عمالهم ووجههم إلى ضرورة الالتزام بواجباتهم تجاه التجار القريبين منهم أو في أطراف البلاد ومراقبة بضائعهم وعدم الاحتكار وفي ذلك يقول الإمام (عليه السلام) لمالك: "وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك أن في كثير منهم فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع"[261].

قال تعالى: ((وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً))[262].

وأوصى الإسلام بعدم الاحتكار للبضائع والسلع فهو عمل غير مشروع ومعصية للخالق
سبحانه وتعالى ولا يجوز لأي شخص أن يمنع بضاعته من البيع من أجل الغلاء[263]

---

(258) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , ص56.
(259) القاضي النعمان: دعائم الإسلام , ص365.
(260) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , ص34.
(261) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , ص56.
(262) سورة الإسراء/ الآية (35).
(263) محمود: نظام الاقتصاد في الإسلام , ص52.

, وغلاء السعر يسيء الخلق ويذهب الأمانة ويضجر المرء المسلم[264], وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن الاحتكار في السلع بقوله: "لا يحتكر إلا خاطئ"[265], وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون"[266] .

وعملاً بأقوال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وجه الإمام علي (عليه السلام) مالك بقوله: "ذلك باب مضره للعامة وعيب على الولاة فأمنع من الاحتكار فأن رسول الله منع منه"[267].

وأوضح الإمام (عليه السلام) الأسلوب الواجب إتباعه في التعامل مع الرعية في البيع والشراء بقوله: "وليكن البيع سمما بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ممن قارف حكره بعد نهيك أياه فتكل به وعاقبه في غير إسراف"[268] .

وفي مراقبة الأسواق ومنع الغش في البيع والميزان قال تعالى: ((وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ))[269].

وقد أشار الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الأوزان بقوله: "كيلوا طعامكم فأن البركة في الطعام المكيل"[270] .

---

[264] الكليني: فروع الكافي , ج3 , ص160.

[265] مسلم: صحيح مسلم, ج2 , ص141.

[266] الكليني: فروع الكافي , ج3 , ص162.

[267] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , ص56.

[268] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة , ص56.

[269] سورة هود/ الآية (85).

[270] الكليني: فروع الكافي , ج 3, ص164.

ومن الأصول الفكرية التي استند إليها الفاطميون في تشريعاتهم التي تنظم العلاقة بين الحاكم والرعية هي رسالة الحقوق للأمام زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام ونشير منها إلى ما نصه :-

1- **حق الله :-** فأما حق الله الأكبر فهو عبادة الله سبحانه وتعالى وعدم الإشراك به وإذا تم ذلك بإخلاص فسوف يكفي الله على الناس أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لهم ما يحبون منها[271] .
2- **حق الصدقة :-** وإما حق الصدقة فهي ذخر الإنسان عند الله سبحانه وتعالى ووديعته التي لا تحتاج إلى شهود ويجب أن لا نمن بها على أحد ويشترط فيها الصدق في النية عند أعطائها[272] .
3- **حق الرعية :-** فيجب إعطاء الرعية حقوقهم ويجب على الوالي مراعاة حقوق الرعية بفضل من الله الذي يجب أن يكون شاكرا له وعارفا بحقه ومنزلته وفضل ما أعطاه[273] .
4- **حق المال :-** إن حق المال هو إن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا في محله ولا غرته عن مواضعه ولا تصرفه عن خصائصه أي يجب صرف المال في حاجته الملائمة له[274] .
5- **حق السائل:-** من حق السائل إعطاؤه الصدقة عند القدرة على سد حاجته والمعونة له في طلبه فأن ذلك من وسائل التقرب إلى الله[275] .

(271) زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام), (ت95هــ/713م): الصحيفة السجادية الكاملة, تقديم محمد باقر الصدر, منشورات الرضا, (بيروت 2008م), ص288.

(272) الصحيفة السجادية , ص293.

(273) الصحيفة السجادية , ص296-297.

(274) الصحيفة السجادية , ص306.

(275) الصحيفة السجادية , ص312.

6- **حق أهل ملتك :-** وهذا الحق على نحوٍ عام هو نشر السلام والرحمة والرفق بالمسيء والتآلف فيما بين الناس وصلاحهم وشكر محاسنهم فينظر السلطان إلى الكبير بمنزلة الوالد والصغير بمنزلة الولد وأوسطهم بمنزلة الأخ حتى نعم المودة والرحمة فيما بينهم جميعا[276] .

7- **حق أهل الذمة :-** يجب أن يقبل السلطان من أهل الذمة ما قبله الله منهم ويفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده إليه فيما طلبوا من أنفسهم وان يكون الحكم فيهم بما حكم به الله والرعاية فيهم في رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)[277] .

أمان جوهر الصقلي[278] :-

بقدوم جوهر الصقلي إلى مصر ودخول الفاطميين إليها سنة (358هـ/969م) وكما ذكرنا سابقا بأن مصر ظلت تحت سيطرة حكم جوهر حتى قدوم المعز لدين الله إليها ولذلك فأن كافة الأمور كانت بيد جوهر واليه ترجع كافة الصلاحيات في إدارة الحكم.

وقد ثبت حكم الفاطميين في مصر منذ اليوم الأول للفتح وذلك من خلال الأمان الذي أعطاه جوهر الصقلي للمصريين وغيرهم وقد احتوت هذه الوثيقة على الأمان على الأنفس والأموال وجميع أحوال البلاد.

ونظرا لأهمية آمان جوهر للبلاد لاسيما انه أشتمل على عدة جوانب منها سياسية واقتصادية واجتماعية ومالية فلا بد لنا من توضيح بعض الأمور المهمة فيه لما لها من علاقة وثيقة الصلة بموضوع دراستنا وتشمل ما يأتي:

---

[276] الصحيفة السجادية , ص314.

[277] الصحيفة السجادية , ص 314- 315.

[278] ابن الجوزي: المنتظم , ج14 , ص197 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص178-179.

1- الدفاع عن المصريين وحماية كرامتهم وإنقاذهم من الوضع الاقتصادي السيئ في عهد كافور الإخشيدي.
2- نشر العدل والمساواة بين كافة طوائف البلاد وإعانة المظلوم والشفقة والإحسان لهم.
3- إصلاح الطرقات وقطع عبث العابثين فيها (توفير الأمان للمواطنين).
4- الاهتمام بالحج والحجيج كنوع من الاهتمام بالخدمات الدينية .
5- تجويد السكة وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش فيها.
6- ترميم المساجد والإيفاد وإعطاء مؤذني المساجد وقومتها ومن يأتي إليها أرزاقها ودفعها لهم من بيت المال.
7- حرية الأديان وبقائهم على مذاهبهم وتعاليمهم الدينية على اختلافها من صلاة وصوم والأذان والزكاة والحج.
8- إعطاء الأمان التام لأهل الذمة في الأنفس والأموال والأهل ونعمتهم وضياعهم ورباعهم وكبيرهم وصغيرهم .

ولقد كان شعار الفاطميين الاجتماعي "سنملأ الأرض عدلا وإنصافا ... بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وأجحافاً "[279] , أما أهل الذمة في المجتمع المصري فقد أعطوا حقوقهم من الأمان بالقول "وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه"[280] , ونخلص إلى القول بأن جوهر الصقلي من خلال إعطاء المصريين هذا الأمان استطاع من إن يهيئهم لتقبل الفاطميين كرجال دولة جديدة تحكمهم ويرضون بهذا الحكم الذي من خلاله سيتم نشر العدل والمساواة بين الناس ورفع الظلم والتأكيد على حقوق الرعية باعتبارهم المادة الأساسية في الدولة .

---

[279] سيمينوفا: تاريخ مصر الفاطمية , ص8.
[280] المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1 , ص181 .

نورد نص العهد الذي قطعه جوهر على نفسه في الملاحق لأنه يمدنا بوصف تام لحالة العالم الإسلامي وقت الفتح الفاطمي, حيث يرسم لنا صورة واضحة للسياسة التي عول عليها الفاطميون على الأخذ بها من الوجهة السياسية والدينية في مصر خاصة , ولأن الأمان اشتمل على عدد من القضايا وحدد العديد من الحالات ومنها المالية لذا وجدنا من المناسب ورده ليتسنى لنا الوقوف على السياسة العامة للفاطميين تجاه المصريين .

تذكر المصادر إن الخليفة المعز لدين الله قد آمر القاضي النعمان(*) بوضع كتاب يبين فيه الأحكام الشرعية التي يسير عليها الناس وان يكون هذا الكتاب وفق أحكام أهل البيت (عليهم السلام) وقد رسم المعز لدين الله هذا الكتاب ثم راجعه بعد إتمامه فصلاً فصلاً ومقالاً مقالاً[281] , وقد جاء القانون الفاطمي الرسمي من خلال كتاب "دعائم الإسلام" وكان ذروة أعمال القاضي النعمان وجهوده بعد مضي أكثر من ثلاثين عاما[282], وهو يبحث في الفقه الاسماعيلي ويقع في مجلدين ضخمين وقد ذكر فيه الأحاديث المروية عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته وهناك أحاديث مروية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)[283] , وهذا ما يوضح بأن الخلافة الفاطمية قد سارت وفق نهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في تسيير أمورهم ومعيشتهم لاسيما انه اشتمل على أمور مختلفة من

(*) القاضي النعمان ويكنى أبا حنيفة كان من أوعية العلم والفقه والدين وكان في غاية الفضل من أهل القران والعلم بمعانيه, وعالماً بوجوب الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر وكان ملازما صحبة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ووصل معه الديار المصرية ولما مات صلى عليه الخليفة المعز لدين الله. للمزيد ينظر: اليافعي: مرآة الجنان, ج2 , ص285.

[281] المؤيد في الدين الشيرازي, هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود (ت470هـ/1077م): ديوان المؤيد في الدين , تحقيق محمد حسين كامل , دار الكتاب المصري, (القاهرة 1949م), ص7.

[282] دفتري , فرهاد: الاسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم , ترجمة سيف الدين القصير , دار المدى للثقافة والنشر, (سوريا 1999م) , ص134.

[283] القاضي النعمان: دعائم الإسلام , ص3.

العبادات والعلم والطهارة والجنائز والزكاة والصوم والحج والجهاد على الرغم من عدم التزام بعض الخلفاء الفاطميين في هذا الجانب.

إن الدعائم لا يمثل الدستور الأسمى للدولة الفاطمية وحسب ودستورها المدني أيضا[284] , ويُعدَّ هذا الكتاب أهم كتب الفقه الاسماعيلي إلى درجة إن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حين أبقى القاضي أبا طاهر[*] اشترط عليه الحكم بفقه آل البيت كما هو مدون في كتاب دعائم الإسلام والحال هو نفسه في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فقد اشترط على دعاته أن تكون فتواهم حسب كتاب دعائم الإسلام[285].

فكتاب الدعائم هو أول نص فقهي يفسح مكانا قانونيا للولاية ولم تكن الولاية فيما يخص الفاطميين مجرد اعتقاد ديني بل هي الأساس الذي قامت عليه دعواهم بالزعامة السياسية للأمة الإسلامية[286].

(*) أبو طاهر بن عوف هو إسماعيل بن بكر المعروف بابن عوف الزهري الاسكندراني المالكي ,تفقه على يد أبي بكر الطرطوشي وسمع منه ومن أبي عبد الله الرازي برع في المذهب وتخرج به الأصحاب. ينظر: اليافعي: مرآة الجنان , ج3 , ص317.

(284) دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط , ص135.

(285) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات , ص14.

(286) دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط , ص135.

المساجد[*]:

تعد المساجد من أهم المظاهر الدينية والثقافية والاجتماعية عند المسلمين, فقد اختلفت وظائف المسجد وشملت نواحي متعددة ولهذا يَعّد المسجد الدعامة الرئيسة في بناء الدولة العربية الإسلامية لما له من أثر حقيقي في توجيه المجتمع الإسلامي نحو الالتزام بالعقائد والفرائض الإسلامية التي كانت من أهم ما تدعو إليه هو احترام الإنسان وتلبية حاجاته ومتطلبات العيش الكريم.

أما عن مدلول كلمة المسجد في اللغة والاصطلاح فهي تعني بكسر الجيم آسم مشتق من الفعل "سجد" أي مكان السجود ويفتح الجيم هو موضع السجود أينما كان ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض لأداء الصلاة تعظيماً لله سبحانه وتعالى[287], إما المعنى الاصطلاحي لكلمة المسجد فيأتي من اجتماع المصلين فيه لصلاة الجماعة كما يطلق لفظ الجامع أو المسجد على المساجد الكبيرة التي تستوعب أعداداً كبيرة من المسلمين[288], واقترنت صفة الجامع _وهي نعت للمسجد_ فأخذ يطلق على الجامع الكبير مصطلح المسجد الجامع لشيوع

(*) ورد ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في القران الكريم بلفظها ثمان وعشرين مرة وهي على النحو الآتي: سورة البقرة الآية (114-144-149-150-187-191-196-217) وسورة التوبة الآية (7-17-18-19-28-107-108-109) وسورة الإسراء الآية (1, 7) وسورة الأعراف (29, 31) وسورة الفتح (25, 26) وسورة الأنفال الآية (34) والمائدة الآية (2) وسورة الحج الآية (25, 40) وسورة الجن الآية (18) وسورة الكهف الآية (21).

(287) الجوهري, إسماعيل بن حماد (ت393ه/1002م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور عطا, دار العلم للملايين, ط3, (بيروت 1984م), مادة سجد,ج2, ص483 ؛ الرازي: مختار الصحاح, ص121؛ ابن منظور: لسان العرب, ج8, ص53؛ الفيومي, أحمد بن محمد بن علي المغربي (ت770ه/1368م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, المطبعة الأميرية, (بولاق 1939م), ص226؛ التهانوي, محمد علي(1185هـ/1695م): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم, تحقيق رفيق العجم, مكتبة لبنان ناشرون ,(بيروت 1996م) ,ج2, ص1535.

(288) المقريزي: الخطط ,ج3, ص553؛ عطية الله, أحمد: القاموس الإسلامي, مطبعة المعرفة, (القاهرة 1963م), ص588؛ رضا محمد: معجم متن اللغة, (بيروت 1959م), م3, ص107.

المساجد الكبيرة في الأقاليم ابتداءً من العصر الأموي[289], فكلمة الجامع هي كلمة مرادفة للمسجد وصفة له لأنه علامة الاجتماع من جمع الشيء من تفرقه يُجْمَعُهُ جَمعًا[290], قال تعالى: ((. . أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ . .))[291] .

يعد المسجد في الأساس مركز الدعوة الإسلامية والنواة التي تنشأ حولها الجماعة الإسلامية إذ تؤدي الفرائض الدينية وتبلغ به التعاليم الإسلامية للناس[292], وأول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء وكانت تعقد فيه حلقات دينية وحينما دخل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) المدينة بنى مسجده ليشجع المهاجرين والأنصار على النشاط والسرعة في العمل وجلس فيه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ليعلم أصحابه أمور دينهم ودنياهم[293] .

وشكل المسجد ولاسيما في العصور الإسلامية الأولى مركزاً للحركة الفكرية فكان مكان للتجمع والاستزادة في العلم ومكان السكن عند الاقتضاء وليس للعبادة فقط, بل إن المساجد الكبيرة عُدت بمثابة الجامعات حالياً[294], والوظيفة الأولى للمسجد هي وظيفة دينية الغرض منها أداء شعائر الله وتتمثل بإقامة الصلاة وتتولى الدولة مسؤولية إنشاء المساجد وترميمها وعمارتها[295], ومما ذكر في فضل

---

(289) البكاء, أمين السيد خلف: المسجد في الإسلام حتى نهاية العصر الأموي (دراسة في الجوانب الوظيفية والفنية) , شركة الحسام للطباعة, (بغداد 2002م), ص13.

(290) الرازي: مختار الصحاح, ص46 ؛ ابن منظور: لسان العرب, ج8, ص53؛ ابن الحاج, أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت737هـ/1335م): مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة, دار الحديث, (القاهرة 1981م) , م1, ص85.

(291) سورة يونس, الآية (71) .

(292) مؤنس, حسين: المساجد , (الكويت 1981م), ص42- 43.

(293) الابراشي, محمد عطية: تاريخ علماء المسلمين وأثارهم في التربية, ط4, دار النهضة العربية, (لا.م 1996م) , ص75.

(294) لوبون, غوستاف: حضارة العرب, ترجمة عادل زغيتر, ط3 , (القاهرة 1956م), ص42.

(295) ماجد, عبد المنعم وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية, ط2, (الكويت 1968م), ص92؛ عاشور: دراسات في تاريخ الحضارة , ص237.

المسجد والصلاة فيه قول الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم): "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس"[296].

وعلاوة على ذلك فالمسجد فضلا عن كونه مكان للصلاة والعبادة فهو أفضل بقعة على الأرض وأطهرها وأحب الأماكن إلى الله مساجدها فقد أحبها الله وحب من فيها, قائلاً: ((...فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ))[297], وأحصى المقدسي[298] خلال مكوثه في القاهرة في أثناء رحلته إليها في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مئة وعشرة مجلس من مجالس العلم وبذلك يكون للمسجد وظيفة ثانية هي الوظيفة التعليمية, فالمسجد في الإسلام ليس مكانا للصلاة فحسب بل هو مدرسة لدراسة العلوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث نبوي وغيرها من العلوم إذ لا غرابة في ذلك إذا علمنا إن الإسلام كان يحث على العلم والتعلم فكان طلب العلم مرادفاً للعبادة أيضاً, انه مكان للعبادة وهي ليست مجرد شعائر بل أنها إيمان وعلم وخلق[299], والمساجد مجالس الكرام[300], وقد سمي الدرس الذي يعطى في المسجد حلقة, لأن الطلاب ينتظمون على شكل

---

(296) مسلم, صحيح مسلم: ج1, ص347؛ الترمذي: سنن الترمذي, ج2, ص129؛ أبو داود: سنن أبي داود , ج1, ص182.

(297) سورة التوبة/ الآية 108 .

(298) احسن التقاسيم, ص171؛ القرشي, باقر شريف: النظام التربوي في الاسلام (دراسة مقارنة), دار المعارف, (سوريا 1988م), ص192.

(299) عبد الله, عبد الرحمن صالح: تاريخ التعليم في مكة المكرمة, دار الفكر, (بيروت لا.ت), ص38.

(300) السمعاني, أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1166م): أدب الإملاء والاستملاء, تحقيق سعيد محمد اللجام, منشورات دار ومكتبة الهلال, (لا.م 1989م), ص55.

نصف دائرة أو حلقة حول شيخهم لتلقي الدرس[301] , والحلقة هي كل شيء استدار وجمع من الناس على شكل حلقة وأيضا جمع من الطلاب حول الشيخ[302] .

وما يهمنا هنا في مجال البحث هو بيان دوافع بناء المساجد عند الفاطميين وأداء الخدمة فيها وهو ما قاموا به من خلال اهتمامهم بها من الناحية الدينية والثقافية, وأول جامع بُني في مصر في عهد الفاطميين بعد دخول جوهر الصقلي لها سنة358هـ/969م هو الجامع الأزهر, من الواضح إن الفاطميين أرادوا تقديم أفضل الخدمات للمصريين ولاسيما بعد المكاتبات العديدة التي طلب فيها سكان مصر الأصليين بضرورة القدوم وتخليص مصر من الفاقة التي يعانون منها في عهد الإخشيد وما آلت إليه الأمور من تدهور في مجالات الحياة كافة ولاسيما في مجال تقديم الخدمات للناس, إذ إن من واجب الدولة تقديم أفضل الخدمات لرعاياها وهذا ما سنوضحه من خلال اعتناء الفاطميين بالجانب الخدمي الديني والثقافي.

الجامع الأزهر :

تجسدت العمارة عند المسلمين في بناء المساجد وشرع الفاطميون عند دخولهم مصر بعدة جوانب مهمة منها العمارة فقد قاموا ببناء المساجد قبل بناء القصور أو القلاع أو المدارس إذ يُعدُّ المسجد الركيزة الأولى في حكم الدولة العربية الإسلامية, والجامع الأزهر هو أول جامع قام ببنائه الفاطميون وهو أول عمل معماري فاطمي عاصر تأسيس القاهرة وما زال شامخا ليومنا هذا[303], وقد شرع في بنائه القائد جوهر الصقلي ليصلي فيه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وليكون مسجداً جامعاً للقاهرة وأعَّد ليكون معهدا لتعليم الفقه الفاطمي ونشره[304], ويبدو أنّ

---

(301) الترمذي: سنن الترمذي ,ج3 , ص354.

(302) خورشيد , إبراهيم زكي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية, دار الشعب, (القاهرة لا.ت), ص344.

(303) الياور, طلعت: العمارة العربية الإسلامية في مصر, جامعة بغداد, (بغداد 1989م), ص156.

(304) عبد الوهاب, حسن: تاريخ المساجد الأثرية, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1946م), ج1, ص58.

الهدف من إنشاء الجامع الأزهر هو السير على التقاليد الإسلامية المتبعة عند فتح المدن وهي إنشاء الجوامع لأداء الصلاة ومكان لانعقاد الاجتماعات في مختلف الشؤون, والأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى التي وضحت علوم الدين فيسرت سبلها وحفظها من الضياع وظلت باقية حتى اليوم[305].

وهو أول مسجد أسس بالقاهرة وشرع في بنائه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة (359هـ/970م) وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة (361هـ/972م)[306], فهو أول بيت وضع للناس بها[307], ليكون رمزاً للدعوة الفاطمية ومنبراً للإمامة الجديدة[308], واختلف المؤرخون في أصل تسمية الجامع الأزهر فقال بعضهم انه سمي بالأزهر لإحاطته بالقصور الزاهرة إما الرأي الآخر فيسمى

---

(305) الخولي, علي محمد الشاذلي: دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , (القاهرة لا.ت) ص42.

(306) الزركشي, محمد بن عبد الله (ت749هـ/1348م): إعلام الساجد بأحكام المساجد, تحقيق الشيخ أبو الوفاء مصطفى المراعي,(القاهرة 1384هـ), ص32؛ المقريزي: الخطط ,ج3, ص213؛ السيوطي: حسن المحاضرة ,ج2, ص195؛ الكروي: إبراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين, المرجع في الحضارة العربية الإسلامية, ط2, منشورات ذات السلاسل, (الكويت 1987م), ص493؛ أحمد, حسن خضيري: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب, مكتبة مدبولي, (القاهرة 1966م), ص160؛ عمارة , محمد: عندما أصبحت مصر عربية (دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي), المؤسسة العربية للدراسات والنشر, (بيروت 1974م), ص71 ؛ سرور, الدولة الفاطمية, ص68.

(307) ابن ظهيرة, جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (ت986ه/1578م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة, تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس, دار الكتب, (لا.م 1969م), ص182.

(308) عنان, محمد عبد الله: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية, دار النشر الحديث, (القاهرة لا.ت), ص30.

الأزهر بذلك من باب التفاؤل في مجال العلوم والازدهار فيها[309], وعلى الأرجح إن سبب هذه التسمية هي لانتسابهم إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام)[310] .

يقع الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي من القاهرة[311], وكان يتوسط وقت إنشائه العاصمة الفاطمية "القاهرة" ويقع على مقربة من القصر الفاطمي الكبير[312] الذي كان موجوداً بين حي الديلم شمالاً و حي الترك في الجنوب[313]

وأنشئ بالأزهر عند تأسيسه منارة واحدة ثم أصبح فيما بعد خمسة منارات يؤذن عليها في أوقات الصلوات الخمس وفي ليالي رمضان والمواسم[314], ثم الانتهاء من إنشاء الجامع سنة361هـ/972م وقد وصفه ابن حوقل بأنه: "مسجد نظيف حسن غزير القوم والمؤذنين"[315], واشتمل الأزهر على مكان مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنا, عدا الملحقات التي تتبع المساجد من منارات وغيرها[316] .

كانت مساحة الجامع مستطيلة الشكل تقريبا 88×70م وتمتد في موازاة جدار القبلة بأتكات من أعمدة تحمل عقودا مدببة وتحصر بينها خمس بلاطات عرض

---

[309] حسن: تاريخ جوهر الصقلي, ص95 .

[310] العقاد, عباس محمود: فاطمة الزهراء والفاطميون, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, (القاهرة لا.ت), ص130 .

[311] الصالح, محمد بن احمد بن صالح: المسجد جامع وجامعة, مكتبة الملك فهد الوطنية, (الرياض 2000م), ص170.

[312] سرور:الدولة الفاطمية, ص174؛ المناوي: الوزارة والوزراء, ص106؛ عنان, محمد عبد الله: تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, (القاهرة 1942م), ص23 .

[313] محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة, دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف, يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة, (لا.م 1963م), ص7؛ سليمان, صبحي: موسوعة المدن العربية, مكتبة الإيمان, (المنصورة 2006م), ص12.

[314] حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص535.

[315] ابن حوقل: صورة الأرض, ص147.

[316] حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص535.

كل منها 4م تقريبا ويقطع امتداد هذه البلاطات مجاز أو ممر يتجه عمودياً على المحراب وترتكز عقوده على أعمدة رخامية[317], في أواخر سنة (365هـ/975م) وفي أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة في جمع حافل من العلماء والكبراء واثبت أسماء الحاضرين فكانت هذه أول حلقة للتدريس في الجامع الأزهر[318] .

وهي بداية متواضعة لحركة دراسية متواضعة لكنها كانت بداية جامعية في معنى من المعاني, وفي أوائل عهد الخليفة العزيز بالله تحول الجامع الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم, ففي رمضان سنة (365هـ/980م) جلس يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله وقرأ على الناس كتابا ألفه في الفقه الشيعي المعروف (الرسالة الوزيرية) نسبة إلى مؤلفها الوزير وحضر المجلس سائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة[319] , وفي سنة 370هـ/986م استأذن يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله في تعيين جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم في كل جمعة بعد صلاة العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً ورتب الخليفة العزيز بالله لهم أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة

---

[317] الباشا, حسن وآخرون: القاهرة تاريخها فنونها أثارها, مؤسس الأهرام, (القاهرة 1970م), ص454–455؛ فكري, احمد: مساجد القاهرة ومدارسها(العصر الفاطمي), دار المعارف, (مصر 1965م), ص48.

[318] المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص276؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص41 ؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة, ص8؛ محمد, سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, جمهورية مصر العربية, يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة, (القاهرة 1971م), ج1, ص166؛ الشيال, جمال الدين: تاريخ مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي), دار المعارف , (الإسكندرية 1967م), ج1, ص228.

[319] المقريزي: الخطط , ج2, ص380؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص42؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة, ص9؛ الشيال: تاريخ مصر الإسلامية, ص228–230 ؛ سرور: الدولة الفاطمية, ص174؛ المناوي: الوزارة والوزراء, ص106.

وانشأ داراً بجوار الأزهر لهم وكان يجري لهم الوزير يعقوب بن كلس أموال في كل سنة[320] .

احتوى الجامع الأزهر على عدة أروقة محاطة بالجامع التي كان يسكنها الطلاب الغرباء, وكان الطلبة يدرسون في الجامع الأزهر الذي تحول إلى جامعة الأزهر[321], علماً أنّ ما نسميه جامعة الأزهر في بناء كبير ملحق بالجامع, وأما ما يخص الطلبة الغرباء فقد بنيت لهم مدينة خاصة تدعى مدينة البعوث[322] .

مدينة البعوث هي بنايات عديدة, كل واحدة منها تتكون من أربعة ادوار وفي طرفها مسجد حديث وفيها مكان حلاق وآخر سمَّان وثالث لماسح الأحذية, ويحيط بالمجموع سور, له باب يقف عليه شرطي وقد أنشأت المدينة والمدرسة للطلاب الغرباء الذين يقصدون الأزهر للدراسة وكانت كل غرفة تحتوي على 26 سرير لـ 26طالبا[323] .

مكتبة الأزهر :-

كانت مكتبة الأزهر تحتل أربعين حجرة من القصر الشرقي الكبير ويذكر أَنّ عدد مقتنياتها من الكتب بلغ ستمئة إلف ومليون مجلد وقيل مليونين وكانت الكتب كلها محفوظة في صواوين معلقة عليها قوائم بمحتوياتها ويقوم على أمانتها أمين يعمل معه مساعدون وناسخون وخدم وفراشون رتبت لهم رواتب وعين لها ميزانية خاصة لصيانتها وإصلاح ما يصيبه التلف من أثاثها وفرشها واقتناء ما

---

(320) القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص361؛ المقريزي: الخطط, ج3, ص213؛ محمد, سعاد ماهر: مساجد مصر, ص167؛ الشيال: تاريخ مصر الإسلامية, ص230؛ أيوب, رزق الله إبراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي, الشركة العالمية للكتاب, (لبنان 1996م), ص155؛ الديوه جي, سعيد: التربية والتعليم في الإسلام , ص93.

(321) مغنية , محمد جواد: من هنا وهناك, مؤسسة الأعلمي, (بيروت 1388هـ), ص123.

(322) مغنية: من هنا وهناك , ص123.

(323) مغنية: من هنا وهناك , ص127.

يلزم من الأقلام والأحبار للناسخين[324], ومن نظم الأزهر نظام الأروقة والرواق هو البناء الذي يسكنه جماعة من الطلبة ينتمون إلى جنسية واحدة أو مذهب واحد كرواق المغاربة و رواق الأتراك و رواق الحنفية, وقد حرص الذين انشئوا الأروقة إن يكون لكل رواق مكتبة خاصة به غالبا كان كل ما بها من كتب يفقهها أهل البر والأغنياء من المسلمين وكانت هذه المكتبات لا تخضع لأنظمة المكتبات المعروفة لدى ما هي اقل منها أهمية فهي كانت غالبا ما توفر قاعات للمطالعة وصيانة مستمرة من قبل الخلفاء الفاطميين[325] .

نظام الدراسة في الأزهر :-

كانت الدراسة تسير على نظام سهل ,فقد كان الطالب يدخل الأزهر مختارا بلا قيد أو شرط ويختلف إلى من أراد من العلماء ويبقى فيه ما شاء إن يقيم فإذا انس من نفسه علماً كافياً استأذن أساتذته وجلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على الطلبة فإذا لم يجدوا فيه الكفاية انصرفوا من حوله وإذا وجدوه على علم وثقوا به واستمروا على نصفي العلم عنه وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر آجازه[326], وقد بدأت الدراسة فيه على نظام الحلقات الدراسية ومجالس الدروس الخاصة[327], وكان هناك أستاذ اكبر للمادة يشرف على من هم اقل منه , وكان الطالب يصح أن يجاز في مادة ويرجأ في مادة أخرى, وكانت الشهادات تعطى له من الأساتذة وتسمى "إجازة" وكان للطالب منتهى الحرية في اختيار المادة والأستاذ وله الحرية في

---

(324) سلام, محمد زغلول: الأدب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتاب), منشأة المعارف, الإسكندرية, لا.ت, ص163؛ مصطفى, محمود: الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأموي, قدم له شوقي ضيف, دار الكتاب العربي,(القاهرة 1967م), ص249؛ عطا الله: الحياة الفكرية في مصر, ص161؛ حمادة, محمد ماهر: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها, مؤسسة الرسالة, (بيروت 1970م), ص208.

(325) حسين , محمد كمال: انتشار الإسلام , دار الفكر العربي, (لا.م 1976م), ص74 .

(326) الخولي: دور المساجد التاريخي , ص48.

(327) الصالح: المسجد جامع وجامعة , ص76 .

الغياب والحضور[328], وكان أساس الدراسة المناقشة والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يسمي فيهم ملكة الفهم[329]

علماء الأزهر :

من أشهر العلوم التي درُست في الأزهر هي علم التوحيد والفقه واللغة العربية والرياضيات والمنطق والتاريخ وغيرها لذا فقد تعدد العلماء الذين درسوا في الأزهر تبعا للعلوم التي درُست فيه وعن أشهر هؤلاء هم بنوا النعمان ومنهم علي بن النعمان (ت374هـ/984م), حيث كان له الأثر البارز في الحياة العلمية في العصر الفاطمي ولاسيما في بداية نشأتها وقد تميز بالعلم والفقه كأبيه النعمان ومن الجدير بالذكر انه كانت له عدة حلقات تعقد في مجالس في الجامع الأزهر[330] .

وبرز أيضا من بني النعمان محمد بن النعمان(ت389هـ/998م)[331], ومن العلماء الذين درسوا في الجامع الأزهر هو ابن باشاذ (ت470هــ/ 1077م) مصاحب المصنفات المفيدة ومنها المقدمة المشهورة وشرحها وشرح الجمل للإمام الكبير الزجاجي وشرح كتاب الأصول لابن السراج ومسودات في النحو وتوفي قبل إتمامها وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه[332], وبرز في التدريس في الجامع الأزهر ابو القاسم الرعيني الشاطبي[333] والفقيه الحسن بن الخطير

---

[328] الصالح: المسجد جامع وجامعة , ص170– 172.

[329] الخولي: دور المساجد التاريخي , ص48.

[330] ابن حجر العسقلاني, أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م): رفع الآصر عن قضاة مصر, تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد مهدي ومحمد إسماعيل, المطبعة الأميرية , (القاهرة 1957م), ج2, ص207؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص92؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر أثر وثقافة , ص24 .

[331] الكندي: الولاة والقضاة, ص198؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص92؛ الصالح: المسجد جامع وجامعة, ص173.

[332] اليافعي: مرآة الجنان, ج3 , ص76 ؛ عنان: تاريخ الأزهر , ص91.

[333] السيوطي: حسن المحاضرة, ج1, ص496–498 ؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص92؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة , ص24.

الفارسي[334], ومن المؤرخين الذين برزوا في التدريس هو المسبحي (ت420هـ/1029م) وكان من رجال الدولة وكبارها تولى الوزارة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وتقلد الأعمال والولايات[335], إما القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي, فقد ولد في مصر في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وتوفي بها سنة (454هـ/1062م) كان إماماً في الفقه والحديث وتولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وقد أوفده الخليفة سفيراً إلى ثيودورا إمبراطورية قسطنطينية سنة (447هـ/ 1055م) ليحاول عقد الصلح بينهما ومن أهم مؤلفاته المختار في ذكر الخطط والآثار وعيون المعارف[336], وبلغت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كبيرة من النمو والازدهار لكثرة العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا إليها وكثرة المؤلفات في كل فن من فنون العلم[337] .

---

(334) السيوطي: حسن المحاضرة, ج1, ص494 ؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص92 ؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة , ص25 .

(335) اليافعي: مرآة الجنان, ج3, ص28–29؛ الذهبي: أبو محمد بن احمد: سير أعلام النبلاء, تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي, ط9, مؤسسة الرسالة, (بيروت 1413هـ), ج17, ص361–362 ؛ عبد المنعم, صبحي: تاريخ مصر السياسي والحضاري (من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين), العربي للنشر والتوزيع, (القاهرة لا.ت), ص179؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص89.

(336) اليافعي: مرآة الجنان, ج3, ص58؛ عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1931م), ص37–38؛ الصالح: المسجد جامع وجامعة, ص173؛ محمد, سعاد ماهر: الأزهر اثر وثقافة, ص24؛ الراجحي, زكية عبد السلام: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية, منشورات جامعة قاريونس, (ليبيا, 2008م), ص121.

(337) الأمين, حسين: الدولة الفاطمية, بحث منشور في مجلة الموسم, العددان 69–70 لسنة 2008م, ص311.

جامع الحاكم :

أسس هذا الجامع الخليفة العزيز بالله سنة (380هـ/990م) خارج باب الفتوح وخطب له فيه سنة (381هـ/991م), بيد انه توفي ولم يكمل بناؤه فأتمه من بعده ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله[338] سنة (403هـ/1012م), بعد أَنْ بدا بالعمل به سنة(393هـ/1002م) وانفق عليه أربعين إلف دينار ثم أمر بإمداد خمسة آلاف دينار أخرى[339], وعندما انتهى من تشييده تم فرشه بأنواع فاخرة من الستائر الدبيقية وعلق به أربعة تنانير من الفضة وأربعمئة قنديل فضة مذهبة وفرشه بأجود أنواع الحصر ونصب فيه منبراً وكان يعرف باسم جامع الخطبة ويقال له الجامع الأنور[340].

وقد سمي باسم جامع الحاكم نسبة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله[341] , انفق الخليفة الحاكم بأمر الله على بناء الجامع أربعين ألف دينار وحبس عليه أعمدة وقياسر

---

[338] ابن عبد الظاهر, محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت692هـ/1293م): الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة, تحقيق أيمن فؤاد وسيد, مكتبة الدار العربية للكتاب, (القاهرة 1996م), ص68 ؛ ابن أيبك: كنز الدرر, ج6, ص269 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3, ص222؛ السيوطي: حسن المحاضرة, ج2, ص196 ؛ الناطور, شحادة وآخرون: الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري , دار الثقافة , دار الأمل, (الأردن 1990م), ص352 ؛ الشوربجي, أمينة احمد إمام: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1994م), ص447 ؛ محمد, سعاد ماهر: مساجد مصر, ص253 ؛ فكري: مساجد القاهرة , ص63.

[339] حسن: تاريخ الدولة الفاطمية, ص539 ؛ الشوربجي: رؤية الرحالة, ص447 ؛ أيوب: التاريخ الاجتماعي, ص159-160 .

[340] الشوربجي: رؤية الرحالة , ص447 ؛ أيوب: التاريخ الفاطمي, ص160 ؛ فكري: مساجد القاهرة, ص63.

[341] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص222 ؛ السيوطي: حسن المحاضرة ,ج2 , ص196.

وأملاك للانفاق عليه في سنة 404هـ[342] ولم تنقطع فيه الحركة العلمية منذ تأسيسه سنة 380هـ/990م[343] .

جامع راشدة :

بدأ ببناء هذا الجامع في 17ربيع الثاني سنة 393هـ/1003م وكان في المكان الذي بنى فيه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى , وقد اشتق اسمه من اسم الخطة التي بني فيها وهي خطة راشدة[344], واكتمل بناؤه سنة (395هـ/1005م) وفرش وعلقت فيه القناديل وأصبح معداً للصلاة[345], وفي رمضان سنة 398هـ صلى الخليفة الحاكم بأمر الله به وبدأت فيه صلاة الجمعة[346] ونقلت للجامع المصاحف والستور والحرير وقناديل الذهب والفضة[347] وأقام الرواتب لمن يأوي من المساجد من الفقراء والقرّاء والغرباء وأبناء السبيل وأجرى لهم الأرزاق[348], وقد أوقف[*] الخليفة الحاكم بأمر الله بعض أملاكه بمصر والقاهرة على الجامع[349]

---

[342] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص222 ؛ مؤنس: المساجد , ص218.

[343] الديوه جي: الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم , ص29.

[344] ابن دقماق, إبراهيم بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1399م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار(في تاريخ مصر وجغرافيتها), تحقيق لجنة أحياء التراث العربي, دار الآفاق الجديدة, (بيروت لا.ت), ج4, ص78؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج3 , ص345 ؛ المقريزي: الخطط , ج3, ص234 ؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج4 , ص177 ؛ السيوطي: حسن المحاضرة, ج2, ص196 .

[345] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص234 ؛ الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين , ص446 .

[346] حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص539 ؛ الشوربجي: رؤية الرحالة , ص446 .

[347] ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة , ج4 , ص177.

[348] ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة , ج4 , ص244.

(*) ينظر: ملحق رقم (2).

[349] المقريزي: الخطط , ج2 , ص230-232.

جامع المقس :

انشأ هذا الجامع الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس وهي بلد قديم قبل الفتح , ومن بين الأوقاف التي أوقفها الحاكم شملت جامع المقس[(350)] فضلاُ عن الجامع الأزهر والجامع الحاكم ودار العلم .

وقد أورد المقريزي[(351)] تلك الوقفية ما نصه :-

"ويكون جميع ما بقي , مما تصدق به على هذه المواضع يعرف في جميع ما يحتاج إليه في جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العيدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره " .

الجامع العتيق في باسنا :-

انشأ هذا الجامع الوزير بدر الدين الجمالي الذي كان مغرما بالعمارة وله أعمال كثيرة في هذا المجال , وكان بناء الجامع العتيق في النصف من شهر ذي الحجة سنة (469هـ/1077م) وكان تحت إشراف القاضي أبي الحسين علي بن احمد بن محمد بن النضر[(352)], وقد ورد نص للأدفوي عن هذه الأسرة وعن الجامع ما نصه :-"وبنو النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنوا جامع الخطبة باسنا بعد العشرين وأربعمئة وبنى الزيادة التي فيه علي بن محمد في سنة تسع وخمسين وأربعمئة للهجرة وكان آذ ذاك ناصر الاحباس بالأعمال القوصية"[(353)] .

---

(350) المقريزي: الخطط , ج3, ص237؛ السيوطي: حسن المحاضرة , ج2 , ص196؛ حسن إبراهيم: الدولة الفاطمية , ص538 ؛ أيوب: التاريخ الفاطمي , ص158 .

(351) الخطط ,ج3 , ص237 ,

(352) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية , ص65 ؛ محمد, سعاد ماهر: مساجد مصر, ص274 .

(353) الادفوي, كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب (ت748هـ/1350م): الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد, المطبعة الجمالية بحارة الروم, (مصر 1914م), ص17.

جامع الفيلة :

بنى هذا الجامع الأفضل بن شاهنشاه بن بدر الجمالي أمير الجيوش في شعبان سنة 478هـ/1085م وبلغت النفقة عليه ستة آلاف دينار[354] ويقع على سطح الجرف المطل على بركة الحبش وسمي بذلك لان في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر أذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيله كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد[355] .

أقامت الدولة الفاطمية الاحباس للمساجد والجوامع التي اشرف عليها قاضي القضاة فهو الوكيل والقيم عليها ويتم تسجيلها بديوان المفرد[356] .

جامع الجيوشي :-

بنى هذا الجامع بدر الجمالي عام 478هـ/1085م ويقع على سفح جبل المقطم "وهي تشرف على منطقة القرافة الصغرى" ويتميز بمئذنته الفريدة وهي تعلو المدخل وتتكون هذه المئذنة من برج مربع ينتهي من أعلاه بشرفة حافتها مكونة من المقرنص , وقد نقش تاريخ إنشائه على لوحة من الرخام تعلو عقب المدخل الرئيس وتتكون الكتابة من خمسة سطور من الخط جاء فيها:

مما أمر بعمارة هذا المشهد[*] المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين

---

(354) المقريزي: الخطط , ج3 , ص251 .

(355) دخيل, محمد حسن: الدولة الفاطمية (الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية), مؤسسة الانتشار العربي, (بيروت 2009م), ص154.

(356) أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي , ص161.

(*) ورد جامع الجيوشي عند محمد, سعاد ماهر: في كتاب مساجد مصر, ج1, ص282. بأسم زاوية ومسجد في آن واحد .

وسلم إلى يوم الدين السيد الآجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمئة[357] .

الجامع الأقمر :-

انشأ هذا الجامع الخليفة الآمر بأحكام الله[*](495-524هـ/1101-1130م) سنة (519هـ/1118م) وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح واشرف على بنائه الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك ودون اسمه مع اسم الخليفة في النصوص التاريخية التي كتبت على واجهة المسجد[358] .

---

(357) ماجد, عبد المنعم: التاريخ السياسي للفاطميين, ص400-401 ؛ محمد, سعاد ماهر: مساجد مصر, ص284؛ دخيل, الأسرة الجمالية, ص152؛ مؤنس: المساجد, ص219 ؛ المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي, ص128؛ عكاشة, ثروت: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية, دار الشروق, (القاهرة 1977م), ص193 .

(*) الآمر بأحكام الله: هو أبو علي المنصور بن المستعلي الملقب "الآمر بأحكام الله" وهو الخليفة السابع في مصر من الخلفاء الفاطميين, بويع له في اليوم الذي مات فيه أبوه وهو طفل وله خمس سنين فقام بدولته الأفضل وزير أبيه أحسن قيام وحسنت حال الرعية في أيامه. للتفاصيل ينظر: ابن الجوزي, المنتظم, ج17, ص257؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص157؛ أبو الحسن الروحي, علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء, تحقيق عماد احمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن وسعاد محمود عبد الستار, أشراف ومراجعة أيمن فؤاد سيد, (القاهرة 2004م), ص330؛ ابن ميسر: أخبار مصر, ج2, ص56 ؛ ابن سعيد: المغرب, ص83؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول, ص176؛ ابن تغري بردى, النجوم الزاهرة, ج5 , ص168 .

(358) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص73 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3, ص253؛ السيوطي: حسن المحاضرة ,ج2 ,ص196 ؛ عبد الوهاب: تاريخ المساجد ,ص69.

أما مبلغ الإنفاق فيه فقد بلغ مئتي ألف دينار ولم يكن بنائه على نحوٍ ضخم مثل الجامع الأزهر إلا انه بعد من الدقة والجمال وحسن بنائه وكانت واجهة المسجد تحتوي على كتابات كوفية دقيقة ونقوش وزخارف[359] .

وأوقف على الجامع دار النحاس وحمام شمول ورتب له المؤذنين والخطباء[360].

الجامع الظافر :

ويسمى أيضا الجامع الأفخر أو الفكاهيين شيده الخليفة الظافر بنصر الله[*] (544-549هـ/1149-1154م) وقد تم إنشاؤه وسط القاهرة وأوقف عليه أوقافا كثيرة من الحوانيت للإنفاق على خدمه وقرائه وقد أقيمت به حلقه للتدريس واجتمع فيه عدد من الفقهاء والمفسرين[361] .

---

[359] قراعة , سنية: مساجد ودول, مطابع دار أخبار اليوم , (القاهرة 1958م), ص142.

[360] المقريزي: الخطط , ج3, ص253؛ مؤنس: المساجد, ص219؛ حسن, الدولة الفاطمية, ص540؛ عكاشة: القيم الجمالية, ص196.

(*) الظافر بنصر الله: وهو أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ الملقب الظافر بأمر الله بويع له في اليوم الذي توفي فيه أبوه ووزر له العادل بن سلار وكانت مدة خلافته خمس سنين وستة أشهر وأيام. للمزيد ينظر: ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة, ص171؛ الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد, ص75؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب, ص89؛ أبي الحسن الروحي: بلغة الظرفاء , ص342.

[361] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية, ص74؛ السيوطي: حسن المحاضرة, ج2, ص191؛ عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية, ص74؛ مؤنس: المساجد, ص218؛ أيوب: التاريخ الاجتماعي الفاطمي, ص161.

جامع الصالح طلائع :

أنشا هذا الجامع أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك وهو أخر مسجد انشأ في الدولة الفاطمية سنة555هـ/1160م وهو من المساجد الكبيرة[362], وكان سبب بنائه انه لما خيف على مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بعسقلان من هجمة الفرنجة وعزم على نقله وقد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه من ذلك وقال له: " لا يكون إلا في القصور الزاهرة " وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به[363] .

وانشأ له بئراً "صهريجاً" تملا من ساقيه على الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين أو خليج القاهرة , ولما حدثت الزلزلة سنة 702هـ تهدم الجامع فعمره الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار[364], ولهذا الجامع أربع واجهات مشيدة بالحجر وكانت أرضيته عند تأسيسه ترتفع عن مستوى الطريق ويقع باب المسجد الرئيس بواجهته الغربية وإمام هذا الباب رواق قائم على أربعة أعمدة من الرخام ويحمل عقودا حافاتها محلاه بالزخارف وله صحن كبير حوله أربعة ايوانات وعقوده محمولة على عمد من الرخام محلاة بكتابات كوفية على شكل أزهار[365] .

---

(362) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص75 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص261 ؛ عبد الوهاب, حسن: تاريخ المساجد الأثرية , ص97 .

(363) ابن ميسر: أخبار مصر, ص38؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص261؛ الباشا وآخرون: القاهرة, ص462 .

(364) المقريزي: الخطط , ج3, ص261؛ مؤنس: المساجد, ص218؛ أيوب: التاريخ الفاطمي, ص161.

(365) حسن: الدولة الفاطمية , ص540 ؛ المناوي: الوزارة والوزراء , ص129-130.

مسجد الحلبيين :

بُني هذا المسجد تحت قلعة الجيل بأول الرميلة , أنشاه ذخيرة الملك جعفر متولي القاهرة والحسبة سنة 516هـ/1121م[366].

مسجد الكافوري :

يقع هذا المسجد في البستان الكافوري, وقد بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك في سنة516هـ/1121م, وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه, وهو باق إلى اليوم بخط الكافوري ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مرخم برخام حسن[367].

مسجد يانس:

يقع هذا المسجد تجاه باب سعادة خارج القاهرة وقد بناه يانس الأرمني في عهد الخليفة الحافظ لدين الله لكنه لم يكمله فأكمله أولاده من بعده[368].

مسجد باب الخوخة:

أنشاه الوزير المأمون البطائحي سنة516هـ/1121م يقع باتجاه باب الخوخة وهي باب من أبواب القاهرة وكان المسجد قبل بنائه عبارة عن محرس فأمر

---

[366] المقريزي: الخطط , ج3 , ص557.

[367] المقريزي: الخطط , ج3, ص558 ؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص97.

[368] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية, ص97-98؛ ابن المأمون, جمال الدين أبو علي موسى (ت588هـ/1192م): نصوص من أخبار مصر, تحقيق وكتابة المقدمة أيمن فؤاد سيد , المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية, (القاهرة 1983م), ص38 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3, ص561.

الوزير المأمون وكيله إن يزيل المحرس ويقوم ببناء مسجد وكان العمل فيه مستمرا ليل نهار حتى انه تفطر مما دعت الحاجة به إلى التجديد[369].

مسجد الصالح :

هذا المسجد كان يخط جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء عرف بمسجد بني عبيد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذي بناه الصالح طلائع بن رزيك وكان في أعلاه مناظر وعمارته متقنة البناء[370].

مسجد الفتح :

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق بناه شرف الإسلام سيف الإمام يانس الرومي وسمي بالفتح, لأن منه كان انهزام الروم إلى قصر الشمع , حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود مددا لعمرو بن العاص وكان الفتح[371].

مسجد ولي عهد أمير المؤمنين:

هو الأمير أبو هاشم بن شعيب بن داود المهدي, احد الأقارب في الأيام الحاكمية كان إلى جانب مسجد الصالح وبجانب تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفي شرقيه أيضا أربع حنايا[372].

---

(369) المقريزي: الخطط , ج3, ص562 ؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص97.

(370) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص655.

(371) المقريزي: الخطط , ج3 , ص655.

(372) المقريزي: الخطط , ج3 , ص656.

مسجد مكنون :

وهو بجانب مسجد الرحمة بناها الأستاذ مكنون القاضي[373].

مسجد توبة :

بنى هذا المسجد ابن ميسرة الكتامي وهو مغني الخليفة الفاطمي المستنصر بالله, يقع هذا المسجد في شرقي الأقهوب وقبالته قرية في القرافة الكبرى[374].

مسجد درى:

هذا المسجد في القرافة الكبرى في رحبة الاقهوب , بناه شهاب الدولة درى غلام المظفر أخو الأفضل بن أمير الجيوش في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة وكان أرمينياً فاسلم وصار من المتشددين في مذهب الأمامية وقرا الجمل للزجاجي واللمع لابن جنى[375].

مسجد عظيم الدولة:

بناه عظيم الدولة صاحب الستر وحامل المظلة وكان صقلبياً وهذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى[376].

المسجد المعروف بمعبد موسى:

يقع هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الأقمر

المجاور لحوض السبيل وأول من اختطه جوهر عندما وضع القاهرة[377].

---

[373] المقريزي: الخطط , ج3 , ص657.
[374] المقريزي: الخطط , ج3 , ص658.
[375] المقريزي: الخطط , ج3 , ص659.
[376] المقريزي: الخطط , ج3 , ص660.
[377] المقريزي: الخطط , ج3 , ص663.

مسجد الرصد:

بناه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي بعد بنائه للجامع المعروف بجامع الفيلة لأجل رصد الكواكب[378].

مسجد غين:

بناهُ غين وهو احد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله وقد سمي المسجد نسبة له وقد بناه في روضة مصر وظلت الخطبة تقام في المسجد إلى أَنْ عُمر جامع المقياس فبطلت الخطبة منه[379].

مسجد شفيق الملك:

يقع هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناه شفيق الملك خسروان صاحب بيت المال احد خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1129-1149م) في سنة (541هـ/1146م) وعُمل فيه ضيافة عظيمة وكان فيه كرم وسمو همة[380].

مسجد أبي صادق:

بناه ابن سعدون , أبو الحسن علي بن محمد البغدادي بعد سنة عشرين وأربعمئة وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن سعدون

---

[378] ابن أيبك: كنز الدرر, ج6 , ص296 ؛ المقريزي: الخطط , ج3 , ص650.

[379] ابن دقماق: الانتصار, ج4, ص115؛ ابن أيبك: كنز الدرر, ج6, ص13؛ المقريزي: الخطط , ج3, ص272 ؛ مبارك: علي باشا, الخطط التوفيقية الجديدة , مصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة , المطبعة الكبرى الأميرية , بولاق , (مصر 1306هـ), ج1, ص13.

[380] المقريزي: الخطط , ج3 , ص650.

البغدادي سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة , وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكي المحدث وكان قارئ المصحف بالجامع ومصليا به[381].

مسجد الفراش :

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بناه احمد فراش الأفضل بن أمير الجيوش[382].

مسجد الشهمية:

هذا المسجد كان شرقي مسجد الأقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لتربة القاضي ابن قابوس[383].

مسجد زنكادة:

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناه زنكادة المخنث بعد ما تاب في سنة 535هـ/1140م[384].

مسجد الأطفيحي:

هذا المسجد كان في البطحاء ويقال له مسجد وحاطه بن سعد الأطفيحي من أهل أطفيح, وكان الأفضل الكبير شاهنشاه صاحب مصر قد لزمه واتخذ السعي فيه مفترضا, وشكا الشيخ إلى الأفضل تعذر الماء ووصوله إليه فأمر ببناء القناطر ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار وعمل الأطفيحي صهريج ماء شرقي المسجد عظيماً محكم الصنعة وحماما وبستانا[385].

---

[381] المقريزي: الخطط , ج3 , ص661.

[382] المقريزي: الخطط , ج3 , ص662.

[383] المقريزي: الخطط , ج3 , ص664.

[384] المقريزي: الخطط , ج3 , ص664.

[385] المقريزي: الخطط , ج3 , ص665.

مسجد القرقوبي:

يقع على قرنة الجبل المطل على كهف السودان وبناه أبو الحسن القرقوبي الشاهد وكيل النجار بمصر في سنة 415هـ/1024م[386].

مسجد اللؤلؤة:

بناه الحاكم بأمر الله وسماه باللؤلؤة وكان ذلك في سنة (406هـ/1015م) وهو بناء حسن وهذا المكان مسجد في سفح الجبل باق إلى يومنا هذا وكان خرابا ولذلك بناه الخليفة الحاكم بأمر الله[387].

مسجد موسى:

بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات[388].

تجديد المساجد وعمارتها

جامع عـــــمرو بن العاص[*] :

من أهم الجوامع التي عمرها الفاطميون هو جامع عمرو بن العاص وكان حوله حدائق وأعناباً فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم فلم يزل قائماً

---

(386) المقريزي: الخطط , ج3 , ص676.

(387) المقريزي: الخطط , ج3 , ص677.

(388) المقريزي: الخطط , ج3 , ص677.

(*) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد السهمي ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتح مصر وولايتها وبقي فيها حتى سنة(24هـ/644م) عندما عزله الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ثم تولاها ثانية سنة (38هـ/658م) وبقي فيها حتى وفاته (43هـ/663م). ينظر: ابن خياط, خليفة(ت240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط, تحقيق مصطفى نجيب فواز, حكمت كشلي فواز, دار الكتب العلمية, (بيروت 1995م), ص25؛ السبتي, محمد بن حيان (ت354هـ/965م): مشاهير علماء الأمصار, تحقيق م.فلا يشهر, دار الكتب العلمية, (بيروت 1959م), ص55.

حتى وضعوا الفيلة وان عمراً وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذين وضعوها واتخذوا فيه منبراً[389] .

أقيم المسجد الجامع على الأرض التي كانت ملكاً لقيسبه بن كلثوم، إذ بلغ طولها 50 ذراعاً وعرضها 30 ذراعاً بما يوازي نحو 375 مترا بالمقياس الحديث وغطى سقفه من الجريد والطين وحمل على ساريات من جذوع النخل وفرش بالحصباء[390], يقال له تاج الجوامع وهو أول مسجدٍ أسس بديار مصر بعد الفتح[391], وقد وصفه ابن دقماق بقوله: "جامع مصر الفريد النظير النضيد الكامل المديد المأهول بالطائفتين من الطوائف وهو الجوهر الفرد والبيت الذي قدر بانية السرد والمسجد المؤسس على التقوى والمعبد المتمسك جاره من الأسباب بالأقوم الأقوى, فهو إمام المساجد ومقدم المعابد قطب سماء الجوامع ومطلع الأنوار اللوامع"[392].

ويشير المقدسي[393] إلى جامع عمرو بن العاص باسم السفلاني وفيه منبر حسن البناء في حيطانه شيء من الفسيفساء على أعمدة رخام والازدحام فيه أكثر من الجوامع الست وهو أعمر موضع في مصر, وجعل الأسواق محيطة بالمسجد الجامع[394], أما ناصر خسرو فقد أشار إليه بآسم " باب الجوامع " ووصفه بقوله: "هذا المسجد قائم على أربعمئة من الرخام والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض... ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون ولا يقل فيه عن

---

(389) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب, ج1, ص33؛ السيوطي: حسن المحاضرة , ج1, ص184؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص340.

(390) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج1, ص84؛ أبو سديرة, طه: الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (21-254هـ), دار الفكر العربي, (القاهرة لا.ت), ص18.

(391) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص133.

(392) الانتصار, ج4 , ص59.

(393) أحسن التقاسيم , ص166.

(394) اليعقوبي: البلدان, تحقيق محمد أمين ضناوي, دار الكتب العلمية, (بيروت 2002م), ص169.

خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتّاب الذي يحررون الصكوك والعقود"[395].

وقد اهتم الخلفاء الفاطميون بجامع عمرو بن العاص اهتماماً واضحاً من خلال عملية تجديده وإدامته طيلة مدة خلافتهم ففي سنة 378هـ/989م أمر الخليفة العزيز بالله بتشييد الفوارة التي تحت قبة بيت المال كما أضيفت مساقف خشب ونصب في الفوارة حباب الرخام للماء وهي أول فوارة في جامع عمرو بن العاص[396], أما عن عمارته في عهد الحاكم بأمر الله فهي أهم أعمال التعمير التي أجريت بجامع عمرو وشملت تأثيث وتجميل وعمل عمائر, فقد أجرى بالمسجد سنة (387هـ/997م) بعض الترميمات على يد برجوان الخادم وكان من ضمن التجديدات التي بدأت تجديد بياضه المسجد وقلع جزء كبير من الفسيفساء بأروقة المسجد[397] وقد أطلق الحاكم على عمارة المسجد ألفي دينار لعمارة الجامع وعمر المنارة الكبيرة التي به[398].

ولعل أفضل عمارة هي في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله إذ أرسل للجامع سبع صناديق فيها ألف ومئتان وتسعون مصحفاً ليقرأ فيها الناس[399], وأرسل إليه تنور فضة زنته مئة ألف درهم وأرسل القاضي ابن سعيد ليعمل به فهدمت المصاطب وحفرت الدروب لأجله وهدم باب جامع مصر من فوقه وأسفله حتى ادخل وعلق به[400] وكانوا يوقدون في ليالي الجامع أكثر من 700 قنديل وأدخلت في الجامع ثريا لها 16جانباً كل جانب منها ذراع ونصف الذراع ودائرتها 24 ذراعاً ووزن هذه الثريا 25 قنطاراً من الفضة وكل قنطار مئة رطل وكل رطل 144 درهماً وحين

---

(395) سفرنامة , ص117.

(396) ابن دقماق: الانتصار, ج4, ص68 ؛ الباشا: القاهرة , ص419.

(397) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 ,ص68.

(398) ابن أيبك: كنز الدرر ,ج6 ,ص261.

(399) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 ,ص384.

(400) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص75.

تم صنعها لم يتسع لها باب فخلعوا باباً وادخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه وكان يضاء في كل ليلة بأكثر من مئة قنديل[401].

وفي سنة (406هـ/1015م) أمر الحاكم بأمر الله بعمل رواقين في صحن المسجد وقد أقيما على عمد من حجر بدلاً من خشب وجعل عليها ستائر لتقي الناس من حرارة الشمس[402] وبإضافة الرواقين كملت أروقة الجامع , وقد بلغ الجامع ذروته في عهد الخليفة المستنصر بالله حيث زاره الرحالة ناصر خسرو سنة (439هـ/1047م) وهو يسميه بالمسجد العتيق[403] إذ عمل المستنصر بالله سنة (438هـ/1046م) منطقة فضة في صدر المحراب الكبير ولعمودي المحراب أطواق فضة وفي سنة (441هـ/1050م) تم تذهيب الجدار القبلي, وفي سنة 442هـ/1050م أجريت بعض أعمال الصيانة والعمارة منها تعمير غرف المؤذنين وإقامة مطلع للسطح من الخزانة المستجدة في ظهر المحراب الكبير[404].

وقد عملت مقصورة من خشب ومحراب ساج منقوش بعمود صندل لموقف الإمام في الصيف وتقلع في الشتاء, وفي سنة(445هـ/1054م)تم تزويد الجامع بمئذنة على يد القاضي أبي عبد الله احمد أبي زكريا وشيدت وسط الجدار القبلي, وفي سنة(515هـ/ 1074م) تم تزويد الجامع بمئذنتين في عهد الأفضل شاهنشاه[405].

وخلاصة القول بان جامع عمرو بن العاص قد نال الاهتمام الكافي والمتواصل من خلال تعميره وإدامته على يد الخلفاء الفاطميين وهذا يوضح لنا مدى حرص الفاطميين على الأماكن الدينية والحفاظ عليها.

---

[401]خسرو، ناصر: سفرنامة , ص118.

[402] ابن دقماق: الانتصار ,ج4 ,ص68.

[403]خسرو، ناصر: سفرنامة ,ص118.

[404] ابن دقماق: الانتصار, ج4 , ص69.

[405] ابن دقماق: الانتصار, ج4 , ص69 ؛ الباشا: القاهرة , ص421.

جامع ابن طولون:

بنى هذا الجامع احمد بن طولون في سنة (259هـ/872م) على الجبل المعروف بجبل يشكر وينسب يشكر بن جزيلة بن لخم وكان خطة لهم[406] وقد انفق ابن طولون على بناء هذا الجامع مئة ألف دينار وعشرين ألفاً[407], ويقع هذا الجامع جنوب القاهرة في موقع مدينة القطائع التي أنشاها احمد بن طولون لتكون معسكرا لجنده ومقراً لحكومته[408], وهذا الجامع اكبر وأبهى من جامع عمرو بن العاص وفيه أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية وهو أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وأهل بلداتهم[409] .

وهو مشيد على ربوة وله جداران محكمان[410], أجريت بالجامع عدة أعمال أعمار له وأولى هذه العمائر هي في سنة (385هـ/995م) في محرم إذ أمر الخليفة العزيز بالله ببناء فوارة عوضاً عن تلك التي احترقت[411], ويُعدّ المحراب الأيمن أقدم المحرابين وهو يرجع إلى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إذ إنه يشتمل على كتابة أثرية باسم المستنصر والوزير بدر الدين الجمالي[412] ويرجع تاريخها إلى سنة470هـ/1077م وقد أثبتت في لوح رخامي فوق باب بسور الزيادة البحرية ونصه:

---

(406) البلوي, أبو محمد, عبد الله محمد المديني (بعد330هـ/932م): سيرة احمد بن طولون, تحقيق محمد كرد علي, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة لا.ت)؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص344 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص193.

(407) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص76.

(408) مؤنس, حسين: المساجد, ص174.

(409) المقدسي: أحسن التقاسيم, ص166.

(410) خسرو، ناصر: سفرنامة , ص116.

(411) ابن دقماق: الانتصار, ج4 , ص123؛ السيوطي: حسن المحاضرة , ج2, ص193.

(412) الباشا: القاهرة فنونها تاريخها , ص452.

" بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك يكونوا من المهتدين نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين " .

أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه السيد الآجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصري أدام الله قدرته وأعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك في صفر سنة (470هـ/1077م) والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي واله الطاهرين وسلم تسليما[413], ثم جاءت بعدها عمارة للخليفة الحافظ لدين الله سنة (526هـ/1131م)[414]

الجامع الأزهر:

لم تمضِ مدة قصيرة على إنشاء الجامع الأزهر حتى بدأت عمليات التجديد والعمارة تدب فيه لأنه – وكما قلنا سابقا – يمثل منبر الدولة الفاطمية ورمزا لدعوتها الدينية, وكانت أولى هذه العمارات ما قام بها العزيز بالله فجدد بذلك الجامع[415]... وعلى الأرجح أنها أعمال تكميلية له, وقد خص الوزير يعقوب بن كلس الجامع بالأحباس للنفقة على فرش الجامع وتأثيثه بالحصر وأنارته بالقناديل والزيت وعلى إصلاحه وتنظيفه وإمداده بالماء[416].

---

(413) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية , ص44.

(414) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية , ص44.

(415) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية, ص51؛ حمادة, عبد المنعم: مصر والفتح الإسلامي(في العيد الألفي للقاهرة), المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, اشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة, (القاهرة 1970م), ص184؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص25؛ احمد فكري: مساجد القاهرة, ص41؛ الحسيني, فرج حسين نصر: النقوش الكتابية الفاطمية على العمائر في مصر, تقديم إسماعيل سراج الدين , مكتبة الإسكندرية , (مصر 2007م), ص97.

(416) حمادة: مصر والفتح الإسلامي, ص184 ؛ عنان: تاريخ الأزهر, ص25.

وقد جدد بناؤه في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله فقد جدده الخليفة في سنة (400هـ/1009م) وأوقف عليه وعلى المقس والجامع الحاكمي ودار العلم أعياناً في وقفية كبيرة خص الأزهر بحصة منها وزعت على مرافقه وشؤونه(417), فقد خصص للأزهر تنورين وسبعة عشر قنديلاً من فضة للإضاءة في شهر رمضان على إن تعاد لحفظها في مكان مخصص لها(418).

وقد بقي من هذا العهد باب من الخشب التركي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة يتألف من مصراعين في كل مصراع سبع حشوات مستطيلة العليا منها تتضمن كتابات كوفية مورقة نقشت بالحفر البارز نصها: "مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه" .

إما بقية الحشوات فيعلوها زخارف نباتية محفورة حفراً عميقاً ويلاحظ على هذا الباب إن الحشوات المكتوبة عليه قد قلبت ربما عند إصلاحها وإعادة تركيبها(419), وممن عني بإصلاح الجامع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ولاسيما وان فترة خلافته كانت فترة طويلة جداً(60 سنة)(420) ولكن لم تحدد المصادر التاريخية زمن الإصلاح .

وقد أمر الخليفة الآمر بأحكام الله (524-544هـ/1129-1149م) أَنْ يعمل للجامع محراب من الخشب وهو محراب مزخرف بالنقوش وكتب عليه بالخط

---

(417) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية, ص51؛ احمد, عبد الرزاق احمد: تاريخ وآثار مصر الإسلامية(من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي), دار الفكر العربي, (القاهرة 1999م), ص223؛ حمادة, مصر والفتح, ص185؛ الحسيني: النقوش الكتابية, ص97.

(418) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية , ص51.

(419) حسن, زكي محمد: كنوز الفاطميين, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1937م), ص201-202؛ احمد, عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر, ص223.

(420) المقريزي: الخطط , ج3, ص217؛ عبد الوهاب, تاريخ المساجد الأثرية, ص51؛ احمد, عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر, ص223.

الكوفي المشجر العبارة الآتية[421]: "بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً.... إلى يوم الدين في شهور سنة تسعة عشر وخمسمئة الحمد لله وحده "[422], ومما سبق نرى اهتمام الخلفاء الفاطميين بالجامع الأزهر من ناحية أعماره وتجديده كان متزايدا, لكن حصلت فيما بعد تطورات مهمة في الجامع إذ حصلت الزيادة في بنائه في عهد الخليفة الحافظ لدين الله(524-544هـ/1129-1149م) مابين سنة(524-544هـ/ 1129-1149م) إذ أضاف إلى الصحن رواقاً يدور حوله من جهاته الأربع وجعل في منتصف الرواق الملاصق لرواق القبلة متصلاً إلى المجاز تعلوه فيه حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية التي تحتوي على آيات قرآنية منها آية الكرسي والآيات الأولى من سورة يس[423]

جامع الحاكم:

من الجوامع التي اهتم بها الفاطميون جامع الحاكم والذي تم إنشاؤه على يد الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/976-996م) في سنة 380هـ/990م وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله[424], وأولى إصلاحات الجامع ترجع إلى ما قام به بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عند تجديده لأسوار القاهرة الشمالية سنة

---

(421) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية, ص51؛ احمد, عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر, ص123؛ حسن: كنوز الفاطميين, ص219؛ الحسيني: النقوش الكتابية, ص97.

(422) حسن: كنوز الفاطميين, ص219؛ سعاد: مساجد مصر, ص198؛ الحسيني: النقوش الكتابية, ص97.

(423) عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية, ص51؛ سعاد: مساجد مصر, ص198؛ احمد, عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر, ص224 ؛ عنان: تاريخ الجامع الأزهر, ص25؛ عكاشة: القيم الجمالية, ص184؛ فكري, احمد: مساجد القاهرة , ص42.

(424) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية, ص68 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص222؛ السيوطي: حسن المحاضرة , ج2 , ص196؛ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص539 .

(480هـ/1087م) فقد أصبح جامع الحاكم داخل تلك الأسوار بعد أن كان خارج مدينة القاهرة والتصق الجدار الشمالي منه بها فيما بين بابي الفتوح والنصر[425].

الخدمات الدينية من خلال المساجد والجوامع:

كان يقدم إلى كل مسجد في جميع المدن والقرى من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها وكيل الخليفة من زيت السرج والحصير وسجاد الصلاة ورواتب القوائم والفراشين[426], وجمعت أحباس الجوامع سنة (363هـ/974م) فبلغت مليوناً ونصف المليون من الدراهم وزع منها على كل مشهد خمسين درهماً في الشهر برسم الماء لزوارها[427].

ويعد الخليفة العزيز بالله(365-386هـ/975-996م) أول من عمل مائدة في رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاماً في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان[428], ولكثرة ما استجد من بناء المساجد في القاهرة ومصر(الفسطاط) فقد أُحصي ثمنمئة مسجد في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله لا احباس لها, فأطلق لها من بيت المال مبلغ تسعة آلاف ومئتي درهم وهو ما جعله في سنة (405هـ/1014م) يأمر بحبس خمسة ضياع على هذه المساجد وحبس غير هذه الضياع على القراء والمؤذنين ومن اجل أكفان الموتى[429] .

(425) فكري, احمد: مساجد القاهرة , ص64 ؛ احمد, عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر , ص242.

(426) ناصر, خسرو: سفرنامة , ص125.

(427) مبارك: الخطط التوفيقية, ج1 , ص11.

(428) ابن ميسر: أخبار مصر, ص52 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 ,ص321.

(429) مبارك: الخطط التوفيقية ,ج1 ,ص12.

وكان من عُرف قاضي القضاة ونوابه أَنْ يطوفوا بثلاثة أيام على المساجد والمشاهد بمصر ليتفقدوا حصرها وقناديلها وعمائرها فيبتدئون بجامع المقس ثم بجامع الأزهر ثم المشاهد فالقرافة فجامع عمرو بن العاص ثم المشهد الحسيني[430].

وقد أسهب المؤرخون في وصف ركوب الخليفة في المناسبات وما كان ينفق لها من رسم , فقد وصف ابن المأمون الموكب الذي تم في سنة (517هـ/223م) قائلا: ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون, ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته... ووصفات العساكر على يمينه ويساره وجميع تجار البلدين (القاهرة والفسطاط) من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة , وكانت الصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين من شيوخ الجوامع والمؤذنين والقومة[431].

إما فيما يخص عيد الفطر عند الفاطميين فقد كان يسمى "عيد الحلل" وكانت تعم فيه الحلل وكانت توزع الكسوة على الرعية والمحتاجين والفقراء وبلغ مقدارها سنة (516هـ/1123م) العشرين ألف دينار[432], وهذا مما يدلل على اهتمام الخلافة الفاطمية بالمصريين.

وجدد الخليفة الظاهر لأمر الله سنة (418هـ/1027م) الكتابة التاريخية الموجودة في قبة الصخرة والتي كانت من الفسيفساء وقد تمت على يد الوزير أبي القاسم علي الجراجرئي[433], في ربيع الأول سنة (516هـ/1122م) أمر المأمون وكيله الشيخ أبا البركات محمد بن عثمان بتعمير القرافة وزخرفتها التي كانت

---

(430) مبارك: الخطط التوفيقية, ج1, ص11 ؛ متز, ادم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري, نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريد , ط4, (لا.م 1967م), ج2 , ص127.

(431) أخبار مصر , ص58.

(432) ابن المامون: أخبار مصر, ص38 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص195.

(433) الحسين, قصي: موسوعة الحضارة العربية (العصر الفاطمي والأيوبي), دار ومكتبة الهلال , (بيروت 2005م), ج6 , ص396.

تضم قبر ابن النبي صالح, قبر روبيل بن يعقوب بن إسحاق وقبر آسيه امرأة فرعون ومشاهد أهل البيت وهي أربعة عشر من الرجال وخمسة من النساء وأقيم على كل واحد منها بناء صقيل, فهي بأسرها روضان بديعة الإتقان عجيبة البنيان وقد وكل بها قومه يسكنونها ويحفظونها ومنظرها عجيب, والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر[434] .

وكان الخلفاء يتسامحون في أجرة الرباع[*] السلطانية في شهر رمضان تعظيماً لهذا الشهر وكان ذلك في سنة (517هـ/1123م) في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله[435], وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء وتخصص لذلك الأوقاف للإنفاق منها على هذا الغرض[436] وهي تُعدّ بذلك من أهم الخدمات الدينية وهي بذلك تقدم للناس خدمة جليلة أخرى على نحوٍ عام وللفقراء على نحوٍ خاص من ناحية التراحم والمودة بين الناس والمساعدة من قبل الدولة الفاطمية لهذه الشريحة من المجتمع .

وأول من بنى دار الفطرة هو الخليفة العزيز بالله وقرر ما يحمل إلى الناس في العيد[437] ومن المعلوم إن زكاة الفطرة تعطى للفقراء والمحتاجين من الناس لكي يفرحوا بالعيد وهي حالة اجتماعية تتم عن الإحساس بالفقراء والتخفيف عنهم بإعطائهم الأموال والصدقات .

---

(434) ابن ميسر: أخبار مصر, ص92 ؛ ابن جبير, ابو الحسن محمد بن احمد(ت614هـ/1217م): رحلة ابن جبير(وهي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك), تحقيق ابراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م), ص38 .

(*) الرباع: هي المساكن المشتركة التي يقطنها اكثر من اسرة في وقت واحدة بعكس الدور مفردها دار. ينظر: سيد ، ايمن فؤاد : الدولة الفاطمية، ص342.

(435) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص210.

(436) المقريزي: الخطط , ج3, ص554؛ سلطان, عبد المنعم عبد الحميد: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ودراسة تاريخية وثائقية , دار الثقافة العلمية, (الإسكندرية 1999م), ص206.

(437) المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص321 ؛ طقوش: تاريخ الفاطميين , ص235.

وقد سار الوزراء على نهج خلفائهم من الكرم والخير والبر, فقد كان يعقوب ابن كلس يقيم في شهر رمضان مآدب الإفطار للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف والجماعات كثيرة من الفقراء[438] وكل هذا يشير إلى اهتمام الدولة الفاطمية بأحوال الطبقة العامة ولاسيما الفقراء منهم من اجل العناية بهم ومحاولة رفع مستواهم المعيشي , وقد ذكر للمأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله إن واحات البهنسا ليس بها جمعة تقام فأمر ببناء جامع بها ففرغ منه وأقيم فيه خطيب وإمام وقومه ومؤذنون وأطلق لهم ماهية عادة أمثالهم[439] , وقد انشأ في أيام الوزير الأفضل واحد وأربعون مسجداً مع ما أمر بتجديده بالقاهرة ومصر وأعمالها ما يناهز مئتي مسجد[440].

وكان الخليفة الحاكم بأمر الله يكثر من الصدقات في شهر محرم وشهر رمضان وإعطاء الأموال الكثيرة جدا[441] , وكثرت اتهامات الخليفة على الناس حتى توقف أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان في ذلك فكتب إليه الحاكم بخطة بعد البسملة :

---

[438] تامر, عارف: المعز لدين الله منشورات دار الإقامة الجديدة, (بيروت 1982م), ص213؛ عمارة , محمد: عندما أصبحت مصر عربية , ص72.

[439] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص202.

[440] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص203.

[441] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص387.

الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لا أرجو ولا اتقي سوى الهي ولــــه الفضل

جــدي نبي وإمامـــــي أبي وديني الإخلاص والعــدل

المال مال الله عز وجل, والخلق عباد الله ونحن أمناؤه في الأرض, أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام[442].

---

[442] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي, ص300–301 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص248؛ اتعاظ الحنفا, ج1 , ص385 ؛ مبارك: الخطط التوفيقية , ص13.

الخدمات الدينية لأهل الذمة:

إما الخدمات الدينية التي قدمها الخلفاء الفاطميين لأهل الذمة فقد تمثلت في سياسة التسامح الديني التي اتبعها الفاطميون معهم في الاحتفالات بأعيادهم ومناسباتهم الدينية وفي حرية العيش الكريم والمحافظة على سلامتهم وأموالهم ,وهذا ما نص عليه أمان جوهر الصقلي "ولكم على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمتكم وخيامكم وباعكم وقليلكم وكثيركم "[443] .

اصدر الخليفة الحاكم بأمر الله سجلاً[*] لحماية أهل الذمة على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم ولاسيما إذ عرفنا بان إصدار هذا السجل هو نهاية تصرفات الخليفة الحاكم بأمر الله ضد أهل الذمة[444] , ومن أهم الأمور التي نص عليها: " أمر به من تكميل النعمة عليهم بتوخيه ذمة الإسلام وشرعه , من نصيرهم تحت كنفه بحيث تصفوا لهم موارد الطمأنينة وتضفوا عليهم ملابس السكون والدعة وإجابتهم إلى ما سألوا فيه من كتب أمان لهم بخلد حكمه على الأحقاب..."[445]

وهو يشير هنا في النص أعلاه إلى أنّ أهل الذمة هم في حماية الإسلام وذمته بحيث يحقق لهم الأمان الذي ينشدوه ويرجون تحقيقه في ظل الإسلام ومبادئه التي ضمنت لهم ذلك على مدى السنين, " فانتم جميعا آمنون بأمان الله عز وجل وأمان نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه واله الطاهرين , وأمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه وأمان الأئمة من إباء أمير المؤمنين

---

(443) ابن الجوزي: المنتظم, ج14 , ص197 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1 , ص179.

(*) ينظر ملحق رقم (4)

(444) اتخذ الخليفة الحاكم بأمر الله مواقفه اتجاه أهل الذمة رداً على تصرفات اليهود المسيئة للإسلام والمسلمين. ينظر: المقريزي: الخطط ,ج2 , ص376.

(445) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص358-359.

سلام الله عليهم, هذا على نفوسكم ودمائكم وأولادكم وإخوانكم وأملاككم وما تحويه أيديكم أمانا صريحاً ثابتاً وعقداً صحيحاً باقياً.... "[446].

ومما سبق نستطيع القول أَنّ السجل الذي أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله ضمن لأهل الذمة حريتهم في كل شيء وحصولهم على الأمان , ومن الجدير بالذكر إن الخليفة الحاكم بأمر الله قد عمر "دير القصير" وهو احد الديارات المقصودة والمنتزهات المطروقة وهو دير حسن البناء محكم الصنعة وقد هدمه الخليفة الحاكم بأمر الله[447] لكنه أمر بعد ذلك بتعمير الدير وأورد ذلك من بيت المال المخصص للأوقاف وكتب سجلا بذلك ومنه " بسم الله الرحمن الرحيم , هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لسليمان بن إبراهيم الراهب بما رآه من اتهامه علي في إعادة عمارة الدير المعروف بالقصير من جبل الفسطاط مصر إلى ما كان عليه قبل هدمه وتمكين الرهبان سكناه والمنام فيه على عادتهم والجري على سلف من عبادتهم وصلواتهم وإقامة سنة ديانتهم[448] .

وتضمن سجل الخليفة الحاكم بأمر الله "برد الأوقاف والأملاك التي كانت محبوسة على دير القصير ومنسوبة إليه من ضيعة ومزرعة وميتة وارض وحصة ودار وقيسارية وحمام وعرصة وحانوت وفاخورة ونخيل وبستان وشجرة مثمرة...."[449]

ومن تحليلنا لهذا النص يتضح إن نعرف الخليفة كان بمثابة رد الاعتبار لهم على ما حدث مسبقاً منهم تجاههم, وهكذا ترى تسامح الخليفة في نهاية حكمه مع أهل الذمة حيث سمح لهم بتعمير كنائسهم ومعابدهم وكتب لهم سجلات بذلك , ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدم فقد ولع بعض الخلفاء الفاطميين بزيارة أديرة

---

[446] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص358-359.

[447] المقريزي: الخطط , ج3, ص789-791.

[448] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص354.

[449] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي, ص354-355.

النصارى ومنهم الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م), وكان الخليفة الآمر بأحكام الله يعطي الرهبان في ديرتها الواقع إلى القرب من الجيزة عشرة آلاف درهم[(450)] .

وليس أدل على حرص الخلفاء الفاطميين على توفير وسائل الأمن والطمأنينة لرعاياهم من أهل الذمة من المنشور الذي أصدره الخليفة الفائز بنصر الله إلى رجاله في شبه جزيرة سيناء بأمرهم فيه إن يشملوا الرهبان بالرعاية والملاحظة والمعونة والموافدة وتسهيل مطالبهم وتحقيق رغباتهم وإبعاد الحيف عنهم[(451)] .

المشاهد الدينية:

لم يقتصر اهتمام الخلفاء الفاطميين ببناء الجوامع فحسب بل شمل اهتمامهم المشاهد وتعميرها والراجح إن سبب اهتمام الفاطميين بتلك المشاهد يعود إلى سبب ديني وهو من باب التقدير والإكرام لهذه الشخصيات التي ضمتها المشاهد وبيان منزلتها ,ومن جانب آخر فأن هذا الاهتمام إنما يؤكد الانتساب المذهبي الذي قامت على أساسه الدولة الفاطمية .

ولا بد ونحن في صدد الحديث عن المشاهد إن نبين معناها فهي باب الرؤية إي بمعنى أنست وأبصرت ورأيت وتبصرت وتنورت[(452)] , والنظر فكر يؤدي إلى

---

(450) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ,ص216.

(451) ينظر: عيسى, احمد محمد: بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية, (القاهرة 1956م), المجلد الخامس, ص119-121 نقلاً عن حسن, إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية, ص216.

(452) ابن مالك, أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك(ت672هـ/1274م): الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة , تحقيق محمد حسن عواد , دار الجيل, (بيروت 1411هـ), ص204.

علم أو اعتقاد أو ظن[453], والمشاهد تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد أي بإزاء حقيقة اليقين من غير الشك[454] .

والمشهد مفرد جمعها مشاهد وهي المجمع من الناس[455] .

المشهد الحسيني:

من أهم المشاهد التي قام ببنائها الفاطميين هي مشهد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام, فقد روي أنّ رأس الإمام الحسين مدفون في عسقلان[*] وعليها مشهد عظيم فخاف الصالح بن رزيك عليه من الإفرنج فعزم على نقله وبنى جامعه المعروف بجامع الصالح واحضر الرأس الشريف ليدفنه به ويفوز بالفخر فلم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون ذلك إلا داخل القصور الزاهرة , وافرد له حجرة في القصر وبناها في هذا المشهد ودفنها وكان ذلك في خلافة الفائز بنصر الله على يد الطلائع بن رزيك في سنة (549هـ/ 1154م)[456] .

---

[453] الأنصاري: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة , ص69.

[454] الجرجاني: التعريفات , ص274 ؛ المناوي: التوقيف على مهمات , ص656.

[455] ابن منظور: لسان العرب , ج3, ص241.

(*) عسقلان: فيها مشهد رأس الحسين عليه السلام وهو مشهد عظيم مبني بأعمدة رخام وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به وهو مقصود من النواحي وله نذر كثير. ينظر: القزويني, زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ/1823م): أثار البلاد وأخبار العباد , دار صادر, (بيروت لا.ت), ص222.

[456] ابن ميسر, أخبار مصر, ص38 ؛ ابن عبد الظاهر, الروضة البهية, ص30 ؛ القلقشندي, صبح الأعشى, ج3, ص351 ؛ المقريزي, الخطط , ج2, ص204؛ ماجد, عبد المنعم, التاريخ السياسي للفاطميين , ص401 ؛ المناوي , الوزارة والوزراء , ص128.

وقد ذكر ابن المأمون في أحداث سنة (516هـ/1122م) إهداء الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله قنديلاً من ذهب وقنديلاً من فضة إلى مشهد الحسين (عليه السلام) وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية[457] .

وصف ابن جبير المشهد الحسيني بالقاهرة بقوله:

" فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بالمدينة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان صقيل ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع من الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً ابيض ومنه ما هو دون ذلك "[458].

مشهد زيد بن علي (عليه السلام):

يقع هذا المشهد بين الجامع الطولوني ومدينة مصر القديمة وتسمية العامة مشهد زين العابدين وهذا خطا لأنه مشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام[459] , وكان زيد من عظماء أهل البيت عليهم السلام علما وزهدا وورعا وشجاعة وديناً وكرماً[460], ولما اجتمع الناس مع زيد وظهر أمره فجمع له والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي جموعا والتقى الفريقان وجرى بينهما قتال شديد فتفرق أصحاب زيد عنه فأبلى هو بلاءٍ حسناً إلى أَنّ استشهد في المعركة فحفر له أصحابه في ساقيه ودفنوه فيها واجروا الماء على قبره خوفاً من أَنْ يمثلوا

---

[457] أخبار مصر, ص40 ؛ عبد الوهاب, المساجد الأثرية, ص81 ؛ سعاد , مساجد مصر, ص375؛ سعاد وتوفيق أبو علم وآخرون, أهل البيت في مصر, إعداد وتقديم, سيد هادي خسرو شاهي, الهدف للأعلام , القاهرة , 1422هـ/2001م , ص28.

[458] رحلة ابن جبير, ص37.

[459] المقريزي: الخطط , ج3 , ص625.

[460] ابن الطقطقا: الفخري , ص132- 133.

به فلما استظهر يوسف بن عمر طلب قبر زيد فدله عليه عدد من العبيد فثبته وأخرجه وصلبه ثم احرق وذري رماده في الفرات[461] .

إما في رواية الطبري وابن الأثير فروي عنهما انه استخرج زيد من قبره وقطع رأسه وأمر يوسف بن عمر بصلبه وبعث الرأس إلى هشام بن عبد الملك فصلب على باب مدينة دمشق ثم أرسل إلى المدينة وبقي البدن مصلوبا إلى أن مات هشام وولي الوليد فأمر بإنزاله وإحراقه[462], وقد أكد الكندي قدوم الرأس الشريف إلى مصر سنة 122هـ/739م بقوله: "وقدم إلى مصر في سنة 122هـ أبو الحكم بن أبي الأبيض العبسي خطيبا برأس زيد بن علي رضي الله يوم الأحد لعشرة خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس إليه في المسجد الجامع"[463] .

مشهد السيدة نفيسة:

وهي السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولدت عام (145هـ/745م) نشأت بالمدينة وبعد زواجها انتقلت إلى مصر وبقيت فيها حتى وفاتها (208هـ/809م) وكانت من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد له وتحفظ القران وتفسيره[464] .

إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة هو عبيد الله بن السري بن الحكم أمير مصر وقد كتب في اللوح الرخام الذي بباب الضريح بعد البسملة ما نصه: " نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير

---

(461) عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام). ينظر: الأصفهاني, أبو الفرج علي بن الحسين(ت356هـ/966م): مقاتل الطالبيين, تحقيق احمد صقر, دار المعرفة, (بيروت لا.ت), ص127–151 ؛ ابن الطقطقا: الفخري , ص133.

(462) تاريخ, ج4, ص204 ؛ الكامل, ج4, ص452 ؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص95–96.

(463) ولاة مصر , ص103 .

(464) المقريزي: الخطط , ج3, ص637؛ الزركلي: خير الدين, الأعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين), ط15, دار العلم للملايين, (بيروت 2002م), ج8, ص44.

المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الآجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام..... في شهر ربيع الآخر سنة 482هـ/1089م"[465], وقد جدد فيه الضريح الخليفة الحافظ لدين الله في سنة (532هـ/1137م) وأمر بعمل الرخام الذي بالمحراب[466] .

مشهد السيدة رقية:

وهي السيدة رقية ابنة الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) بني لها هذا المشهد في سنة (533هـ/1137م) في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524هـ- 544هـ) تكريماً لها[467] .

ويحتفظ المتحف الإسلامي بالقاهرة بمحراب خشبي منقوش وهو للسيدة رقية وعليه كتابة بالخط الكوفي تؤيد ما جاء في نص ابن الظاهر ونصه:

" الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الأمرية التي يقوم بخدمتها القاضي أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن بن الفاسي برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)"

ويحتفظ المتحف كذلك بتابوت خشبي عليه نقوش كتابية بالقلم الكوفي ومنها: "هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه..... أمر بعمل هذا الضريح الجهة الكريمة التي يقوم بخدمتها مكنون القاضي في سنة 533هـ/1137م "[468].

مشهد السيدة كلثوم:

---

[465] المقريزي: الخطط ,ج3, ص641-642؛ سعاد: مساجد مصر, ص126؛ ماجد: التاريخ السياسي, ص401 ؛ المناوي: الوزارة والوزراء , ص129 .

[466] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص642 ؛ سعاد وآخرون: أهل البيت في مصر, ص73.

[467] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص93.

[468] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص93.

هي كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن طالب (عليهم السلام) أجمعين , وموضعه بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وكانت من الزاهدات والعابدات[469].

مشهد السيدة سكينة:

هي السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) كانت ولادتها (47هـ/667م) وقد لقبتها أمها بسكينة, لأن نفوس أهلها وأسرتها كانت تسكن إليها لفرط مرحها وحيويتها[470], ويقع ضريح السيدة سكينة في حي الخليفة بالقاهرة في الشارع الذي يسمى باسمها[471].

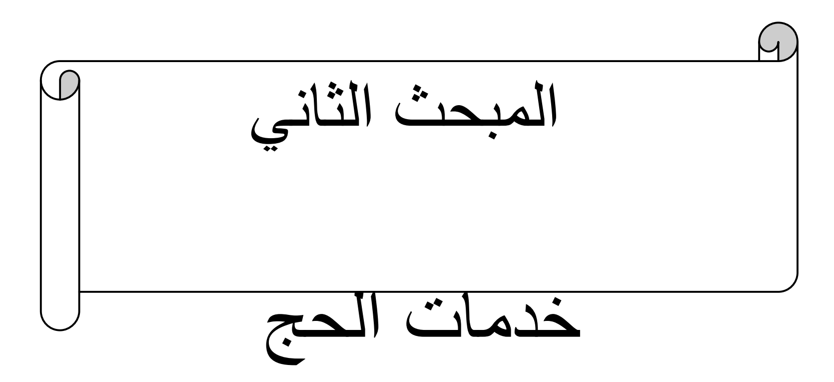
وخلاصة القول إِنّ المشاهد الدينية قد كانت تحظى باهتمام الخلفاء الفاطميين طيلة مدة حكمهم, وتعد المشاهد الدينية من المزارات ذات القدسية العالية لدى المصريين إذ بمجرد تواجد المصريين عموما كانت تعم موائد الرحمن وتدفع أرزاق للذين هم فـــي عوز, إذ عمدت الخلافة الفاطمية على إكفال المعوزين والمحتاجين وتوفير المؤن لهم ولمن لا مأوى له فضلا عن اهتمامهم بالمزارات وتطويرها والعمل على صيانتها في جميع الجوانب.

---

(469) المقريزي: الخطط ,ج3 ،ص642 ؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير , ص38 .

(470) سعاد: الأزهر اثر وثقافة, ص98.

(471) سعاد: الأزهر اثر وثقافة, ص102.



خدمات الحج

خدمات الحج:

بدا اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز في خلافة المعز لدين الله إذ تدخل في النزاع الذي حدث بين بني الحسن وبين بني جعفر آبن أبي طالب وحسم الخلاف بينهم وأرسل إليهم مالا ورجالا توسطوا بينهم وعقدوا معهم الصلح في الحرم المكي الشريف وقام رسل الخليفة بأداء دية قتلى بني الحسن سنة 348هـ/959م[472], وحين استتب الأمر للحسن بن جعفر الحسني في مكة سنة (358هـ/969م) وإعلان قيام حكم الأشراف الحسنين من أسرة الموسويين بادر بالدعوة للمعز لدين الله على منابر مكة وبذلك حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة فبعث المعز من المغرب بتقليد الحرم وأعماله[473].

وبدا الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بإرسال أعطياته لمكة المكرمة في سنة (359هـ/969م) ووصف المقريزي[474] هذه الأعطيات بقوله: "وأنفذ المعز عسكرا وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع", وفي سنة (362هـ/972م) أمر الخليفة المعز لدين الله بعمل كسوة للكعبة[*] وذلك لينافس خلفاء بغداد العباسيين وكانت هذه الكسوة مربعة الشكل من ديباج احمر وسعتها

---

(472) سرور: سياسة الفاطميين الخارجية, (القاهرة 1973م), ص23.

(473) الفاسي, تقي الدين محمد بن احمد الحسيني (ت832هـ/1432م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام, مكتبة النهضة الحديثة, (مكة المكرمة 1956م), ج1, ص221 ؛ سرور: سياسة الفاطميين, ص24.

(474) الفاسي: شفاء الغرام , ص221 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص191.

(*) من الجدير بالذكر أن أول من كسا الكعبة كسوةً كاملة هو تبع وقد كساها العصب وجعل لها باباً يغلق, أما في الإسلام فقد كساها النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الثياب اليمانية ثم كساها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) القباطي الذي كان يؤتى به من مصر. الازرقي, أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت245هـ/864م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار,تحقيق علي عمر, مكتبة الثقافة الدينية,(القاهرة 2004م),ج1, ص198وص204.

140 شبراً وكان في حافاتها اثنا عشر هلالاً ذهبيا في كل هلال أترجه ذهبية وفي كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام في الكبر وكان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وقد نقش في حافاتها الآيات التي وردت في الحج والآية "95" من سورة آل عمران والآية الثالثة من سورة براءة بحروف الزمرد الأخضر وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة وكانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك[475].

وقد اهتم الفاطميون بالمحمل الذي كان يحمل الكسوة إلى الكعبة بمكة وبلغت نفقاته أكثر من مئتي ألف دينار[476] وقام الخلفاء الفاطميون بتمويل أمراء الحجاز عن طريق المعونات المالية والتجارية والأوقاف ففي سنة (364هـ/974م) مبلغ أربعمئة ألف درهم كنوع من المساعدة المالية لأمراء الحجاز[477] .

وفي سنة(367هـ/977م) أرسل الخليفة العزيز بالله إدريس بن زيري الصنهاجي أميراً على ركب الحاج المصري فأقامت الخطبة له, لكن النفوذ الفاطمي لم يكن مستقراً في مكة بسبب بداية نشأتها وتكوينها وفي نهاية الأمر استطاع الخليفة العزيز بالله من إعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمي وحذف اسم الخليفة العباسي الطائع لله(363-3[478] وتم إرسال في سنة (368هـ/978م) قمح وشعير ودقيق وزيت ومحراب من الذهب للكعبة[479], أما في

---

(475) ابن ميسر: أخبار مصر, ص54؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص207؛ ماجد, عبد المنعم: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر (دراسة شاملة لنظم القصر الفاطمي ورسومه), مكتبة الانجلو المصرية, (القاهرة 1955م), ج2, ص130؛ الخربوطلي, علي حسني: الكعبة على مر العصور, ط2, دار المعارف, (القاهرة لا.ت), ص112-113؛ تامر: المعز لدين الله , ص192.

(476) الخربوطلي: الكعبة على مر العصور , ص116.

(477) ابن ميسر: أخبار مصر , ص36.

(478) الفاسي: شفاء الغرام , ص223 ؛ سرور: سياسة الفاطميين , ص25.

(479) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص289.

سنة (369هـ/979م) فقد جهز الحج بكسوة الكعبة وصلات الأشراف والطيب والشمع والزيت فبلغ مصروف ذلك مئة ألف دينار[480].

وكان يرُسل سنوياً إليها قمح وشعير ودقيق وزيت وطيب وتمور[481] فضلاً عن الدقيق والكعك اللذان كانا يرسلان إليها من مشتول إلى مكة سنوياً[482] علاوة على الجمال النجيبية التي تحمل من عيذاب لأمير مكة في السفن وهي أيضا سنوياً[483], وفي سنة (382هـ/992م) سارت قافلة الحاج في نصف ذي القعدة وكان مجموع ما انفق في عهد الخليفة العزيز بالله على الكسوة والصلات وغيره عيناً وورقاً ثلثمئة ألف دينار[484], وفي سنة (383هـ/992م) كان مجموع الإنفاق على قافلة الحاج من الكسوة للكعبة والصلات مبلغ ثلثمئة ألف دينار وخرج معهم ثلاثة آلاف وخمسمئة مقاتل[485], وقد خطب للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في مكة والمدينة في سنة (390هـ/990م)[486] وفي سنة (397هـ/1006م) كسا الخليفة الحاكم بأمر الله الكعبة القباطي الأبيض وبعث مالاً لأهل الحرمين[487].

وفي سنة 415هـ/1024م قدم وفد من الحجاز وطلب العون المادي من الخليفة الفاطمي الظاهر لأعزاز دين الله وقام بإعطائهم مبلغ (2000دينار) مساعدةً منه

---

(480) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص294.

(481) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 ,ص333.

(482) المقدسي: أحسن التقاسيم, ص164.

(483) خسرو، ناصر: سفرنامة ,ص134- 135.

(484) ابن ميسر: أخبار مصر ,ص49.

(485) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 ,ص310.

(486) الفاسي: شفاء الغرام ,ص244.

(487) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج4, ص218 ؛ السيوطي: حسن المحاضرة, ج2, ص217؛ إبراهيم, حلمي: كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج, المشرف على التحرير جمال الغيطاني, (القاهرة لا.ت), ص44.

ومن مظفر الصقلبي صاحب المظلة[488], وقام الخليفة الظاهر بأمر الله بإرسال أربعين ألف دينار إلى الحجاز بعد شفائه من المرض[489] .

وفي سنة (423هـ/1031م) وردت من مصر كسوة للكعبة وأموال للصدقة وصلات لأمير مكة[490], وكانت عادة السلطان في مصر أن يقرا المرسوم في المساجد في منتصف رجب وهو: "يا معشر المسلمين, حل موسم الحج , وسيجهز ركب السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيل والجمال والزاد" وينادى بذلك في شهر رمضان أيضاً, ويبدأ الناس في السفر ابتداء من أول ذي القعدة , وينزلون في موضع معين, ثم يسيرون في منتصف هذا الشهر, ويبلغ خرج الجيش الذي يرافق السلطان ألف دينار مغربي في اليوم هذا عدا عشرين دينار مرتبة لكل رجل فيه ويبلغون مكة في خمسة وعشرين يوماً ويمكثون بها عشرة أيام, ثم يعودون إلى مصرفي خمسة وعشرين يوماً ونفقاتهم في الشهرين ستون ألف دينار مغربي, عدا التعهدات والصلاة والمشاهرات وثمن الجمال التي تنفق في الطريق[491], وفي سنة 440هـ/1048م هاجر من الحجاز إلى مصر خمسة وثلاثون ألف شخص بسبب الغلاء والقحط فكساهم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأجرى عليهم الأرزاق سنة كاملة وأغدق عليهم الصلات[492].

ويخبرنا القلقشندي[493] أن مصر كانت ترسل إلى المدينة المنورة كل عام 27 قنطار من الزيت الحار لإضاءة قناديل المسجد الحرام بالمدينة المنورة و160 شمعة مابين صغيرة وكبيرة, وكانت ترسل الخيول والخلع لأمير مكة مرتان في

---

[488] المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج2, ص32 ؛ مالكي, سليمان عبد الغني: مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة, مطبوعات دار الملك عبد العزيز, (الرياض 1987م), ص108.

[489] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 ,ص41.

[490] الفاسي: شفاء الغرام , ص225 ؛ ابن الجوزي: المنتظم ,ج15 , ص229.

[491] خسرو، ناصر: سفرنامة , ص125.

[492] خسرو، ناصر: سفرنامة , ص127.

[493] صبح الأعشى, ج4 , ص304.

السنة[494]وفي سنة 516هـ/1122م وصل الشريف قاسم أمير مكة إلى مصر وأطلق له ثمانية ألاف وتسعمئة وأربعون إردباً يرسم مكة وتخوت ثياب وخلع ومال وبخور[495], وحينما وفد الشاعر (عمارة اليمني) إلى مصر رسولا من مكة أرسل معه الخليفة الفاطمي بمائة إردب من القمح وحملها من مال الديوان إلى مكة[496], وفي سنة(567هـ/1171م) أرسُلت جلبتان مشحونتان بالغلال من مصر إلى مكة[497].

وقد وصلت إلينا خلعة كاملة من عهد الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (487-495هـ/1094-1102م) ما تزال موجودة حتى اليوم في كنيسة سنت آن بمدينة ايت في جنوب فرنسا طولها 310سم وعرضها 150سم ومع كبر حجمها هذا فقد كانت محفوظة بداخل قارورة صغيرة وهي منسوجة من الكتان ومزينة بأشرطة من الحرير وتتضمن كتابة بالخط الكوفي تشير إلى مدينة دمياط حيث نسجت في طراز الخاصة[498], وقد استعملت خيوط الحرير في الزخرفة في الثوب في أثناء نسجه وقد اكسب الثوب جمالاً إذ أصبح منسوجا من الكتان أو القطن أو الصوف ونلاحظ ذلك في شريط الزخرفة المتضمن اسم الخليفة الفاطمي العزيز بالله حينما أرسل الكسوة إلى الكعبة[499] .

---

[494] خسرو، ناصر: سفرنامة , ص126.

[495] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص193.

[496] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص281.

[497] الفاسي: شفاء الغرام ,ج2 , ص270.

[498] مرزوق, محمد عبد العزيز: الفن الإسلامي (تاريخه وخصائصه), مطبعة اسعد, (بغداد 1965م), ص120.

[499] مرزوق: الفن الإسلامي, ص125.

المبحث الثالث

دور العلم والمدارس والمؤسسات العلمية

1- اهتمام الخلفاء الفاطميين بالعلماء ودور العلم

2- المدارس

اهتمام الخلفاء الفاطميين بالعلماء ودور العلم:

اهتم الخلفاء الفاطميون بالعلم والعلماء, فقد قربوا العلماء وشجعوا طلبة العلم من الناشئة, وأوقفوا لهم أرزاقاً ثابتة ليتهيأ لهم التفرغ فالخليفة العزيز بالله (365-386هـ) كان يجمع إليه علماء الأدب واللغة للمناظرة بين يديه[500], وفي عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله قدم إلى مصر الشاعر البغدادي عبد الوهاب بن نصر المالكي وهو من أهل بغداد وكان فقيها مالكياً وقد استقبل في القاهرة على الرغم من اعتناقه المذهب المالكي أحسن استقبال وأغدقت عليه الهبات والعطايا[501], إما الخليفة الآمر بأحكام الله فقد استقبل العالم المغربي الطيب احمد بن حسديه بن يوسف عند قدومه إلى مصر وعدّه ضيف الدولة, وأغدق عليه العطايا والأرزاق واقطعه داراً لسكناه[502].

وقام الوزير الأفضل بوضع سبعة ظروف من الديباج على يمين المجلس ويساره يحتوي كل ظرف منها على خمسة آلاف دينار لمنح الهبات لمن يحضرون مجلسه ثم زاد الأفضل في عطاياه حتى أصبحت تشمل فقهاء مصر الفسطاط والربط بالقرافة[503], وكان يعقوب بن كلس يمنح الشعراء والكتاب والأعيان الذين يحضرون إلى القاهرة في تلك المواسم (غرة شهر رمضان وفي الجمع الثلاث الأخيرة منه ووفاء النيل) حللاً من الحرير الخالص بعضها مزركش بالذهب[504] .

وكان الوزير ابن كلس يجمع عنده العلماء والفقهاء ويقيم في فنونه الكتاب لنسخ القران الكريم وآخرون لنسخ كتب الحديث والفقه والأدب والطب وكان كل يوم

---

(500) تامر, عارف: العزيز بالله (قاهر القرامطة وافتكين), دار الإقامة الجديدة, (بيروت 1982م), ص63.

(501) احمد: علاقات الفاطميين, ص176 ؛ الاعظمي, محمد حسن: عبقرية الفاطميين (احتواء على الفكر والتاريخ الفاطمي), منشورات دار مكتبة الحياة , (لا.م لا.ت), ص87.

(502) احمد, حسن خضيري: علاقات الفاطميين, ص176.

(503) ابن المأمون: أخبار مصر, ص104؛ احمد: علاقات الفاطميين, ص178.

(504) سرور: الدولة الفاطمية , ص107 ؛ الخربوطلي: مصر العربية, ص222.

ينصب خواتاً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص الأتباع والجلساء ومنهم الحسين بن عبد الرحيم الزلازلي وصنف كتاب " الأسجاع " والتميمي المقدسي الطبيب[505] , و كان يشجع الشعر إذ كان الشعراء ينشدون الشعر بحضرته مغدقاً عليهم الهبات والعطايا[506].

ومن صور تشجيع الشعراء من قبل الخلفاء الفاطميين حينما أعطى الخليفة المعز لدين الله قصراً فخماً للشاعر(ابن هانئ الأندلسي)[*], عندما انشد إحدى قصائده ثم علم انه لا يملك قيمة فرشه فأمر أن يفرش له[507], ويحدثنا الشاعر عمارة اليمني[**] عن إكرام الخلافة الفاطمية له حينما وفد على مصر بقوله: " افيضت علي خلع من ثياب الخلافة ثياب مذهبة ودفع لي الصالح مبلغ 500دينار وأكرمتني بنت الخليفة الحافظ لدين الله مبلغ 500دينار وحُمل الحال معي إلى منزلي وأطُلقت لي من دار الضيافة رسوم لم تطلق لأحد من قبلي"[508].

---

[505] تامر: المعز لدين الله , ص210.

[506] تامر: المعز لدين الله , ص211.

(*) ابن هانئ الأندلسي هو أبو الحسن محمد بن هانئ وهو شاعر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ولد في اشبيلية ونشا بها وقضى وقتا طويلا في القاهرة ثم رجع إلى المغرب ومن الراجح انه قتل في طريق عودته إلى بلده سنة 362هـ/973م. للمزيد ينظر: اليافعي: مرآة الجنان,ج2 ,ص282 ؛ سزكين, فؤاد: تاريخ التراث العربي, نقله إلى العربية عرفه مصطفى, مراجعة محمود فهمي مجازي وسعيد عبد الرحيم, أعاد صنع الفهارس عبد الفتاح محمد الحلو, إدارة الثقافة والنشر, (الرياض 1991م), المجلد الثاني, ج5, ص7.

[507] تامر: العزيز بالله , ص91؛ احمد: علاقات الفاطميين, ص176.

(**) عمارة اليمني وهو أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان بن احمد الحكمي اليمني ولقبه نجم الدين استقر في مصر وعاش فيها وتأثر في عادات وتقاليد الفاطميين على الرغم من بقائه على المذهب الشافعي. للمزيد ينظر: حسين، محمد كامل: أدب مصر الفاطمية, دار الكتاب العربي، (بيروت لا ت)، ص189.

[508] عمارة اليمني, أبو محمد عمارة بن علي بن زيدن المذحجي (ت569هـ/1173م): النكت العصرية في أخبار الدول المصرية, أعتني بتصحيحه هرتويغ درتيرغ, مطبعة مرسو في شالون, (لا. م 1897م), ص34.

وأغدق الخليفة العزيز بالله على الشاعر الفاطمي (تميم)(*) الأموال الطائلة مما جعله يعيش حياة يحسدهُ عليها الملوك فقد ذكر انه وهبه البستان المعروف بالمعشوق بخطه راشدة وعرفت فيما بعد بآسم جنان الأمير تميم[509].

وفي المنظرة التي شيدها الخليفة الآمر بأحكام الله كانت هنــاك طاقــات وعليهــا صور الشعراء كل شاعر و اسم بلده وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعــة مــن القماش كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في المدح وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب فلما دخل الخليفة وقرأ الأشعار أمر أن توضع على كل رف صــرة مختومــة فيها خمسون دينارا وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرة بيده[510].

ومن الأمثلة على تشجيع الفاطميين للعلماء وإكرامهم هي عندما أراد الخليفة الحاكم بأمر الله أن يقطع دابر المجاعات عن مصر, فسمع عن شخصا من العراق نبغ في الهندسة وهو أبو علي الحسن بن الهيثم(**) وانه قال: "لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالات الزيادة والنقصان" فأرسل الخليفة بطلبه من العراق وحثه على المجيء لمصر وعند وصوله خرج الخليفة للقائه وأمر بإكرامه وسيّر معه جماعة من الصناع في طول الإقليم

(*) تميم بن المعز الفاطمي: هو أبو علي تميم بن المعز بن المنصور الفاطمي وكان اكبر أبناء الخليفة المعز لدين الله ولد في المهدية سنة 337هـ/948م ونشأ بها وعاش حياة الأديب والشاعر المثقف.للمزيد ينظر: سزكين: تاريخ التراث العربي,ج5,ص10؛ الاعظمي: عبقرية الفاطميين, ص236.

(509) تامر: العزيز بالله , ص91.

(510) الاعظمي: عبقرية الفاطميين ,ص108.

(**) ابن الهيثم: وهو الحسن أبو علي بن الحسن بن الهيثم ولد في البصرة (354هـ/965م) وهو المهندس البصري نزيل مصر صاحب التصانيف والتأليف في علم الهندسة واستقر في مصر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بعد إن ذاع صيته في الأمصار الإسلامية كافة. للمزيد ينظر: ابن القفطي, جمال الدين ابن الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م): اخبار العلماء باخبار الحكماء, تحقيق إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, (بيروت 2005م), ص128-130؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول, ص159؛ ثامر: تاريخ الإسماعيلية (الدولة الفاطمية الكبيرة), رياض الريس للكتب والنشر, (لندن 1991م), ج3, ص102.

المصري حتى وصل إلى أسوان لكنه اعتذر عن عجزه القيام بشيء بسبب طبيعة الأرض الغرينية فأبقاه الحاكم معززاً مكرماً[511], وموقف الخليفة يتناقض مع ما نشير إليه بعض المصادر من سوء سيرة وسلوك الخليفة الحاكم بأمر الله بأن الخليفة عندما يهتم بالجوانب العلمية والدينية فان اهتمامه هذا لا بد أن ينصب في مصلحة البلد , ولقد كثر عدد الشعراء في مصر الفاطمية ومن أشهرهم أبو حامد الأنطاكي[*] .

ولقد أشاد بالخلفاء الفاطميين الذين أجزلوا له العطاء واجروا عليه الأرزاق[512], من العلماء المصريين الذين برزوا في عصر الدولة الفاطمية " الحسن بن محمد المهلبي" وكان معاصرا للخليفة الفاطمي العزيز بالله ويبدوا انه قام برحلة طويلة لبلاد السودان وألف للعزيز بالله سنة 375هـ/985م كتابا في الطرق والمسالك سماه العزيزي نسبة إلى الخليفة العزيز بالله , امتاز بأنه أول كتاب عُني بوصف إقليم السودان وصفاً دقيقاً ولكنه لم يصل إلينا.

---

[511] ماجد, عبد المنعم: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه, مكتبة الانجلو المصرية, (القاهرة 1959م), ص64-65؛ الصاوي, أحمد السيد: مجاعات مصر الفاطمية, دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت 1988م), ص33 ؛ الحويري, محمود محمد: مصر في العصور الوسطى (دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, د.م, (لا.م 1996م), ص177؛ الحسين: موسوعة الحضارة العربية, ج6, ص574؛ الغيطاني: جمال, صاحب هذا المكان الحاكم بأمر الله الفاطمي, بحث منشور في مجلة الموسم, العددان69و70 لسنة 2008م, ص210.

(*) أبو حامد الأنطاكي: وهو احمد بن محمد المعروف بابن الرقمعمق وهو أنطاكي المولد قضى أكثر حياته في مصر مادحاً بشعره المعز لدين الله الفاطمي ولأبنائه وبعض الأعيان توفي في سنة 399هـ/1009م. للمزيد ينظر: سزكين: تاريخ التراث العربي ,ج5 , ص13.

[512] متز: الحضارة الإسلامية, ج2, ص16؛ زكي, محمد حسن, الرحالة المسلمون في العصور الوسطى, دار الرائد العربي, (بيروت 1981م), ص44 ؛ القاضي, خالد عبد الرحمن: الحياة العلمية في مصر الفاطمية , الدار العربية للموسوعات , (بيروت 2008م), ص299.

1ــ دار الحكمة[513]:

افتتحت دار الحكمة يوم السبت 10 جمادى الآخرة سنة 392هـ/21 آذار 1005م, ويبدو أن الحاكم بأمر الله أراد الاقتداء بالخليفة العباسي المأمون عندما أنشأ بيت الحكمة في بغداد, وحمل إليها كتبا كثيرة من خزانة كتب القصر تحتوي على سائر العلوم والآداب, وسمح لمن يريد التردد على الدار من الناس, بأن يطلعوا على هذه الكتب وينسخوا ما يحتاجون لتغذية معارفهم, وعين فيها المدرسين من منجمين وأطباء وقَرّاء وفقهاء ونحويين ولغويين, كما عين فيها خدماً وفراشين, وخزّاناً وأجرى الأرزاق على الجميع, ووفر بها ما يحتاج إليها الناس من حبر وأقلام وورق ومحابر[514] .

وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المستوية الفائقة عدة كثيرة ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد مشتملة على أنواع العلوم مما يحير الناظر وربما اجتمع من المصنف الواحد فيها عشر نسخ فما دونها وكان فيها من الدروج المكتوبة بالخطوط المستوية مثل خط ابن مقلة وابن البواب[515], وقد وجدت فيها المناظرات والمحاضرات وقد نقل جميع الكتب التي كانت في

---

(513) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي, ص258–259؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية, ص32؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص475 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1 , ص359 ؛ ابن تغري بردى: ج4, ص223؛ السيوطي: حسن المحاضرة ,ج2 , ص213؛ علي: سيد أمير, مختصر تاريخ العرب, نقله إلى العربية عفيف البعلبكي, دار العلم للملايين, (بيروت 1961م), ص500؛ طقوش: تاريخ الفاطميين, ص286 ؛ سرور: الدولة الفاطمية في مصر, ص176 ؛ الخربوطلي: مصر العربية, ص235 ؛ عمارة احمد: عندما أصبحت مصر عربية , ص73 ؛ الكروي, إبراهيم سلمان وعبد النواب شرف الدين: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية, ط2, منشورات ذات السلاسل, (الكويت 1987م), ص455.

(514) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص258–259.

(515) الديوه جي: بيت الحكمة, ط2 , مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر, (لا.م 1972م), ص42.

العصور وأوقفت لها أماكن ينفق مع ريعها[516], وقد أنشأ الخليفة الحاكم بأمر الله دار العلم لتشجيع المناقشات الحرة في العلم والدين[517], وكان ينفق على هذه الدار في كل سنة 257دينار من العين المغربي ومن ذلك الورق 90دينار, الخازن 48دينار, الفراشين 15دينار, الناظرين في الورق والحبر والأقلام 12دينار, غرفة الكتب 12دينار, الماء 12دينار, الحصر العيداني 10دينارات, ثمن ليود للقرش في الشتاء 15دينار, إضافة في الشتاء 4دينار, غرفة الستار دينار واحد[518]

وأجرى الحاكم بأمر الله الأرزاق على من في دار الحكمة من العلماء والفقهاء والأطباء ولجميع طبقات الشعب ومذاهب المصريين والفاطميين للقراءة فيها أو للكتابة والنسخ والتعليم والترجمة وعقدت فيها الاجتماعات العلمية ليحيي فيها النشاط العلمي الذي شهدته بغداد في عصري الرشيد والمأمون[519], فلما توسعت الدعوة الفاطمية وكثر الأقبال على مجالس العلم ضاقت الدار بمن يرتادوها فاخذوا يعقدون مجالس الدعوة بالمحفل وهو مقر داعي الدعاة ولهذا نظم الداعي عدة مجالس فكان يفرد للأولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً وللطارئين على البلد , وللنساء بالجامع الأزهر وخواص نساء القصر مجلساً , وكانت تنظم هذه المجالس بكتب خاصة تسمى مجالس

---

(516) عليان, ربحي مصطفى: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية, دار صفا للنشر والتوزيع, (عمان 1999م), ص154.

(517) العبادي, أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي, دار النهضة العربية, (بيروت لا.ت), ص291.

(518) عطا الله , خضر احمد: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي, دار الفكر العربي, (القاهرة لا.ت), ص170 ؛ متز: الحضارة الإسلامية ,ج1 , ص331.

(519) الكروي: المرجع في الحضارة, ص455 ؛ رفعت, محمد احمد حسونة: تاريخ العصور الوسطى , (لا.م 1924م), ص229.

الحكمة[520] وكان تكثر بالجامع الأزهر حلقات العلم حتى وصلت إلى مئة وعشرة مجالس[521].

من أهم الذين تولوا "دار العلم" هو داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي (ت470هـ/1077م) المعروف بلقب المؤيد في الدين , تولى الدار في خلافة المستنصر بالله وله 800 مجلس عقدها في دار الحكمة وهي ثماني مجلدات كبيرة[522].

من الحلقات التي كانت تعقد فيها هي التي كان يعقدها جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي أبو أسامة اللغوي النحوي (ت399هـ/1008م)[523] قدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد وأبا إسحاق علي بن سليمان المعري[524] وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة وتجري بينهم مذكرات ومباحثات , وقد أغلقت الدار من قبل الأفضل بن بدر الجمالي سنة 516هـ بسبب تفاقم النزاعات الأكاديمية بين الطلاب وأعاد فتحها الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 519هـ/1125م على يد المأمون البطائحي[525].

إن الحركة العلمية في العصر الفاطمي سارت نحو التطور والارتقاء من خلال تنوع العلوم والمعارف التي كانت موجودة في مصر آنذاك , ومما لاشك فيه أَنّ النزاعات الأكاديمية التي حدثت بين الطلاب في دار العلم إنما هي نتاج لحرية التفكير والتعبير عن الآراء لدرجة بلغت فيها أن تغلق الدار ولأهميتها فقد أُعيد فتحها مرة أخرى.

---

(520) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص122 ؛ الديوه جي: بيت الحكمة , ص46-47.

(521) المقدسي: أحسن التقاسيم , ص171.

(522) الشيرازي: المجالس المؤيدية , ص7-18.

(523) الصفدي: الوافي بالوفيات ,ج11 , ص148.

(524) الصفدي: الوافي بالوفيات ,ج19 , ص21.

(525) العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي, ص219.

اهتم الفاطميون بإنشاء المكتبات فالحقوا بالقصر الشرقي الكبير مكتبة زودها يعقوب بن كلس بأندر المؤلفات في مختلف العلوم والفنون حتى تميزت على مكتبات العالم الإسلامي من كتب قيمة في خزائنها, وكان تجار الكتب يعرضون على موظفي المكتبة أندر الكتب التي يعثرون عليها, وقد روي أن رجلا احضر إلى العزيز بالله نسخة من كتاب الطبري اشتراها بمئة دينار فأمر العزيز أمناء المكتبة فاخرجوا ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخط يده كما كان بخزانة العزيز على ثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن احمد ومئة نسخة من الجمهرة لابن دريد[526] .

فقد احتلت خزانة الكتب في العصر الفاطمي شانا كبيرا فاحتوت على أمهات الكتب قدرت بما يزيد على مئتي ألف مجلد تشتمل على أنواع العلوم المختلفة , وقد انفق الخلفاء الفاطميون أموالاً طائلة على الكتب سواء على إعادة نسخها أو اقتنائها أو إعداد قاعات خاصة بتلك الكتب والاهتمام بعمارتها من وقت لآخر ونظرا لعشق الفاطميين شراء الكتب فكان من عاداتهم زيارة خزانة الكتب وإعطاء الشاهد والمشرف عليها عشرين ديناراً[527] .

أسس الخليفة العزيز بالله مكتبة ضخمة في قصره بالقاهرة ضمت العديد من المخطوطات والكتب عددٍ من المصادر 200 ألف مجلد والقسم الآخر يقدرها بـ600 ألف مجلد ومن ضمنها 240نسخة من القران الكريم مزينة ومجلدة على نحوٍ جيد فضلا عن 1800 مخطوطة من العالم القديم[528] , ولقد حوت مكتبة الخليفة العزيز بالله 1.600.00 مجلد فكانت بذلك أجمل وأكمل دار للكتب ضمت 6500 مخطوطة في الرياضيات و1800 مخطوطة في الفلسفة ولم يمنع هذا قط من بعده

---

(526) المقريزي: الخطط , ج2, ص163؛ الاعظمي: عبقرية الفاطميين, 85-86؛ سرور: الدولة الفاطمية, ص175 ؛ تامر: العزيز بالله, ص95.

(527) المقريزي: الخطط , ج2, ص165 ؛ حسن: الفاطميون في مصر, ص137-143.

(528) عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية , ص153.

حين اعتلى العرش من أن يبني مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة إلى جوار المكتبة القديمة[529] .

وتصف المستشرقة الألمانية هونكة واهتمام الخليفة بالمكتبة وما اقتناه من كتب بقولها: "ولا يستطيع احد أن يقارن نفسه بالخليفة العزيز في القاهرة حتى خليفة قرطبة الذي بعث رجاله وأسرته في كل أنحاء الشرق ليجلبوا له الكتب فيزيد روائع مكتبته"[530].

[529] عليان: المكتبات , ص153.

[530] زيغرد: شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية في أوروبا) نقله عن الألمانية فاروق بيضون, كمال الدسوقي, تحقيق مارون عيسى الخوري, منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر, 1964م, ص387.

2- المدارس

تعني كلمة المدْارسُ الموضع الذي يدرس فيه[531], وقيل درس الكتاب يدرسه درساً ودراسة كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه[532], وتدل الروايات التاريخية أَنّ نيسابور كانت مهد هذه المدارس[533] أما الذهبي[534] فيعتقد إن النظامية هي أول مدرسة في الإسلام, غير أن السبكي يقول بأن المدرسة البيهقية بنيسابور كانت قبل أن يولد نظام الملك[535] ومما يؤكد قول السبكي قول المقريزي: "أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور فبُنيت بها المدرسة البيهقية"[536].

وقد حدد المقريزي بداية نشوء المدارس بقوله: "والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة والتابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سني الهجرة"[537], والشائع في الروايات التاريخية إن المدرسة النظامية هي أول مدرسة نظامية في الإسلام وربما يرجع ذلك إلى الأضواء التي سلطت على إنشاء هذه المدرسة والى اهتمام نظام الملك بالمدارس وكثرة إنشائه لها.

---

(531) ابن منظور: لسان العرب ,ج6 , ص80.

(532) الرازي: مختار الصحاح , ص85.

(533) متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري, ج1, ص254؛ كباشي, غنية ياسر: المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية(297-567هـ/909-1171م), اطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة بغداد/ كلية التربية, (بغداد 2007م), ص358.

(534) تاريخ دول الإسلام, حيدر آباد- الدكن, (الهند 1337هـ) ,ج2 , ص9.

(535) أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ/1370م), طبقات الشافعية الكبرى, تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد, ط2, هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, (الجيزة 1992م), ج3 , ص180.

(536) الخطط ,ج3 , ص435.

(537) الخطط, ج3, ص436.

غير أن مسألة إنشاء المدارس هي مسالة اختلف فيها المؤرخون ولكن من الواضح بان إنشاء الدولة الفاطمية للجامع الأزهر والذي كان في بداية إنشائه لأهداف دينية سرعان ما تغير وشمل مراحل متقدمة في التعليم ولاسيما وانه اشتمل على العديد من المرافق الخدمية للطلاب ودراسة العلوم المختلفة في المجالات كافة, فجامعة الأزهر هي اكبر معهد علمي إسلامي تم انشائها في القرن الرابع الهجري[538], فأول ما علم إقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس كافة في خلافة العزيز بالله في الجامع الأزهر[539].

وقد جددت الأوقاف على التعليم في مصر قبل عهد نظام الملك بوقت طويل[540], فقد أصبح الجامع الأزهر ومنذ سنة (378هـ/988م) معهدا علميا أكثر منه مسجدا من حيث صلة رزمة الفقهاء وشراء دار لهم واجتماعهم المنتظم في كل يوم جمعة وعقدهم المجالس العلمية والأدبية[541], إذ إن النظام الداخلي في دور العلم أول ما وجد في الجامع الأزهر وانتقلت منه إلى سواه من المدارس في العالم الإسلامي كله[542] ولاسيما إذا عرفنا بأن العصر الفاطمي كان من أشهر العصور الإسلامية فيما يتعلق بنشر الثقافة والعلوم وتأسيس المعاهد التعليمية في مختلف أرجاء الدولة الفاطمية وإنشاء المكتبات التي تحتوي على جميع العلوم المتفرقة من الفلسفة والرياضيات والنجوم والمنطق والطبيعيات[543].

ولذلك فقد استقبل الجامع الأزهر أفواج الطلاب من أنحاء مصر المتفرقة ومن بلدان العالم الإسلامي كله وكان كثير من هؤلاء يلازمون الإقامة فيه ولكل طائفة

---

(538) متز: الحضارة الإسلامية ,ج2 , ص331.

(539) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص437 ؛ مبارك: الخطط التوفيقية ,ج1 , ص87.

(540) شلبي, احمد: تاريخ التربية الإسلامية, دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع, (لا.م 1954م), ص363.

(541) شلبي: تاريخ التربية الإسلامية , ص363.

(542) شلبي: تاريخ التربية الإسلامية , ص379.

(543) الاعظمي: عبقرية الفاطميين , ص213.

رواق يعرف بهم وكانت تحمل إليهم الأطعمة والخبز والحلاوات[544], والمساجد الإسلامية هي معاهد العلم الأولى وهي البذرة الأولى في تأسيس المدارس في العالم الإسلامي وهكذا أصبحت القاهرة بفضل الجامع الأزهر مركزا لحركة علمية وفكرية وناهضة وأصبحت مقصد العلماء والأدباء والرحالة[545], وكان من اثر الأزهر ورعاية التدريس فيه والاهتمام بأمر شيوخه وعلمائه وطلابه على السواء إن اقبل عليه الراغبون في الاستزادة من علومه ومعارفه ولذلك لم يقف نشاطه العلمي عند حد بل استمر تقدمه وتعددت فنونه[546] .

وخلاصة القول إِنّ الجامع الأزهر بهذه المواصفات التي تشابه مواصفات المدارس من تأسيس دور العلم واختلاف العلوم التي تدرس للطلاب فضلاً عن أعطيات الخلفاء الفاطميين لهؤلاء الطلاب وتشجيعهم لهم وتشجيع العلماء والأدباء والفقهاء, كل هذه تُعدّ ضمن القياسات الحقيقية في إنشاء المدارس التي سبق الفاطميون السلاجقة في بنائها.

وعلى الرغم من ذلك فقد شهد العصر الفاطمي نشوء عدة مدارس وهم بذلك يسبقون الأيوبيين أيضاً في إنشائهم للمدارس ومن هذه المدارس هي:

مدرسة أبي بكر الطرطوشي:

وهي تنتسب إلى مؤسسها محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي نسبة إلى طرطوش وهي بلدة من بلاد الأندلس وهو مالكي المذهب وقد ارتحل في بلاد المشرق والمغرب من اجل طلب العلم[547], وصل إلى مدينة الإسكندرية في حدود سنة (487هـ/1094م) فوجدها عاطلة على

---

[544] شلبي: تاريخ التربية الإسلامية , ص378.

[545] احمد: الحضارة العربية ,ج3 , ص73.

[546] حمادة, عبد المنعم: مصر والفتح الإسلامي , ص193.

[547] ابن فرحون, برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت779هـ/1377م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت), ص276.

العلم فأقام بها وبث علماً جماً وحاول الإفادة من خبراته على نحوٍ جاد منتظمة, فقد بنى بالإسكندرية مدرسة اتخذ من طابقها الثاني منزلاً ولازم التدريس وتفقه عنده جماعة من الأسكندرانيين[548] وهو ما يفهم من النص الذي أورده الضبي في كتابه "بغية الملتمس"[*].

اتبع الخلفاء الفاطميين سياسة التسامح الديني مع مختلف الطوائف الدينية وما لبناء هذه المدرسة التي تختص بالمذهب المالكي المغاير لمذهب الدولة الفاطمية إلا دليل على أتباع هذه السياسة التي اتبعها الفاطميون وما يشملها من تقديم الخدمات لهذه المدارس من رعاية لها وتخصيص المدرسين والجرايات التي يصرفونها لهم وتوفير أماكن لسكناهم لاسيما إذ ما عرفنا إن من بنود الأمان الذي أعطاه جوهر الصقلي في بداية فتح مصر سنة 358هـ/969م هو حرية الأديان وعلى هذا الأساس نشأت المدارس ذات المذهب المغاير للفاطميين, ومن الجدير بالذكر إن آبا بكر الطرطوشي خلال مكوثه في مصر قد ألف كتابا اسماه "سراج الملوك" وأهداهُ إلى الوزير المأمون البطائحي والذي تحدث فيه عن واجبات الملوك والفضائل التي يجب على الملوك أن يتحلوا بها وغير ذلك[549] .

---

[548] ابن فرحون: الديباج المذهب , ص276.

(*) أورد الضبي نصاً كاملاً يوضح فيه القصة التي قام على إثرها الطرطوشي بإنشاء مدرسته. للتفاصيل ينظر: الضبي, احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت599هـ/1202م): بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس, دار الكتاب العربي, (دمشق 1967م), ص137.

[549] الطرطوشي: سراج الملوك , ص4 ؛ الضبي: بغية الملتمس , ص120.

المدرسة الحافظية(*) :

كشفت الروايات التاريخية عن وجود مدرسة ثانية في الإسكندرية أنشئت في سنة 532هـ/1137م وقد بنيت في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524هـ-544هـ) لذلك سميت بأسمهِ نسبة له وقام ببنائها الوزير رضوان بن ولخش(**) وهي المدرسة المعروفة في ثغر الإسكندرية وقرر في تدريسها الفقيه آبا الطاهر بن عوف[550].

وقد أورد القلقشندي[551] سجل الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله بإنشاء تلك المدرسة يذكر فيه سبب إنشاء المدرسة "ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميره ثغر الإسكندرية على غيره من الثغور فانه خليق بعناية تامة لإنزال تتجدد عنده وتفور, لأنه من أرقى الحصون والمعاقل والحديث عن فضله وخطير محله لا نهمه فيه للراوي والناقل وهو يشتمل على القراء الفقهاء والمرابطين والعلماء وان طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه والوافدين عليه مشتتوا الشمل متفرقوا الجمع أبى أمير المؤمنين أَنْ يكونوا حائرين مترددين ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين, وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا".

ويتضح من نص القلقشندي إن سبب إنشاء المدرسة الحافظية هو من اجل العلم بالدرجة الأولى إي لغاية علمية وليست مذهبية ولاسيما إذا عرفنا إن المدرس بها

(*) ينظر ملحق رقم (5).

(**) رضوان بن ولخش, أمير الجيوش وهو وزير الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله ومدير ممالكه بديار مصر استوزره الخليفة سنة 532هـ/1137م استولى على مصر وحجز على الخليفة الحافظ وسلك في ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش وزاد أمره حتى دس عليه الحافظ السودان فوثبوه عليه فقتلوه سنة (543هـ/1148م). المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص229.

[550] ابن ميسر: أخبار مصر, ص83؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج2, ص248؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج10 , ص458 ؛ كباشي, غنية ياسر: المكونات الثقافية, ص361.

[551] صبح الأعشى, ج10, ص458.

هو مالكي المذهب وهو احد تلاميذه أبي بكر الطرطوشي, ويذكر القلقشندي ضمن هذا السجل الصلاحيات التي أعطاها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله لأبي الطاهر سواء أكانت على التلاميذ أم على المدرسة بشكل سواء بقوله: "واستقرت التقدمة في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبو طاهر...."[552], وقد جرى تأكيد تلك الصلاحيات في موضع آخر من السجل بقوله: " واعتمد في توزيع المطلق عليهم وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدي اجتهادك إليه ويوفقك نظرك عليه وقرب من ارتضيت طريقته وابعد من أنكرت قضيته, فقد وكل ذلك إليك وعرف بك من غير اعتراض فيه عليك .....[553]

المدرسة السلفية:

وهي من المدارس التي أُنشئت في مصر الفاطمية سنة (544هـ/1149م) على يد الوزير العادل بن السلار[*] في عهد الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله, وقد أورد ذلك المقريزي بقوله: " وكان العادل بن السلار قد استقر في الوزارة... فقدم عليه الحافظ أبو طاهر احمد بن محمد السلفي فأكرمه وبني له مدرسة بالإسكندرية "[554].

---

[552] صبح الأعشى, ج10, ص458–459 ؛ النبراوي: فتحية, تاريخ النظم والحضارة الإسلامية, دار المعارف, (القاهرة 2008م), ص239.

[553] صبح الأعشى ,ج10 , ص459.

(*) العادل بن السلار: هو علي بن السلار الكردي ثم المصري وزير الظافر بالله الفاطمي كان شافعياً شجاعاً مقداماً شهماً مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح عمر بالقاهرة مساجد وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة غير عادلة وسطوة قاهرة (ت548هـ/1153م). للمزيد ينظر: ابن ميسر: أخبار مصر, ص90؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب, ص89 ؛ اليافعي: مرآة الجنان, ج3, ص221.

[554] اتعاظ الحنفا, ج2, ص267.

إما الحافظ السلفي فهو احمد بن محمد بن احمد وأتقن المذهب الشافعي وبرع في الأدب واستوطن الإسكندرية وكان منهمكاً على الاشتغال والمطالعة والنسخ[555], وسافر إلى عدة بلدان منها بغداد والحجاز وبلاد أذربيجان ومكة ودمشق إلى أَنْ

استقر أخيرا في الإسكندرية حيث توفى بها سنة (576هـ/1180م), ولم يزل أمره يعظم في الإسكندرية حتى صار له عند الخلفاء الفاطميين الاسم والجاه العريض والكلمة النافذة مع مخالفتهم لهم في المذهب حتى وصلت به المكانة المرموقة إلى بناء مدرسة له يُدرس فيها أنواع العلوم المختصة بالمذهب الشافعي[556].

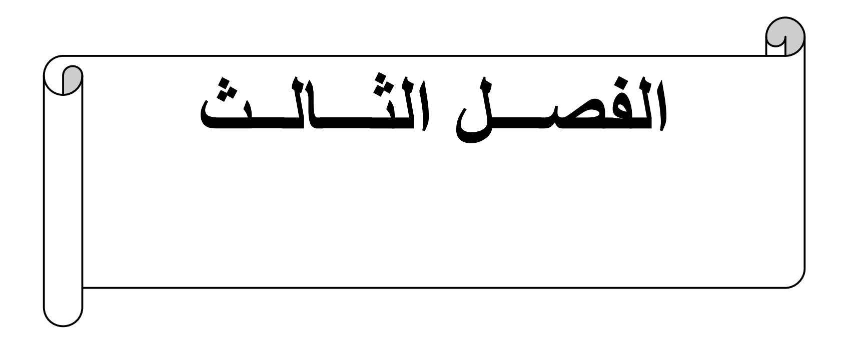
من خلال نص المقريزي حول بناء المدرسة يتضح أَنّ العادل بن السلار كان وزيراً في الدولة الفاطمية وأمر بإنشاء المدرسة وجعل الحافظ أبو طاهر احمد مسؤولاً عنها وكما تذكر الروايات التاريخية[557] بأن العادل كان على المذهب الشافعي وان التدريس في هذه المدرسة جاء وفقاً للمذهب نفسه على الرغم من أن الدولة الفاطمية كانت على المذهب الاسماعيلي المغاير للشافعي وهذا إِن دل على شيء فهو يدل على محاولة نشر المذهب الشافعي مقارنة مع مذهب الدولة الفاطمية من خلال بناء المدارس من قبل الوزراء الذين بدت سيطرتهم ونفوذهم على مجريات الأمور ومقاليد الحكم في الدولة الفاطمية.

---

(555) اليافعي: مرآة الجنان , ج3 , ص300.

(556) الصفدي: الوافي بالوفيات ,ج7 , ص229– 233.

(557) اليافعي: مرآة الجنان, ج3, ص221؛ كباشي, غنية ياسر: المكونات الثقافية, ص365.



الخدمات الاجتماعية والصحية

المبحث الاول

الخدمات الاجتماعية

ـ أثر المرأة الاجتماعي في مصر

ـ المســـــاكـــن

ـ القيـــاســــــر

ـ الخـــانـــات

ـ الوكـــالات

ـ الفنــــــادق

ـ المتاجر

ـ الحمامـــات

ـ الاســـــواق

ـ الجســــــور

أولت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً للخدمات العامة, وأدت أثراً مهماً في هذا الجانب لما له من علاقة وثيقة بالمجتمع , فقد كانت سياسة الفاطميين تقوم على أساس الرعاية والجود على الرعية وأرادت من خلال ذلك كسب قلوبهم والاحتفاظ بولائهم, وهي السياسة نفسها التي سارت عليها في المغرب واستمرت حتى بعد دخولهم مصر, فقد كان الخليفة المعز لدين الله يستاء حين يرى احد رعاياه في فاقة أو عوز, ويريد للجميع أن تظهر نعمة الله عليهم وكان يحث عماله على أَنْ يأخذوا من أموال الأغنياء ما يسد حاجة الفقراء والإحسان إلى الرعية وتوخي العدل والأنصاف وحسن السيرة والرفق بهم[558], فقد وضع الخليفة المعز لدين الله اسس السياسة الرشيدة التي سار عليها ومن بعده من خلفاء الدولة الفاطمية في مصر, وكانت تدور حول محور واحد هو اصلاح امر الرعية وحمايتهم اذ قال: "للناس شغل بدنياهم وما يتلذذون به منها, وشغلنا صلاح احوالهم والنظر فيما يعود عليهم ويحمي حماهم, ويحقن دماءهم, ويحصن حريمهم واموالهم, بذلك نقطع ليلنا ونهارنا.."[559], وقد سار الخليفة العزيز بالله على خطى أبيه ويتضح ذلك من قوله: "أحب أرى النعم عند الناس ظاهرة , وارى عليهم الذهب والفضة والجواهر, ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندي"[560] .

وهذا القول يوضح موقف الخلفاء اتجاه رعاياهم, فهم يتمنون توفير كل ما يحتاجوه حتى لو لم يتمكنوا من ذلك وهذا مما يدل على شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم, ولقد أدرك قسم من الخلفاء الفاطميين لهذه المسؤولية وعملوا على معالجة تدني مستوى معيشة الأفراد ولاسيما الفقراء منهم فنجد الخليفة الحاكم بأمر

---

(558) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات , ص959.

(559) الخربوطلي: علي حسني, الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة, بحث منشور في مجلة الموسم, العددان69و70 هولندا، لسنة 2008م , ص28.

(560) المقريزي: الخطط , ج2 , ص248.

الله يوزع جزءاً من أمواله على الفقراء والمحتاجين وكان يحمل كيساً من المال يوزعها على الفقراء[561] .

كان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يقيم الاسمطة في داره في الأعياد والمناسبات وأقام مكاناً سماه مجلس العطايا يوزع فيه الأموال على المحتاجين[562], وكذلك ما عمله الوزير المأمون في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله بان تصدق على الفقراء ببناء طاحونة لهم[563] , وهذا مما يدلل على اهتمام الخلفاء الفاطميين ووزرائهم بأحوال الطبقة العامة ومحاولة تحسين لظروفهم المعاشية ولاسيما الفقراء منهم .

أثر المرأة الاجتماعي في مصر

لم يقتصر تقديم الخدمات العامة على الرجال فقط إذ شمل النسوة أيضاً اللاتي كنَ يقدمن الخدمات العامة للمجتمع المصري في ظل الفاطميين, وقد تنوعت المنشات التي خلفتها المرأة الفاطمية سواء التي أمرت بإنشائها وانفقت عليها أو التي ينُبت لها من قبل الخلفاء وقد اهتمت المرأة بالعمران نتيجة للتطور العمراني الذي شهدته مصر تلك الحقبة المهمة في تاريخها والتي شملت منشات مختلفة منها المساجد والقصور والمناظر وغيرها, إلا إن السمة الغالبة على المنشات التي قامت المرأة بتشييدها هي المنشات الدينية , ومن هذه المنشات:

جامع القرافة[*]: وهو احد منشات السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز لدين الله وقد قامت بإنشائه في سنة (366هـ/976م), أي بعد وفاة الخليفة المعز لدين الله, وهو يشبه الجامع الأزهر في بنائه, وكان مربع الزوايا وفي جوانبه أروقة كما إن

---

(561) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص288.

(562) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص123.

(563) ابن المأمون: أخبار مصر , ص64.

(*) القرافة: وهي مقبرة لأهالي مصر وتوجد بها الأضرحة والمشاهد والمساجد والأربطة وكانت تتصل بالقاهرة بالمباني والقصور البديعة وأنها كانت قليلة السكن. ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص378–379 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص325.

له منارة عالية[564], قام بتصميمه الحسن بن عبد العزيز المحتسب, وهو يقع بالقرافة الكبرى خارج القاهرة وكان ملحقاً بالجامع بستان وصهريج للمياه من جهة الغرب[565], وكان جامع القرافة مثل الجوامع الأخرى تقام فيه صلاة الجمعة وخصصت له من الأعطيات والصدقات التي كانت توزع على المساجد وكان يقام فيه سماط في ليالي الوقود[*] فضلاً عن الصدقات للفقراء وأهل الربط[566] .

وقد تم تجديد هذا الجامع في خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون البطائحي سنة 516هـ/1122م إذ تولى عملية التعمير وكيل المأمون أبي البركات محمد بن عثمان وعمر بجانبه طاحوناً للسبيل ويبتاع لها الدواب وجميع المؤن ويتخير من الساكنين بالقرافة من يجعله أميناً عليها ويطلق له ما يكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أنّ يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدي الأمانة فيها[567] .

مسجد النارنج: وهو من المساجد التي أقامته زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله وتُعرف بأسم الجهة الآمرية المعروفة بجبهة الدار الجديدة, وتم إنشائه سنة 522هـ/1128م, وانفقت عليه اثني عشر على يد الأستاذين أفتخار الدولة يمن ومعز الدولة الطويل[568] وسمي مسجد النارنج, لان تاريخه لا ينقطع أبداً[569] .

---

(564) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص325؛ عبد الكريم, نريمان: المرأة في مصر في العصر الفاطمي, الهيأة المصرية العامة للكتاب ,(لا.م 1993م) , ص60.

(565) المقريزي: الخطط , ج3, ص325.

(*) ليالي الوقود: هي أربع ليال مباركة وهي أول رجب ونصفه وأول رمضان ونصفه ,يخرج فيه موكب كبير من رجال الدين وفي أيديهم الشموع إلى المنظرة التي يجلس فيها الخليفة الذي كان يستمع إلى خطب أئمة الجوامع بمناسبة هذه الأشهر الفضيلة. ينظر: ماجد: نظم الفاطميين ,ج2 , ص15.

(566) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص326.

(567) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر, ص36 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص330.

(568) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص651.

(569) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص651.

مسجد الأندلس: يقع هذا المسجد في شرقي القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح, أقامته السيدة علم الآمرية التي اشتهرت بميلها إلى العمران مثل السيدة تغريد ,وقد تم بناؤه سنة 526هـ/1132م على يد الشيخ المعروف أبي تراب[570] .

مسجد السيدة رقية: وهو من منشات السيدة الآمرية , وأقامته على يد أبي تراب حيدرة وقد تضمن عدداً من الكتابات الكوفية التي ترجح بناء هذا المسجد في سنة 527هـ/1133م[571] .

مسجد أم عباس: أم عباس وهي تدعى بلاوه وهي مغربية الأصل تزوجت العادل بن السلار الذي كان وزيراً في عهد الخليفة الظافر بأمر الله, أقامت هذا المسجد في سنة (547هـ/1152م) غربي المقابر بالقرافة الكبرى على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوي بن القفاص[572] .

مسجد جهة ريحان: بنته إحدى زوجات الخليفة الحافظ لدين الله, وريحان أستاذ كان يقوم بخدمتها وقام بتجديده سنة 542هـ/1147م[573] .

مسجد جهة بيان: بَنَتْ هذا المسجد الجهة الحافظية (إحدى زوجات الخليفة لدين الله وهي جهة بيان الحسامي)على يد أبي الفضل الصعيدي المعروف بابن الموفق[574].

الرُبــــط :

اهتمت المرأة الفاطمية بإنشاء الربط حالها حال المساجد نوعاً من الخدمات الإنسانية التي قامت بها, والربط لغة يقال ربط الشيء يربطه ربطاً فهو مربوط

---

(570) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص652.

(571) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص .

(572) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص655.

(573) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص657.

(574) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص657-658.

وربيط شدة والرباط ما ربط به والجمع ربطة والمرابطة هي ملازمة ثغر العدو[575], وقد كانت نوعاً من المباني العسكرية التي يسكنها المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام, ثم أصبحت بيوتاً للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية إذ تؤدي فيها الشعائر الدينية, وكان يلحق بها مساكن للفقراء المنقطعين وفيها ما كان يخصص للنساء, إذ إِنها قامت بمثابة دور لكفالة المرأة إذ تقيم البنات حتى يتزوجن والمطلقات وكذلك العابدات وقد وُجدت في القرافة الكبرى عدة دور يقال للدار منها رباط[576], على هيأة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي (صلى الله عليه وال وسلم) يكون فيها العجائز والأرامل والعابدات وكانت لهم الجرايات , وكان لهن المقامات المشهورة من مجالس الوعظ[577] .

وأقيمت تلك الربُط كعمل من أعمال الخير والبر والإحسان على النساء العابدات, فكانت للسيدة "علم الآمرية" زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله صدقات بر وفضل وخير وكانت تبعث إلى الأشراف بصلات جزيلة وترسل إلى أرباب البيوت والمستورين أموالاً كثيرة[578], ومن أهم الربُط التي أنشأتها النساء في الدولة الفاطمية هي:

رباط الأندلس: بنت هذا الرباط الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله[579] .

رباط الحجازية: بنته "فوز" جارية علي بن احمد الجرجراي الوزير لدى الخليفة الفاطمي الظاهر لأمر الله والخليفة المستنصر بالله[580] .

---

[575] ابن منظور: لسان العرب ,ج7 , ص320.

[576] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص672.

[577] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص672.

[578] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص672 ؛ سلطان: الحياة الاجتماعية , ص22.

[579] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص673.

[580] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص673.

رباط الرياض: كان بجوار مسجد الحاجة رياض[581].

ومن الجدير بالذكر إنّ إنشاء الربط لم يقتصر على النساء فحسب بل شاركها الرجل أيضاً رغبة منه في عمل الخير ومن هذه الربط "رباط الأشراف" الذي بناه أبو بكر محمد بن علي المادراني وكان مخصصاً لنساء الأشراف[582] .

المصليات:

وهي من المنشات الدينية التي قامت المرأة بإنشائها في الدولة الفاطمية رغبة منها في الحصول على الأجر والثواب منها:

1- مصلى المغافر: عرف بآسم الأندلس وكان قد جدد في أيام الدولة الإخشيدية ثم أعادت بنائُه السيدة علم الآمرية في سنة526هـ/1131م[583], ولعلها كانت مجموعة أطلق عليها الأندلس منها المسجد والرباط والمصلى .

2- مصلى جهة العادل: وهو المصلى الذي قامت بإنشائه بلاوه المغربية الأصل وهي زوجة الوزير العادل بن السلار وزير الخليفة الظاهر بأمر الله[584] .

الأحواض:

أنشأت الأحواض لتخزين المياه, الأمر الذي كان مرتبطاً بالمدن التي تعتمد على مياه الأمطار التي تتجمع في الأحواض التي تسمى "مصانع" إذ ذكر ناصر خسرو انه كان بمدينة تنيس صهاريج عظيمة المياه مبنية تحت الأرض وتملا هذه الصهاريج بمياه النيل الحلوة عند الفيضان وتستعمل حتى السنة الآتية[585].

---

[581] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص673.

[582] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص672.

[583] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص673.

[584] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص673.

[585] سفرنامة , ص93.

ويبدو أَنّ إنشاء هذه الأحواض هي من اجل تغذية المناطق البعيدة نسبياً بالمياه ولاسيما إذا عرفنا بان بناءها يُعدّ من الإعمال الخيرية إذا ارتبطت هذه الأحواض بالمساجد .

من أهم الأحواض التي أنشأت في الدولة الفاطمية هي:

1- حوض القرافة: التي أمرت ببنائه ست الملك عمة الخليفة الحاكم بأمر الله وابنه الخليفة المعز لدين الله في سنة366هـ/976م, وتم تجديد هذا الحوض مرتين الأولى في عهد الفاطميين على يد الوزير العادل بن السلار في سنة546هـ/ 1151م, والمرة الثانية في عهد الأيوبيين[586] .

2- الحوض بجوار قصر القرافة: يقع هذا الحوض في ظهر الحمام العزيزي, وقد أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (السيدة رصد) على يد وكيلها أبي إبراهيم احمد بن القاسم بن الميمون شيخ الفرّاء[587] .

3- حوض في داخل قصر أبي المعلوم: وهو مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب, وهو من منشات السيدة أو الخليفة العزيز على يد المحتسب الفارسي مع عمارة البئر وقد جددته ست الملك عمة الخليفة الحاكم بأمر الله[588] .

القصور:

وهي المنشات التي حملت اسم المرأة ولكنها كانت قليلة ومنها قصر القرافة وهو من منشات السيدة تغريد إقامته في سنة366هـ/976م على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب, وكان هناك عدد من الملحقات بهذا القصر منها حمام وبئر للماء وبستان عرف بالتاج المعروف بحصن أبي المعلوم, وكان بهذا القصر منظره محمولة على البئر وكذلك حوض لسقي الدواب[589] ثم جدده الخليفة الآمر

---

[586] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص687.

[587] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص687.

[588] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص687 .

[589] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص672.

بأحكام الله في سنة 520هـ/1126م وعمل مصطبة للصوفية وكان في مقدمتهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم وعلى الأرجح إنها الإضافة الوحيدة في القصر .

المساكن:

لابد أن نتعرف أولاً عن معنى كلمة المساكن فهي تعني سكن, السَّكُونُ ضد الحركة, وسكن الشيء يَسْكُنُ سكوناً سكُوناً[590], والمَسْكِنُ بكسر الكاف هو المنزل والبيت[591] يقال لهم سكنى الرجل في الدار أي سكن فيها[592] , وقد وردت كلمة المسكن في القران الكريم بقوله: ((. . . وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا . . .))[593] وقوله تعالى: ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...))[594] وقوله تعالى: ((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . . .))[595] .

كان المجتمع المصري مجتمعاً طبقياً, ولذا فأن اختلاف طبقاته يؤدي إلى اختلاف مساكنهم, فقد انتشرت بالفسطاط العديد من الدور والمساكن المختلفة التراكيب المعمارية[596], فكانت تلك الدور في بادئ الأمر تبنى باللبن ومن طابق واحد, وبعد تطور الحضاري الذي شهدته مصر, بدأت تلك الدور تتطور شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تبنى من الأجر والطوب[597], وقد كان معظم بنيانهم وأكثر أسفل دورهم غير مسكون[598], أنشئت أغلب دورهم من عدة طوابق يتراوح عددها بين

---

(590) ابن منظور: لسان العرب ,ج13 , ص211.

(591) الرازي: مختار الصحاح , ص129.

(592) ابن منظور: لسان العرب ,ج13 , ص211.

(593) سورة التوبة / الآية (24).

(594) سورة البقرة / الآية (35).

(595) سورة الأعراف/ الآية (19).

(596) العميد, طاهر مظفر: تخطيط المدن العربية الإسلامية, مطبعة جامعة بغداد, (بغداد 1986م), ص261.

(597) العميد: تخطيط المدن , ص261.

(598) ابن حوقل: صورة الأرض ,ج1 , ص146 ؛ الحميري: الروض المعطار , ص442.

ست إلى ثمانية طوابق حسب ما ذكره ابن حوقل[599], أما المقدسي فقد قدر عدد طوابق البناء ما بين أربعة إلى خمسة طوابق[600] في حين حددها ناصر خسرو بأربع عشرة طبقة وبيوت من سبع طبقات[601], إما المقريزي أشار إلى أَنّ دور الفسطاط تتكون من سبع طبقات وستاً وخمساً, وربما يسكن في الدار المئتان من الناس[602], ومما تقدم نجد أن الكثافة السكانية حتمت على أولي الأمر الاتجاه في توفير السكن العمودي تلبية لحاجة اجتماعية ومعالجة حضرية متقدمة مما يدلل على مدى الرقي الحضري والعمراني وقدرة المهندسين والبنّاء المصري آنذاك على الإبداع في تقديم الخدمة العامة ولاسيما أذا توفر له الدعم المادي والمعنوي وهذا ما نجده عند الفاطميين, إذ تشير المصادر التاريخية إلى قيام الخلفاء الفاطميين ببناء المساكن, إذ ذكر ناصر خسرو أنّ الخليفة الفاطمي أمر ببناء ثمانية ألاف بيت في القاهرة ومصر (الفسطاط)[603] وهذا لا يعني إن المنازل أقتصرت ملكيتها للخليفة فحسب بل على العكس, إذ كانت ملكية المنازل تحديداً تقتصر على أصحابها فقط , وبناء الخليفة لهذه المساكن كان مساعدة منه في تخفيف أزمة السكن وتقديم المساعدة للناس ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم, ولذا نراهم يتسامحون في أجرة الرباع السلطانية في شهر رمضان تعظيماً لهذا الشهر الفضيل[604] .

كانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة وهي بعيدة عن بعضها البعض, فلا تنمو أشجار بيت

---

(599) صورة الأرض , ج1, ص146.

(600) أحسن التقاسيم , ص166.

(601) سفرنامة , ص116 ؛ مصطفى , شاكر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني, ذات السلاسل, (الكويت 1988م) ,ج , ص36.

(602) الخطط,ج2,ص8؛ كركوكي, محمد مهري, رحلة مصر والسودان, مطبعة الهلال,(مصر1914م), ص109.

(603) سفرنامة , ص104.

(604) المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص210.

على سور بيت آخر ويستطيع كل مالك إن يعمل لبيته في كل وقت من هدم أو إصلاح من دون أن يضايق جاره[605], إن تحليل هذا النص لشاهد عيان يعطينا فكرة واضحة المعالم عن حالة الترف الاقتصادي الذي كانت تعيشه مصر آنذاك, إذ إن العمران وتطوره كان على الدوام مقترناً بالترف الذي تعيشه الدول[606] .

القياسر:-

ومن المنشات المهمة التي قام الخلفاء الفاطميون ببنائها هي القياسر وتعني في اللغة الضخم الشديد القوي[607] أما المعنى الاصطلاحي لها في منشاة تجارية تنسب إلى يوليوس قيصر وانتشرت في كل مدينة قيساريه لاجتماع التجار فيها وحفظ السلع[608], وأنشأت هذه القياسر لخدمة التجار وهي تتكون من طابقين, الطابق السفلي منها يشمل الحوانيت والمصانع, أما الطابق العلوي فهو مساكن أعدت من اجل مبيت التجار فيها[609], وقد وصف ابن جبير واحدة منها في الموصل قائلاً: "كأنها الخان العظيم تتعلق عليها أبواب حديد وتطبق دكاكين وبيوت بعضها على بعض"[610].

شهدت مصر خلال العصر الفاطمي نشاط اقتصادي كبير تمثل في إنتاج البضائع واستيرادها مما شجع التجار من مختلف الدول لمزاولة عملهم فيها ولذا اوجب بناء عدد من الفنادق والقياسر والوكالات التي تضمن توفير مستلزمات الراحة والمبيت طيلة مدة بقاء التجار في مصر, فقد كانت هذه المؤسسات تبنى لخدمة التاجر الذي يتنقل من بلد إلى آخر ويهمه أن يجد الأمن والمسكن في المدينة

---

(605) خسرو: سفرنامة , ص106.

(606) ينظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون , مطبعة الكشاف , (بيروت لا.ت) , ص58.

(607) ابن منظور: لسان العرب ,ج5 , ص93.

(608) الفاسي, الحسن بن الحسن الوزان: وصف أفريقيا, ترجمة محمد صبحي ومحمود خضر, (الرباط 1980م), ج1, ص194.

(609) عزب, خالد: الفسطاط المنساة والازدهار, دار الأفاق العربية, (القاهرة 1998م), ص82.

(610) رحلة ابن جبير , ص214 .

التي ينزل بها[611], وكانت كل مؤسسة من هذه المؤسسات مكتملة المرافق ففيها مخازن لإيداع البضائع والأموال وغرف النوم والراحة وحمامات للاستحمام, وإن فيها قاعة لعجن العجين وفرناً للخبز وأماكن للعزاب وأخرى للأسر ومواضع للدواب[612], وبما إن هذه المؤسسات هي مؤسسات أعدت لخدمة التجار فقد تولت الدولة إنشائها والعناية بها وتوفير مستلزماتها كافة فضلاً عن ما تمثله هذه المؤسسات من مواجهة حضارية للمجتمع فلا بد من تقديم الخدمات اللازمة كافة فيها ولذا فقد قامت الدولة الفاطمية ببناء العديد من القياسر ومن أهم هذه القياسر :

1- قيساريه ابن أبي أسامة: وتقع بجوار الجملون الكبير وقفها الشيخ أبو الحسن علي بن احمد بن الحسن بن أبي أسامة صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله سنة (518هـ/1124م) وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وقد توفي سنة (522هـ/1128م)[613] .

2- قيساريه ابن يحيى: كانت هذه القيسارية تقع باتجاه قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى, وقد انشأها القاضي هبة الله بن يحيى التميمي المعدل في سنة540هـ/1145م[614] .

3- قيساريه ابن ميسر الكبرى: هذه القيساريه في خط سويقة وردان وهي عامرة ويباع بها القماش الجديد من الكتان الأبيض والأزرق والطرح وكان التجار يقصدونها في يومي الأحد والأربعاء لشراء هذه الأصناف[615] .

4- قيساريه عبد الباسط: تقع هذه القيساريه برأس الخراطين من القاهرة وكان موضعها قديماً يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين [616] .

---

[611] مصطفى: المدن ,ج2 , ص501.

[612] مصطفى: المدن ,ج2 , ص501.

[613] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص559.

[614] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص569.

[615] ابن دقماق: الانتصار , ج4 , ص38 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص571.

[616] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص572.

5- قيساريه أمير الجيوش: وهي من باب حارة برجوان وقريبة من الجامع الحاكمي بناها الأفضل بن بدر الجمالي[617] .

6- قيساريه المحلي: مسكن هذه القيساريه الصوافين وهي تشمل على ست أبواب وكان يباع بها سائر أنواع الصوف والحشيش والشعر وغيره وكانت مزدحمة وليس بها حانوت خال وكان ينزل إليها تجار القاهرة للبيع والشراء فيها[618] .

7- قيساريه شبل الدولة: تقع هذه القيساريه في مربعة البزازين ولها ثلاثة أبواب, وكانت معروفة بأقمشة النساء وهي أعمر قياسر مصر وهي مزدحمة بالسكان[619] .

---

[617] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص66 ؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ,ج4 , ص52.

[618] ابن دقماق: الانتصار, ج4 , ص37-38 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص557.

[619] ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص38 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص557.

8- قيساريه ورثة الظاهر: تقع في سوق المفصلين بأول الاساكفة, وكان لها ثلاثة أبواب وكانت معروفة ببيع القماش الشامي[620] .

9- قيساريه ابن ميسر الصغرى: تقع في سوق القشاشين, وكان يباع بها الصناديق وما شاكلها, وكان بها جماعة من أعيان التجار, وكانت مشهورة بأنها وقف مع القيساريه الكبرى وهي تشتمل على ثلاثة أبواب[621] .

الخانات:

الخان, هو الحانوت ومحل نزول المسافرين, وهي كلمة دخيلة أعجمية أدخلت في كلام العرب والجمع خانات وهو معَّد للتجار فهو النزل أو الفندق[622], وشاع لفظ الخانات كمعنى مرادف للفندق من المشرق إلى الشام ومصر وتعني الكلمة (الملك) أي أنها تحت حمايته[623] وتحتوي على مجموعة من الحوانيت ومستودعات البضائع الخاصة بالتجار ويشتمل على مسجد صغير وخزانة كبيرة لحفظ أموال التجار وجميع حاجيتهم الذهبية والفضية ويؤدي عمل المصرف[624], والخانات أضخم من القياسر في بنائها وكانوا يشيدون الخانات لأعمال الخير كأبواء أبناء السبيل والمسافرين[625] .

---

(620) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص38.

(621) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص38-39 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص557.

(622) الرازي: مختار الصحاح, ص81؛ ابن منظور: لسان العرب, ج13, ص146؛ الحائري: محمد حسين الاعلمي, دائرة المعارف الشيعية العامة, ط2, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, (بيروت 1993م), ج9 , ص49.

(623) مصطفى: المدن ,ج2 , ص500.

(624) ابن المجاور, محمد بن مسعودي بن علي النيسابوري (ت630هـ/1232م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة (تاريخ المستبصرين) , (ليدن لا.ت) , ج2 , ص192.

(625) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص575؛ البراوي, راشد: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1948م), ص273.

أما أهم الخانات التي أنشات في عهد الفاطميين فهي:

1- خان السبيل: يقع خارج باب الفتوح وبناه الأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدي (ت577هـ/1181م) خادم أسد الدين وسخره لأبناء السبيل والمسافرين ويُعدّ أجرة وبه بئر ساقيه وحوض[(626)] .

2- خان منكورش: يقع هذا الخان في سوق الخمسين قرب الأزهر في القاهرة وهو من بناء الأمر ركن الدولة منكورش وهو احد مماليك صلاح الدين الأيوبي (ت577هـ/1181م) وعُرف في مصر باسم خان النشارين وهو وقف على جهات بر وأحسان[(627)] .

وقد أقيمت الخانات للمسافرين ودوابهم وبضائعهم على طوال الطرق البرية لكي يرتاح فيها التجار وكانت أيضاً ملتقى لهؤلاء التجار يتبادلون فيها البضائع ويعقدون الصفقات, ففي الخان الرئيس ويقع عند ملتقى الطرق كان هناك كاتب العدل لأجراء عقود البيع والإيجار والقيام بتسجيل ما يحتاجه التجار لضمان حقوقهم وواجباتهم, ويوجد فيه السماسرة الذين يقومون بالوساطة بين البائع والمشتري فينادون معلنين عن البضائع لجلب نظر الزوار الخان وهي تشابه الحال التي تكون عليها الأسواق[(628)], ومن الجدير بالذكر وجود المترجمين الذين سهلوا عملية التبادل التجاري بين العرب والوافدين من التجار الأجانب براً وبحراً فضلاً عن وجود المتخصصين بتسعير البضائع والتأكد من سلامتها منعاً للغش هذا إلى جانب وجود محلات لتأمين حاجات المسافرين وتأمين نقلهم والمطاعم وغرف المنام لكل التجار والمسافرين[(629)] .

[(626)] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص123؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص575.

[(627)] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص26 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص575.

[(628)] الرفاعي: النظم الإسلامية , ص278 ؛ الذهبي: ريم هادي , تجارة مصر خلال العصر الفاطمي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية للبنات ,(بغداد 2008م) , ص147.

[(629)] الرفاعي: النظم الإسلامية , ص278 ؛ الذهبي: تجارة مصر , ص147.

الوكالات:-

وهي مباني تجارية خدمية تشبه القيساريه في بنائها وعملها ,وهي ترادف الخان والفندق في معناها وكان ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام وتحتوي على طوابق كثيرة منها المساكن والمخازن والمستودعات[630] وكانت تؤدي فيها عملية البيع بالجملة فضلاً من توزيع ما يرد إليها إلى الأسواق[631] .

من أهم الوكالات التي قام الخلفاء الفاطميين بإنشائها هي الوكالة الآمرية والتي أنشئت في سنة (516هـ/1122م) على يد الوزير المأمون بن البطائحي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وهي تقع في القاهرة وكانت لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهم[632] , فضلاً عن وجود (وكالة ابن ميسر) التي أنشئت في سنة (531هـ/1137م) في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله [633] .

الفنادق:

وهي لفظة أجنبية آتية من اللفظ اليونانيpandokeon وكلن يعرف في الدولة البيزنطية بآسم ميتاتا ويعرف في الايطالية بكلمةfondacon والتي اخذ عنها اللفظ العربي[634] .

وقد أنشئت الفنادق لخدمة التجار وهي تتألف من عدة طوابق وطابقه الأرضي مخزن لبضاعة التجار الذين ينزلون في الطابق العلوي[635], وكان لكل جالية فندق

---

(630) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص576 ؛ الشوربجي: الرحالة المسلمين , ص358.

(631) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص576.

(632) ابن ميسر: أخبار مصر, ص92؛ المقريزي: الخطط, ج2, ص256؛ اتعاظ الحنفا, ج2, ص203؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية, ص271؛ سرور: الدولة الفاطمية, ص159؛ أيوب: التاريخ الاجتماعي , ص179.

(633) ابن ميسر: أخبار مصر , ص81 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص245.

(634) الدمشقي, أبو الفضل جعفر بن علي (ت القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر الميلادي): الإشارة إلى محاسن التجارة, تحقيق الشوربجي, (القاهرة 1977م), ص18؛ مصطفى: المدن , ج2 , ص500.

خاص بها ولاسيما مدينة الإسكندرية إذ تعددت الجالية الأجنبية وكان يتم الأشراف عليها من قبل الشخص يتم اختياره من بين الجالية والذي يتصل بالدولة الفاطمية اتصالاً مباشراً التي تقوم على مراقبة شؤون الفنادق ومتابعة متطلباتها لكونها احد الخدمات التي تقدمها[636], ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقي[637] وكان الفندق يكون أما في داخل المدينة أو خارجها ويحتوي على كنيسة صغيرة ويقيم التجار بها شعائرهم الدينية[638] وهذا مما يدلل على روح التسامح التي اتسمت بها الدولة الفاطمية فكان التاجر لا يشعر بالغربة وهو خارج بلده, لأنه يعيش حياته وكأنه في بلده.

ومن أهم الفنادق التي تم إنشائها في مصر خلال العصر الفاطمي هي:

1- **فندق حوى بن حوى العذري:** يقع هذا الفندق بعقبة النجارين, وحوى من أهل وادي القرى وقد توفي في مصر سنة 200هـ/826م[639] .

2- **فندق الجوباشي:** وهو الفندق ذو البابين المسلوك إليه من بحر النيل[640] .

3- **فندق الحصر:** يقع هذا الفندق بموردة الحلفاء وقد عمره السيفي تنكز الحسامي, ويباع به الحصر الرفيعة والحصر القطبان التي تجلب من الفيوم ويباع به أيضاً الرطب والزيتون الأخضر[641] .

4- **فندق الوكالة:** عمر هذا الفندق بكتمر الساقي الناصري وأقام على ملكه حتى وفاته ثم من بعده لأولاده[642] .

---

(635) مصطفى: المدن, ج2, ص500 ؛ الشوربجي: الرحالة المسلمين, ص356 .

Heyd, w.Histoire du commereedu levant au moyon-age (2voli, Leipzig 1923) P.430-431.

(636) الشوربجي: الرحالة المسلمين , ص356.

(637) البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص271.

(638) البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص271.

(639) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص40.

(640) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص40.

(641) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص40.

(642) ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص40.

المتاجر:

وهو ما يباع للديوان من بضائع تدعو إليها الحاجة ويقتضيه طلب الفائدة[643], وكانت تستعمل لخزن الغلال وإخراجها في حالة حدوث الأزمات الاقتصادية لكي تبيعها للناس بأسعار معتدلة, وكانت تحتوي على ثلثمئة ألف إردب[*] من الغلات وأكثر من ذلك[644] .

وفيما يخص أهميته لأنه يحتوي على السلع التي يشريها الديوان من التجار الواردين إلى مصر وذلك حسب ما تدعو إليه حاجة البلاد فإذا زاد ثمن المباع من التجار شيئاً مما يجب عليه من ضريبة الخمس للدولة أعطى به أي بالزيادة بحق الثلثين وذهباً بحق الثلث الباقي[645] .

وكانت الحكومة الفاطمية تحتكر عدداً من الصنائع التي يشرف عليها ديوان المتجر وقبل تولى الوزير اليازوري الوزارة سنة(442هـ/1050م) كان يبتاع للسلطان في كل سنة غلة بمئة ألف دينار وتجعل متجراً حتى إذا نقصت الأقوات عن الأسواق أخرجت الحكومة ما في مخازنها وباعته للناس, وقد اقترح اليازوري في سنة (544هـ/1052م) إقامة متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف الغلة ولا يخشى عليه من تغيير في المخازن أو انحطاط سعره وهو الخشب والصابون

---

(643) ابن مماتي: أبو المكارم سعيد بن المهذب بن أبي مليح (ت606هـ/1209م): قوانين الدواوين, تحقيق عزيز سوريان عطية , (القاهرة 1943م), ص327.

(*) الإردب: وهو من المكاييل التي استعملتها أهل مصر, وهو مكيال ضخم حيث يساوي وزنه أربعة وعشرين صاعاً وقيل أربعة وستين متاً, المناوي, محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (ت1031هـ/1612م): النقود والمكاييل والأوزان, تحقيق رجاء السامرائي, (القاهرة 1986م), ص108.

(644) ابن الطوير, أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (ت617هـ/1120م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين, تحقيق أيمن فؤاد سيد, دار النشر, (بيروت 1992م), ص139.

(645) ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص327.

والحديد والرصاص والعسل وغيرها ووافقه الخليفة على رأيه واستمر العمل بهذا النظام[646] .

الحمامات:

الحمام من استحم أي اغتسل بالحميم, وهو مكان للاغتسال بالماء الحار وهو احتمام الشيء إذا سخن والحميم للمذكر وللمؤنث أي استحم اغتسل به وعُرف الحمام بآسم ديماس[647] .

من خلال الرواية التاريخية التي صورت المدن المصرية, انتشرت الحمامات في مصر فتكاد لا تخلو مدينة في مصر من ذكر الحمامات فيها, فيصف ابن ظهيرة حمامات القاهرة بأنها "غاية الحسن في بنائها من كثرة الرخام والزخرفة"[648], وقد كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند فتح مصر: "أما بعد أني فتحت مدينة لا اصف فيها غير أني أحيت بها مدينة (وهي الإسكندرية) بها أربعة آلاف حمام"[649], في حين يقدرها ابن زولاق ان في الإسكندرية اثنا عشر ألف ديماس واصغر ديماس فيها يسع ألف شخص كل مجلس

---

[646] المقريزي: إغاثة الأمة , ص25-26؛ سيد , أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية , ص349-350.

[647] الرازي: مختار الصحاح, ص66؛ ابن منظور: لسان العرب, ج12, ص153-154؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط , ص1046.

[648] الفضائل الباهرة ,ص190.

[649] البكري, محمد بن أبي السرور(ت1087هـ/1676م):الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة, تحقيق عبد الرزاق عيسى, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة 1997م), ص64.

يسع جماعة[650], أما الفسطاط فهي مدينة كبيرة وكانت بها حمامات[651] وقد بلغ عدد الحمامات في مصر 1170حمام[652], ومن الجدير بالذكر بأن أول حمام أنشئ في مصر هو حمام الفار وإنما قيل له حمام الفار, لأن حمامات الروم كانت كبيرة فلما بُني هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل؟ هذا حمام الفار[653] .

تُعدَّ الحمامات من المرافق الخدمية التي انشاها الفاطميون في مصر لما تشكله من مظاهر التطور والارتقاء لأعلى درجات النظافة والطهارة التي أكدها القران الكريم كما في قوله تعالى: ((... إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))[654], وقوله تعالى: ((... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ))[655], وقد ورد عن الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) قوله: "إذا نام العبد على طهارة رفع روحه إلى العرش"[656], وبذلك فأن الغاية المقصودة من إنشاء الحمامات هي النظافة والتطهر وهي تمثل أعلى قيم الحضارة لأنها حاجة ضرورية أوجبتها فريضة الاغتسال في الإسلام[657], لذا أدخلت الحمامات ضمن الأبنية العامة في المدن الإسلامية كمؤسسة أساسية بعد الجامع ودار الأمارة والسوق[658] .

---

(650) الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي (ت387هـ/997م) فضائل مصر وأخبارها وخواصها, تحقيق علي محمد عمر, هيئة الكتاب, (القاهرة لا.ت), ص61؛ ابن آياس, محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1520م): نزهة الأمم في العجائب والحكم, تحقيق محمد زينهم محمد عزب, مكتبة مدبولي, (القاهرة 1995م), ص179-180.

(651) ابن حوقل: صورة الأرض, ص128.

(652) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ,ج4 , ص266؛ المقريزي: الخطط ، ج3، ص126.

(653) ابن عبد الحكم: فتوح مصر, ص139 ؛ ابن دقماق: الانتصار ,ج4 , ص105.

(654) سورة البقرة/ الآية (222).

(655) سورة التوبة/ الآية (108).

(656) الغزالي: أحياء علوم الدين ,ج1 , ص348.

(657) ابن خلدون: المقدمة , ص377.

(658) مصطفى: المدن ,ج2 , ص654.

وقد ذكر المسبحي نقلاً عن المقريزي في تاريخه أَنّ العزيز بالله هو أول من بنى الحمامات في القاهرة[659] إذ تمتعت بالكثير من الحمامات, لأنها العاصمة ومقر استقرار الفاطميين, وقد أنشأت هذه المرافق الخدمية لخدمة الناس ولصعوبة بناء الحمامات في المنازل وقد كانت فيها الحرارة المعتدلة ووفرة المياه التي ليس فيها حساب ولا تقدير, ويستعمل ما قدر عليه ولا يرده عن الإسراف إلا دينه مع خشية الأجرة المدفوعة بقيمتها لمن أراد[660], فلم يكن هناك أجور تفرض على الداخلين للحمامات وهذا الأمر هو حسب إرادة الشخص وليس فرضاً عليه .

ونلاحظ من التخطيط العام وبقايا جدران الحمام التي تم العثور عليها بمنطقة كوم الجارح بأنه مبني على الصخر مباشرة للافادة من الانحدار الطبيعي للتل في الإمداد في الماء والصرف, وكانت قيد حجرة فسيحة تمثل القاعة الباردة أي ذات الجو العادي وكانت مخصصة لخلع الملابس والاسترخاء وعرفت بآسم المخلع في حمامات القاهرة[661], ويوجد إلى اليسار منها حجرة تالية تمثل القاعة الدافئة التي تؤهل المستحم للدخول إلى الغرفة الساخنة وهي ترتفع فوق غرفة التسخين المعروفة في الحمامات الرومانية بأسم hypocanst ويوجد بها حوض صغير لصق الجدران مشيد من الطوب ومكسو بطبقة من الملاط[662] .

وخير الحمامات ما قدم بناؤه واتسع هواؤه وعذب ماؤه وقدر الوقاد وقوده بقدر مزاج من أراد وروده[663], وقد وصف عبد اللطيف البغدادي حمامات مصر بقوله:

---

(659) الخطط , ج2, ص536؛ مبارك: الخطط التوفيقية, ص95؛ أيوب: التاريخ الاجتماعي, ص179؛ صبحي: موسوعة المدن , ص13.

(660) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة , ص190.

(661) عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر, ص267–268.

(662) عبد الرزاق: تاريخ وآثار ومصر, ص268.

(663) الشيزري, عبد الرحمن بن نصر(ت589هـ/1193م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة, تحقيق السيد الباز العريني, مطبعة لجنة التاليف, (القاهرة 1946م), ص367؛ ابن الأخوة: معالم القربة, ص209.

"لم اشاهد في البلاد اتقن منها وضعاً ولا اتم حكمةً ولا احسن منظراً..."[664] ومن أهم حمامات مصر التي تم أنشاها الفاطميون هي:

1- حماما السيدة العمة: موقع هذان الحمامان في أول حارة الروم وكانت احدهما مخصص للرجال والآخر مخصص للنساء[665] .

2- حمام الساباط: وهو حمام القصر الصغير الغربي وهو من الحمامات الخلافية إذ كان الخليفة يأتي إليه في أيام العيد[666] .

3- حمام تتر: عُرف هذا الحمام بخط دار الوزارة الكبرى وتتر هو احد مماليك أسد الدين شيركوه وقد استولى على هذا الحمام وكان معداً لدار الوزارة في مدة الدولة الفاطمية[667] .

4- حمام ابن أبي الدم: يقع هذا الحمام بين سويقة المسعودي وباب الخوخة وقد أنشاها ابن أبي الدم اليهودي احد كتاب الإنشاء في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله[668] .

5- حمام الصنيمة: يقع بالقرب من خزانة البنود على يسرة من سلك في رحبة باب العيد إلى قصر الشوك[669] .

6- حمام الذهب: كانت هذا الحمام بدار الذهب احد مناظر الخلفاء الفاطميين[670].

---

[664] موفق الدين ابو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد(ت629هـ/1231م): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر, تحقيق ودراسة علي محسن عيسى, منشورات دار الحكمة, مطبعة التعليم العالي, (بغداد 1987م), ص141.

[665] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص101 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص536.

[666] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص102 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص537.

[667] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص538.

[668] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص539.

[669] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص538.

[670] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص540.

7- حمام ابن قرقة: يقع هذا الحمام في حارة زويلة وأنشاه أبو سعيد بن قرقة الحكيم متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية[671].

8- حمام السلطان: وعرف في الدولة الفاطمية بحمام الأوحد ثم عرف بحمام الطيبرسي ثم عُرف بآسم حمام السلطان[672] .

9- حمام دري: انشأ هذا الحمام شهاب الدولة درى المعروف بالصغير المظفري غلام المظفر أمير الجيوش وفي عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ)[673].

10- حمام الجيوشي: يقع هذا الحمام في حارة برجوان وكانت تقع ضمن دار المظفر ابن أمير الجيوش[674] .

11- حمام القاضي: يقع هذا الحمام في خط درب الاسواني التي أنشاها شهاب الدولة بدر الخاص وهو احد رجال الدولة الفاطمية[675] .

12- حمام الخشيبة: وهي بجوار درب السلسلة وكانت تعرف بحمام قوام الدولة خير ثم صارت حماماً لدار الوزير المأمون بن البطائحي وكلمة "الخشيبة" هي تصغير لكلمة "خشبة"[676] .

13- حمام الكويك: يقع هذا الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة, أنشاها الوزير عباس احد وزراء الدولة الفاطمية[677] .

14- حمام ابن أبي الحوافر: عرف هذا الحمام بالقاضي فتح الدين أبي العباس احمد بن الشيخ جمال الدين أبي عمر وعثمان بن هبة الله بن احمد بن عقيل بن

---

(671) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص109 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص540.

(672) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص541.

(673) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص543.

(674) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص544.

(675) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص548.

(676) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص102 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص549.

(677) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص550.

محمد بن أبي الحوافر رئيس الأطباء بديار مصر, وتقع خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصري[678]

الأسواق :

تمتعت مصر بموقع جغرافي مميز جعلها تتميز بالتجارة في مختلف البضائع إذ وصفها المقدسي بأنها "بلد التجارات"[679] وأنها تتمتع بهذه الصفة فيجب توفر الأسواق لتصريف تلك البضائع وهي من المؤسسات الحيوية الضرورية اللازمة في إنشاء المدن حيث اعتماد الأفراد في حياتهم اليومية على جلب وبيع البضائع المختلفة والمتنوعة.

والسوق لغة:- من السوقة وفيه تسَّوق القوم إذا باعوا واشتروا والسويقة تصغير السوق وسميت بها, لأن التجارة تجلب إليها[680] أما المعنى الاصطلاحي للسوق فهو موضع البيع , والسوق هي التي يتعامل فيها الناس ويشترون , والسوق مفرد وجمعها أسواق[681], وقد وردت كلمة الأسواق في القران الكريم بقوله: ((. . . إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ. . .))[682], ومن الجدير بالذكر إن أول سوق للمسلمين في مصر هي دار البركة وكان يباع في هذه السوق الرقيق[683]

لذا توجهت عناية الدولة الفاطمية بالأسواق من حيث بنائها وتوافر الشروط اللازمة في البناء ومراقبة السلع والعناية بالأسواق سواء كان ذلك في تنظيمها وإضاءتها ولاسيما في المناطق التي لا يصل إليها الضوء, أو في تسهيل حركة البيع والشراء طوال الليل والنهار واعتنت بإقامة الأسقف في الأسواق المكشوفة

---

[678] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص555.

[679] أحسن التقاسيم , ص170.

[680] ابن منظور: لسان العرب, ج10, ص167-168؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط , ص845.

[681] ابن منظور: لسان العرب, ج10, ص167-168؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط , ص845.

[682] سورة الفرقان/ الآية (20).

[683] ابن عبد الحكم: فتوح مصر , ص134.

حتى تقي الباعة والمشترين من أشعة الشمس المحرقة في الصيف والأمطار في الشتاء[684].

ولم يقتصر دور الحكومة على هذا فحسب، بل اهتمت بتوفير وتأمين وسائل النقل الداخلية, حيث اقامت أماكن مخصصة لتجميع الحمير المسرجة التي يتم تأجيرها بأسعار رمزية حتى يتسنى لرواد السوق من الباعة والمشترين سهولة التنقل[685].

اهتمت الدولة الفاطمية بالأشراف على الأسواق حرصاً على مصلحة الرعية فكان الوالي ينظر في الأسواق ويسند تلك المهمة إلى المقربين منه لمتابعة الأسواق لمنع الغش وتحري الدقة في سلامة الصنج والموازين والمكاييل ويحرم من مزاولة مهنة التجارة من يحاول التلاعب في الموازين[686] وكان يراقب الأسعار بداخل السوق[687], وكانت مهمة المحتسب المحافظة على النظام داخل السوق فكان بأمر أصحاب الطرقات الضيقة بعدم الجلوس عليها ويحذرهم من بناء المصاطب أمام الدكاكين[688] ولا يجوز للمحتسب إن يسعر البضائع ولا لزوم البيع بسعر معلوم فقد غلا السعر على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم), فقال الناس: يا رسول الله , الا تسعر لنا؟ فقال (صلى الله عليه واله وسلم): "هو القابض والباسط والمسعر واني لأرجو أن ألقى الله وليس احد يطالبني بمظلمة في نفس ولا في مال"[689].

ساعدت الأسواق على رواج حركة التجارة الداخلية والخارجية, إذ يتم فيها عملية البيع والشراء في السلع التي يحتاج إليها الناس وانتشرت الأسواق على

---

[684] الشوربجي: الرحالة المسلمين , ص331.

[685] الشوربجي: الرحالة المسلمين , ص331-332.

[686] عمران: يحيى, النظم والأحكام في جميع الأسواق, (تونس 1975م), ص31-32.

[687] عمران: النظم والأحكام , ص103.

[688] الشيزري: نهاية الرتبة , ص326 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة , ص113.

[689] الشيزري: نهاية الرتبة , ص327 ؛ ابن تيمية: الحسبة في الإسلام , ص511.

ضفتي نهر النيل من الإسكندرية إلى أسوان, وقد شاهد ابن بطوطة[690] النشاط التجاري لتلك الأسواق فوصفها بقوله: " لم يكن المسافر في النهر يحتاج إلى أَنّ يأخذ معه طعاماً أو غيره, مهما أراد النزول إلى الشاطئ سيجد سوقاً يشتري منه ما يريد والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مصر ومن مصر إلى أسوان".

اشتهرت مدن مصر الفاطمية بالأسواق ولاسيما مدينة تنيس إذ الأسواق الفخمة, وبلغ عدد الدكاكين فيها عشر آلاف دكان منها حوالي مئة دكان للعطر[691], أما المقدسي فقد امتدح أسواق تنيس بقوله: "يوجد بتنيس أسواق ظريفة واسماك رخيصة وبلد مقصود ونعم ظاهرة"[692] وكان يباع في أسواق تنيس الكشكاب[*] في فصل الصيف[693], وتُعدُّ مدينة الفسطاط من أوائل المدن المصرية التي اهتم الرحالة المسلمون بوصف أسواقها, ومن أهم هذه الأسواق هي سوق القناديل حيث وصف بأنه لا يعرف سوقاً مثلها في أي بلد[694]

وكانت أسواق الفسطاط كثيرة وظهرت فيها خاصية التخصص في البيع ومن هذه الأسواق سوق البزازين وسوق القناديل وسوق النحاسيين والعياريين والغزل والرقيق والمغاربة وسوق دار الأنماط القديمة وسوق وردان وغيرها[695], وقد وصف المقدسي أسواق الفسطاط بقوله: "إنها مفخرة الإسلام ومتجرة الأنام خزانة

---

(690) محمد بن عبد الله (ت779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار (المعروف برحلة ابن بطوطة), دار صادر, (بيروت 1964م), ج1, ص20.

(691) خسرو: سفرنامة , ص91.

(692) أحسن التقاسيم , ص168.

(*) الكشكاب: صنفان, صنف منعش غير مسكر يشبه ما يسمى في تركيا و ايران وهو يشرب في إيران ويتكون من اللبن الزبادي المضروب مع الماء وصنف آخر مسكر يتكون من اللوبيا المخمرة مضافاً إليها عدداً من العناصر الأخرى ويسمى هذا النوع الفقاع. خسرو: سفرنامة , ص91.

(693) خسرو: سفرنامة , ص91.

(694) خسرو: سفرنامة , ص118.

(695) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص343.

المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم عجيب المتاجر والخصائص حسن الأسواق والمعيشة"[696], أما الإدريسي فقد وصف الفسطاط بأنها "قائمة الأسواق نافقة التجارات"[697], أما في الإسكندرية فقد ظهرت بها الأسواق ويتجلى ذلك من خلال ما كتبه عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حينما فتح مصر" أما بعد... فقد افتتحت لك مدينة فيها اثني عشر ألف حانوت يبيع البقل "[698] , أما دمياط فهي بلدة عامرة وفيها عدة أسواق وفنادق وجوامع ومدارس وفيها جماعة من التجار أصحاب الأموال[699] .

اشتهرت مدن عدة بتعدد الأسواق وتنوعها , وكانت كل مدينة تحتوي على عدد من الأسواق فيما يختص كل سوق بالبضاعة أو المنتوج الذي يميزها عن السوق الأخرى, فمثلاً كان يباع في تنيس البز ومختلف أنواع الثياب[700], ويرجع ذلك إلى التقدم الهائل الذي حققته تنيس في إنتاج الثياب الديبقي والمصبغات من الحلل التنيسية التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها من الحسن والقيمة[701], وكان يباع بأسواق المدينة البوقلمون الذي لا ينسج في مكان آخر من العالم[702] واشتهرت تنيس بإنتاج الآلات الحديدية كالقارض والسكاكين التي تباع في أسواق القاهرة[703].

---

(696) أحسن التقاسيم , ص165.

(697) أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ/985م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق, عالم الكتب, (بيروت 1989م), ص323.

(698) ابن زولاق: فضائل مصر, ص61؛ ابن دقماق: الانتصار, ج5, ص119؛ ابن آياس: نزهة الأمم, ص179 ؛ البكري: الروضة المأنوسة , ص64.

(699) ابن دقماق: الانتصار ,ج5 , ص81.

(700) ابن حوقل: صورة الأرض, ص143؛ مؤلف مجهول (كان حياً في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): الاستبصار في عجائب الامصار, تحقيق سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية العامة, (بغداد لا.ت) , ص87.

(701) ابن حوقل: صورة الأرض , ص143 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق , ص338.

(702) الساعدي, ثامر لفته حسن: الصناعات في مصر الفاطمية (358-567هـ/969-1171م), بحث منشور في مجلة التربية , الجامعة المستنصرية , العدد 175 لسنة 2011, ص258.

(703) ناصر: سفرنامة , ص95.

وتميزت الأسواق في الإسكندرية بسعتها[704] وتعد المنسوجات أهم السلع المعروضة بأسواق الإسكندرية إذ يذكر المقريزي: " الثياب المنسوجة بالإسكندرية لا نظير لها وتحمل إلى آفاق الأرض وما يباع فيها من ثياب الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة"[705], واشتهرت أسواق ايبار بالقماش الايباري الذي يفوق في جودته القماش الاسكندراني وكان يباع بها الابراد الغربية ثمن الواحد مائة درهم[706].

وحفلت مدينة بلبيس قصبة الحوف الشرفي[707] بالأسواق العامرة[708] وعرف هذا الإقليم نوعان من الأسواق أسواق دورية وأسواق متخصصة فالأسواق الدورية كانت تعقد في يوم معلوم من كل أسبوع فكان للأمراء سوق يعقد يوم الأحد[709] وفي أماكن أخرى كان لكل مدينة سوق يعقد يوم من أيام الأسبوع[710] كما هو الحال في العراق فهناك سوق يعقد يوم الجمعة في بغداد (كسوق الغزل) .

فيما يخص النوع الثاني من الأسواق المتخصصة التي يعرض فيها أنواعاً معينة من السلع فأن بالمحلة سوق للزيت[711] وبقيلوب سوق للعطر[712] وبتنيس أسواق للملابس[713] .

---

[704] الادريسي: نزهة المشتاق , ص319.

[705] الخطط ,ج1 , ص163.

[706] ابن دقماق: الانتصار ,ج5 , ص99.

[707] المقدسي: أحسن التقاسيم , ص164.

[708] ابن دقماق: الانتصار ,ج5 , ص51.

[709] ابن دقماق: الانتصار ,ج5 , ص51.

[710] ابن حوقل: صورة الأرض , ص133.

[711] المقدسي: أحسن التقاسيم , ص195.

[712] ابن بطوطة: الرحلة , ص47.

[713] البغدادي, صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1341م):مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق علي محمد البجاوي, دار الجيل, (بيروت 1992م), المجلد الأول, ص278.

وكان يعرض بأسواق الإسكندرية الزيتون[714] والأسماك والفاكهة[715] واشتهرت مدينة دمياط بأسواقها الكبيرة[716] وأضفى عليها موقعها عند مصب نهر النيل في البحر المتوسط مكانة عظيمة[717] واشتهرت بضاعة النسيج فبلغ ثمن الثوب الأبيض بدمياط ثلاثمائة دينار[718] واشتهرت بزراعة أشجار الموز بكثرة وكان يحمل من أسواقها إلى كافة البلاد[719], ومما يدل على نشاط حركة التجارة الداخلية وتقديم الخدمات "مجال المواد الغذائية" للناس بدمياط إن أقامت بها طائفة كبيرة من التجار الأثرياء أصحاب الأموال[720] .

واهم مراكز الحرير وصناعته وتسويقه فكانت في مدينة ديبق وبلغ من جودته إن نسب إليها فسمى الحرير باسم الحرير الديبقي[721] وتميزت قرية البشمور وهي من إعمال دمياط بإنتاج نوع من أنواع القمح حيث يصفه اليعقوبي بالقمح المجذع[722] وبأنواع ممتازة من الكاش[723].

وقد اشتهرت مدينة شطا بنوع من الثياب عرف بالشروب أو الثياب الشطوية[724] وكذلك حفلت مدينة المحلة بالأسواق[725] حيث يصفها الإدريسي بقوله:

---

[714] المقدسي: أحسن التقاسيم , ص165.

[715] خسرو، ناصر: سفرنامة , ص98.

[716]ابن دقماق: الانتصار, ج5, ص81؛ دعكور, عرب: تاريخ الفاطميين والزنكيين والايوبيين والمماليك وحضاراتهم, دار النهضة العربية, (بيروت 2011م), ص109.

[717] القلقشندي , صبح الأعشى ,ج3, ص402.

[718] ياقوت: معجم البلدان ,ج2, ص472.

[719] ابن بطوطة: الرحلة , ج , ص23.

[720] ابن دقماق: الانتصار, ج5, ص81.

[721] اليعقوبي: البلدان , ص337.

[722] اليعقوبي: البلدان , ص332.

[723] ياقوت: معجم البلدان , ج1, ص428.

[724] اليعقوبي: البلدان , ص338 ؛ ياقوت: معجم البلدان ,ج3 , ص243.

[725] ياقوت: معجم البلدان, ج5 , ص63.

"المحلة مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارات قائمة وخبرات شاملة"[726], وكانت بالجملة أسواق متخصصة لعرض سلع بعينها فكان يوجد سوق للزيت ومما يدل على انتعاش حركة التجارة إذ شبهها المقدسي بقوله: "بمدينة واسط ببلاد العراق"[727], أما مدينة الرشيد فقد ازدهرت بالأسواق[728] وزخرت أسواقها بحشد كبير من الصناع والتجار[729] وكان يصنع منها الورق[730] وانتعشت حركة التبادل في السلع والبضائع في أسواق دمنهور[731] وكان يباع فيها الثياب الدمنهورية[732] أما في مدينة قليوب فقد زخرت بالأسواق العامرة حيث وجدت بها أسواق متخصصة كسوق العطر[733], وقد أشاد ابن جبير بأسواق قليوب بقوله: "قليوب فيه الأسواق الجميلة"[734] .

وكان يعمل في دمياط من غريب الصنع في الثياب الديبقية وغيرها ما يقارب الثياب التنيسية[735] فقد امتازت تنيس ودمياط بعمل القماش الرفيع[736] وكان يحمل منهما كل سنة عشرون ألف دينار إلى ثلاثين ألف دينار إلى العراق[737] وكان بها من الحوانيت 2500حانوتاً[738] ويعمل بها ثياب حسنة يتجهز بها إلى كثير من

---

[726] نزهة المشتاق , ص340.

[727] أحسن التقاسيم , ص165.

[728] ابن حوقل: صورة الأرض , ص132.

[729] جان ليون: وصف أفريقيا , ص57.

[730] الإدريسي: نزهة المشتاق , ص343.

[731] ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صعقاً, جوالينيع, 1846م, (القاهرة لا.ت) , ص182.

[732] ابن بطوطة: الرحلة , ص47.

[733] ابن بطوطة: الرحلة , ص47.

[734] الرحلة , ص47.

[735] الإدريسي: نزهة المشتاق , ص338.

[736] الحموي، ياقوت: معجم البلدان,ج2, ص51؛ ابن دقماق: الانتصار, ج5, ص79؛ ابن آياس: نزهة الأمم, ص184.

[737] خسرو، ناصر: سفرنامة , ص120.

[738] ابن زولاق: فضائل مصر, ص56−57 ؛ ابن آياس: نزهة الأمم , ص184.

البلاد وبها صناع كثيرة وتجار قاصدون وبيع وشراء[739], أما كيفية الوصول إلى هذه الأسواق فقد أورد ناصر خسرو ذلك قائلاً: "ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمير المسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق"[740], وكانت اغلب أسواق القاهرة متخصصة عامرة خاصة بأنواع من المأكل والمشارب والأمتعة يعجز الفرد عن إحصاء بها من أنواع, وقد ذكر ناصر خسرو انه كان في مدينة القاهرة مالا يقل عن عشرين ألف دكان[741] .

أما أهم الأسواق التي تم إنشائها في عهد الفاطميين فهي:-

1- سوق خان الرواسيين: وكان هذا السوق من أحسن أسواق القاهرة وفيه عدد من البياعين ويشتمل على عشرين حانوتاً مملوءة بأصناف المأكل, وتقع هذه السوق على رأس سويقة أمير الجيوش[742] .

2- سوق حارة برجوان: وهو من الأسواق القديمة وعُرف في الدولة الفاطمية بسوق أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله, وهو أعظم أسواق القاهرة لمختلف البضائع والسلع, حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه إلا حوائج المائدة[743] .

3- سوق الشماعيين: عرف في الدولة الفاطمية بآسم سوق الغماصين وقد بنى المأمون ابن البطائحي الجامع الأقمر قربه وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح[744].

---

[739] الحميري: الروض المعطار, ص137 ؛ ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة , ص146.

[740] سفرنامة , ص120.

[741] سفرنامة , ص104.

[742] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص582 ؛ عبد المنعم: تاريخ مصر السياسي والحضاري, ص231.

[743] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص582.

[744] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص584.

4- سوق الدجاجين: هذا السوق كان ما يلي سوق الشماعيين إلى سوق قبو الخرشتف, كان يبتاع فيه من الدجاج والإوز الشيء الكثير فضلاً عن أنواع الطيور ولاسيما الغالية منها[745] .

5- سوق بين القصرين: وهو من أعظم أسواق الدنيا وكان في الدولة الفاطمية براحاً واسعاً يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس و راجل[746] .

6- سوق باب الزهومة: كان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف وقد عرف بهذا الاسم "باب الزهومة", لأنّه كانت هناك باب من أبواب القصر يقال لها باب الزهومة ومعناها باب الزفر, لأنه كان لا يدخل اللحم ولا حوائج الطعام إلا من هذا الباب[747] .

7- سوق الجوخيين: وهو يلي سوق اللحميين وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها[748] .

8- سوق الحلاويين: وهذا السوق معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى وكان من أبهج الأسواق لما يشاهد فيه من الأواني وآلات النحاس الثقيلة والحلاوات المصنعة عدة ألوان[749] .

9- سوق الشوايين: هو أول سوق بالقاهرة وكان يعرف بآسم الشرابين وهو من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين[750] .

10- سوق أمير الجيوش: وهو السوق الذي بحارة برجوان ويمتد إلى رأس سويقة أمير الجيوش وهي من اكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاءون والحائكون وعدة حوانيت للرسامين وللعزابين والخياطين وغيرها[751] .

---

(745) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص584-585.

(746) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص585.

(747) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية , ص58 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص587.

(748) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص589.

(749) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص592.

(750) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص593.

(751) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص595.

11- سويقة المحابربين: تقع هذه السوق فيما بين الجامع الأقمر وبين جملون ابن صيرم في القاهرة وفيه عدة حوانيت لعمل المحابر التي يسافر فيها إلى الحجاز وغيره, ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحجاج إلى مكة أو سفرهم إلى القدس[752].

12- سوق الخراطيين: كان يعرف بآسم عقبة الصباغيين ثم عرف بسوق القشاشيين, وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين البيمارستان, ثم عرف بأسم سوق الخراطيين وكان سوقاً معموراً بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذي يربى فيه الأطفال وحوانيت الخراطيين وصناع السكاكين واشتمل على خمسين حانوتاً[753].

13- سويقة الصاحب: وهي من الأسواق القديمة, كانت تعرف بالدولة الفاطمية بسويقة الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله[754] .

14- سوق الحريريين: وكانت تعرف بسقيفة العداس ثم بآسم صاغة القاهرة أيام الدولة الفاطمية ثم تغير اسمه إلى سوق الحريريين[755] .

وقد كانت هناك عادات وتقاليد المتبعة في أسواق القاهرة والتي كانت تنفذ بكل دقة, فقد منع حمل أي تبن أو حطب من اختراق أسواق القاهرة وكذلك مرور الخيل, إما الرّوايا فكان يفرض على أصحابها تغطيتها حتى لا تصيب ثياب الناس[756], وفي سنة383هـ/993م أمر الخليفة العزيز بالله بنصب ازيار الماء مملوءة بالماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفي الأسواق[757], وفي سنة391هـ/1000م أمر الخليفة الحاكم بأمر الله إن يوقدوا القناديل في سائر البلد

---

(752) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص599.

(753) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص601.

(754) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص604.

(755) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص599.

(756) الشوربجي: الرحالة المسلمين , ص344-345.

(757) المقريزي: الخطط ,ج2,ص615؛ عبد الوهاب: تخطيط القاهرة, ص14؛ متز: الحضارة الإسلامية, ج1 , ص43.

على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال, ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل فتقدم أصحاب الأعمال بمصر إلى التجار إن يوقدوا القناديل على حوانيتهم ودورهم فأكثروا منها وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة وصار الناس في القاهرة طول الليل في بيع وشراء وأنفقوا في ذلك أموالا عظيمة[758], وترتب على ذلك حدوث تغير كبير في نظم الحياة المصرية فصارت جميع الأعمال والمعاملات تجري ليلاً[759] هذا وان دل على شيء فهو يدل على توفر الأمن والاستقرار والذي يؤدي إلى الرخاء الاقتصادي الذي شهدته مصر أيام الدولة الفاطمية .

سياسة الدولة الفاطمية تجاه الازمات الاقتصادية

وهناك عدد من الإجراءات التي اتخذتها الدولة الفاطمية للحد من الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي حلت بالبلد, فمن ضمن الإجراءات المتبعة في معالجة غلاء الأسعار هي لجوء جوهر الصقلي (359–361هـ) إلى استعمال القوة على جماعة من الطحانين وأمر أن يطاف بهم في أسواق المدينة للتشهير بهم[760], وفي ذي القعدة من سنة 359هـ/970م رُدت الحسبة إلى سليمان بن عزة المغربي فجمع سماسرة الغلات في مكان وسد الطرق إلا طريقاً واحداً فكان البيع كله هناك ولا يخرج قدح غلة حتى يقف عليه[761].

وفي مواجهة غلاء الأسعار بطريقة غير مباشرة, إذ كانت نتائج قياس النيل تذاع على الناس فيخرج المنادي إلى طرقات القاهرة وسائر مدن مصر إلا أن المعز لدين الله أمر بكتمان أمر المقياس, لأن الناس إذا أحسوا بانخفاض النيل تسرب القلق إلى نفوسهم فاخفوا الغلات وامتنعوا عن بيعها حتى يرتفع سعرها, كذلك يعمل التجار على اختزان الغلال فيحدث الغلاء وإذا أحس الناس بزيادة النيل هبطت

---

[758] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص616 ؛ عبد الوهاب: تخطيط القاهرة , ص14.

[759] سرور: الدولة الفاطمية , ص92.

[760] المقريزي: إغاثة الأمة,ص23؛ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين,ص366؛ طقوش: تاريخ الفاطميين, ص199 ؛ سلطان: الحياة الاجتماعية, ص68.

[761] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1, ص191 ؛ الصاوي: مجاعات مصر, ص30.

الأسعار هبوطاً فاحشاً وأصيب كبار التجار بأفدح الأضرار لذلك كان في كتمان الزيادة فائدة كبيرة[762], أما في خلافة الحاكم بأمر الله فقد اتخذ الإجراءات نفسها إزاء الطحانين والخبازين[763] وتوعد التجار بضرب أعناقهم حينما شكت إليه الناس اختفاء الأقوات أو قلتها وأعلن انه متوجه غداً إلى جانب راشدة فإذا لم تخرج الأقوات من مخازنها تعهد بضرب كل من عمد إلى خزن الغلال أو كان لديه شيئا منها[764] .

فعندما حصل الغلاء في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله كان عند حسن ظن رعاياه, وقال: " أنا ماضٍ إلى جامع راشدة فاقسم بالله إن عدت فوجدت في الطريق موضعاً يطأه حماري مكشوفاً من الغلة لآخرين وفيه كل من يقال لي أن عنده شيئا منها ولأحرقنّ داره ولأهبن ماله", وتوجه إلى الجهة التي حددها وتأخر حتى آخر النهار ليعطي فرصة كافية بحمل الناس غلالهم خلالها إلى الطريق حتى آخر النهار, فلما امتلأت الطرقات بالغلال امتلأت عيون الناس وساعد ذلك الخليفة الحاكم بأمر الله على إن يصدر أوامره بتقدير ما يحتاج إليه في كل يوم وخير التجار بين إن يبيعوا بالسعر الذي يقرره بما في ذلك من فائدة محتملة وبين أن يمتنعوا فيختم على غلالهم ولا يمكنهم من بيع شيء منها إلى دخول الغلة الجديدة فاستجابوا له وانخفضت الأسعار[765], لذا فقد أراد الخليفة الحاكم بأمر الله إن يقطع دابر المجاعات في مصر بإرساله إلى ابن الهيثم لمعالجة مشكلة نهر النيل في الفيضان بوضع مقياس للنهر. وعلى الرغم من عدم استطاعة ابن الهيثم فعل ذلك إلا انه يوضح اهتمام الدولة الفاطمية بمسألة الغلاء وارتفاع الأسعار وحل مشكلة فيضان نهر

---

[762] المقريزي: اتعاظ الحنفا,ج1,ص206؛ الصاوي:مجاعات مصر,ص32؛ سلطان: الحياة الاجتماعية, ص184.

[763] المقريزي: إغاثة الأمة , ص24.

[764] المقريزي: إغاثة الأمة , ص25.

[765]المقريزي: إغاثة الأمة, ص25؛ الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية, ص39؛ سلطان الحياة الاجتماعية, ص69؛ طقوش: تاريخ الفاطميين, ص282؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية, ص191؛ عمارة: عندما أصبحت مصر عربية , ص111.

النيل وما يسببه من مشاكل اقتصادية واجتماعية, لذا فقد رأينا اهتمام الخلافة الفاطمية بالأسواق وإنشائها ومراقبتها لمشكلة اشد خطورة ألا وهي ارتفاع الأسعار, وهي بذلك تهدف إلى خدمة رعاياها خدمة حقيقة قائمة على الشعور بالطبقة العامة ومعايشتهم لظروف معيشتهم ومواجهتهم للازمات التي كانت تحل بالبلد ومحاولة معالجة هذه الأزمات بطريقة أو بأخرى .

وقد لجئت الدولة إلى اعتماد التسعير ولاسيما في أوقات الشدائد والأزمات وأجبرت الدولة العاملين على بيع الغلال في مكان معين تحت أشراف الدولة وتكليف المحتسب ومساعديه في هذا الجانب[766], وفي سنة 397هـ/1006م صدرت الأوامر لمسعود الصقلي متولي الستر بالنظر في أمر الأسعار, فجمع خزان الغلال والطحانين والخبازين وصادر ما في الساحل من الغلال وأمر الأتباع بوضع التسعير فسعر كل تليس قمح بدينار إلا قيراط والشعير عشر ويبات والحطب عشر حملات دينار وسعر سائر الحبوب والمبيعات[767].

إما في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله فقد اضطر إلى إصدار أوامره بمنع ذبح الأبقار محافظة على الثروة الحيوانية وحتى تستعمل في أعمال الزراعة[768], وفي خلافة المستنصر بالله اخرج الوزير اليازوري ما في الاهراء من الغلال وأمر ببيعها بسعر منخفض, وقد استغل التجار فرصة حدوث الأزمة فكتب الوزير بإصدار الأوامر إلى عمال النواحي باستعراض روزنامجات الجهابذة[*] وتحرير ما قام به التجار عن المتعاملين ثم بعث المراكب لإحضار الغلال إلى مصر وخزنها في المخازن السلطانية[769], واتخذ الوزير اليازوري إجراء آخر لضمان عدم

---

[766] المقريزي: إغاثة الأمة , ص25 ؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص100-101.

[767] المقريزي: إغاثة الأمة , ص24.

[768] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص149.

(*) وهي جمع جهبذ وهو كاتب يختص برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به وعليه عمل المخازيم والختمات وتوليتها ويطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له. ينظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص72.

[769] المقريزي: إغاثة الأمة , ص28-29.

التلاعب إذ خصص سبعمئة تليس من القمح يومياً لمدينة مصر وثلثمئة تليس للقاهرة[770], وفي أواخر عهد المستنصر بالله تأخرت زيادة النيل في سنة482هـ/1090م وأرسل الخليفة بطريك الأقباط ميخائيل إلى الحبشة التي أمر ملكها بفتح سد يجري منه الماء إلى مصر ففتح السد وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة اذرع وخلع المستنصر البطريك عند عودته[771], وتحسباً لاحتمال استمرار نقصان النيل طلبت الدولة الفاطمية من الإمبراطور البيزنطي القسطنيطيني التاسع أمداد مصر بالقمح المجاعة التي استمرت حتى وفاة الإمبراطور عام447هـ/1055م, فلما خلفته ابنته ثيودورا اشترطت اشتراك مصر في معاهدة دفاعية هجومية مع بيزنطيا, فرفض اليازوري, لأن حاجة مصر للغلال مسالة مؤقتة مرهونة بفيضان النيل[772] .

أما في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله فقد قام الوزير المأمون البطائحي بالختم على مخازن الغلات وخيّر أصحابها بين البيع منها بسعر ثلاثين ديناراً لكل مئة إردب أو الختم عليها حتى دخول الغلة الجديدة فأجابه بعض التجار إلى ما طلب, ثم قام بعد ذلك بتقدير ما تحتاجه البلاد يومياً من الغلال ليصرف من المخازن بالسعر الذي حدده فانخفضت الأسعار[773].

أما في عهد الخليفة الحافظ لدين الله فقد أمر الخليفة بفتح الاهراء والبيع منها للناس بسعر منخفض, وتأديب محتكري الغلال الذين رفعوا الأسعار وأمرهم بتوريد ما يحتاج إليه كل يوم من الغلال واشرف على ذلك بنفسه حتى انخفضت الأسعار[774], وأخرجت الدولة في عهد الخليفة الفائز بنصر الله مقادير لا تحصى من الغلال وفرقت على الطحانين ورخصت أسعارها ومنع احتكارها[775], وتصدق

[770] المقريزي: إغاثة الأمة , ص28−29 ؛ اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص72

[771] البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص237 ؛ الصاوي: مجاعات مصر , ص31.

[772] البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص101 ؛ الصاوي: مجاعات مصر , ص63.

[773] المقريزي: إغاثة الأمة , ص26−27.

[774] المقريزي: إغاثة الأمة , ص27.

[775] اشتور: تاريخ الاقتصادي والاجتماعي , ص275.

الوزير طلائع بن رزيك وغيره من الأمراء بما نفس عن الناس, ولم يستمر الحال على ذلك سوى مدة يسيرة حتى انتهى الغلاء[776] .

الجسور:

من المهام الأساسية التي يضعها الخلفاء الفاطميين على عاتقهم للمحافظة على المياه وري الأراضي إقامة الجسور, لذا عمل الخلفاء الفاطميين على الاهتمام بشبكة الترع والقنوات والجسور وهي مهمات أساسية الغرض منها تقديم خدمة عامة للناس والمحافظة على مياه نهر النيل كونه يمثل المورد الأساسي في الزراعة في مصر, ونظراً, لأن تحسين الري في مصر يرتبط بعمق الترع والقنوات ارتباطه بالمحافظة الكاملة على الجسور وهنا تبدو أهمية العامل الإنساني وقيمة الواجب الملقى على عاتق الحكومة الفاطمية, ويتضح ذلك من خلال ما ذكره المقريزي من أن الخليفة المعز لدين الله أمر بإصلاح جسر الفسطاط بعد أن استمر سنين معطلاً من دون استعمال, وكان هذا الأمر في مستهل رجب سنة 364هـ/974م[777] .

وشيّد الفاطميون على شاطئ النيل من أول الولاية إلى آخرها جسراً من الطين ليعبر عليه الناس, وتصرف خزانة السلطان في كل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف مغربي لتجديد عمارته[778], ولهذا كانت عناية الفاطميين إلى حد ما بضرورة صيانة الجسور التي يتوقف عليها بقاء الماء فوق سطح الحياض ومنعها عن التسرب مرة أخرى إلى النهر من وراء الجسور[779] فكانت الجسور على نوعين هي الجسور السلطانية والجسور البلدية فأما الجسور السلطانية فهي الجسور التي تقيمها الدولة لتنظيم الانتفاع بماء النيل وكانت تعمر في كل سنة من الديوان السلطاني بالوجهين القبلي والبحري ويعين لها موظفون على الأعمال الشرقية

---

(776) المقريزي: إغاثة الأمة , ص27–28.

(777) ابن ميسر: أخبار مصر, ص57 ؛ الخطط ,ج2 , ص769.

(778) خسرو، ناصر: سفرنامة , ص98.

(779) البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص63.

والغربية إلى جانب تعيين مشرف أو أمير للأشراف العام على عمارة الجسور وكان لها كاتب منفرد بها مقرر في الديوان وكان يخصص لكل جسر جراريف وأبقار ومحاريث من اجل المساعدة في عمارة تلك الجسور وتكتب التذاكير السلطانية لكاشف كل عمل في الورق وكان للجسور خولة ومهندسون للقيام بكل عمل في عمارة الجسور[780]وكانت الحكومة الفاطمية تصرف على هذه الجسور ربع خراج البلد[781].

أما الجسور البلدية فهي الجسور المحلية التي تقام في منطقة من دون أخرى ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد من الأمراء والأجناد من أموال البلاد الجارية في أقطاعهم ويصرف على عمارتها من أصل مال الناحية وكانت أموال عمارة تلك الجسور تخصم من الخراج الذي يتعين على أهل الناحية دفعه وتوزع الأموال المنفقة في هذه الأمور على الأفراد بالتساوي ويلتزم صاحب كل دار برعاية جزء معين من الجسر[782].

اتبع الفاطميون في جباية الخراج نظام الالتزام وهو نظام يلتزم بموجبه الضامن بدفع مبلغ من المال الى ولاة الامر لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الاستفادة من المبالغ المتبقية كارباح بعد ايفائه بالتزاماته[783], وقد اعتمدت الدولة الفاطمية هذا النظام في وقت لاحق يتضمن الحصول على اموالها بعد ان يتعهد شخص بجباية الضرائب في قرية او عدة قرى[784], وعليه يقوم كل شخص التزم ارضاً يتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه واهله ومن يقوم معه بهذا العمل, ويحصل ما عليه من الخراج على اقساط

---

(780) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص499.

(781) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص179.

(782) القلقشندي: صبح الأعشى , ج3 , ص499.

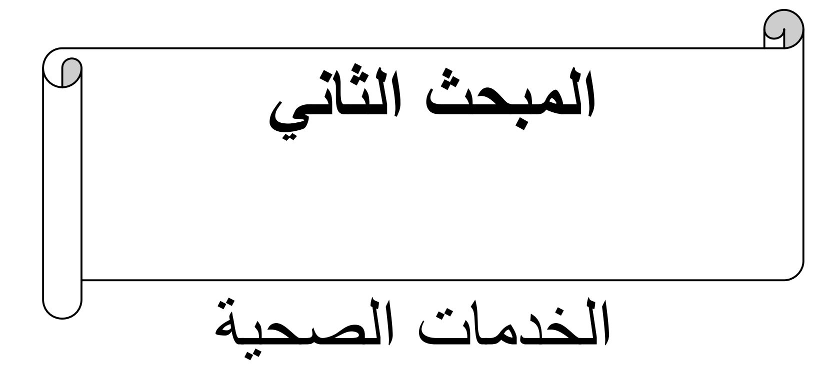
(783) هوبكنز: النظم الإسلامية , ص114 ؛ الصالح, صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها, ط4, دار العلم للملايين , (بيروت 1987م) , ص361.

(784) ياقوت الحموي: معجم البلدان ,ج4 , ص489.

ويحسب له من مبلغ ضمان الارض ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجانها بضرائب مقدرة في ديوان الخراج[785] .

---

[785] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص296.



المبحث الثاني

الخدمات الصحية

البيمارستانات

والبيمارستان: بفتح الراء وسكون السين هي كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيما) بمعنى عليل أو مصاب و (ستان) بمعنى كلمة مكان أو دار فهي دار المرضى[786] .

وأول من اتخذ البيمارستان في الإسلام هو الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) بعد أصابة سعد بن معاذ يوم الخندق سنة 5هـ/627م[787], إما أول من بنى البيمارستان في الإسلام هو الوليد بن عبد الملك في سنة (88هـ/706م)[788] .

لم نجد ما يشير إلى أسماء البيمارستانات في المصادر التاريخية سوى بيمارستان واحد على الرغم من كثرة إعداد الأطباء والذين برزوا في العهد الفاطمي ولا نعرف سبب إغفال تلك المصادر لتلك المنشات الحيوية هل بسبب عدم اهتمام الفاطميين بها ؟ وهذا غير صحيح, لأنهم اهتموا بالمؤسسات كافة فليس من المعقول إغفال الجانب الصحي وهو جانب مهم له دور البارز في الدولة الفاطمية, فالطب فيما يخص أطباء العرب صناعة تهدف إلى حفظ الصحة ووقاية الإنسان من الأمراض والعلل ومعالجة من أصيب بالمرض بالغذاء والدواء والجراحة[789] .

ومن ألقاب أرباب الوظائف من أهل الصناعات هو رئيس الأطباء الذي يحكم طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبب, وكذلك رئيس الكحاليين وله الحكم نفسه

---

(786) ابن منظور: لسان العرب ,ج6 , ص217.

(787) النويري, شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر,(القاهرة لا.ت),ج4, ص451؛ عيسى بك: احمد, تاريخ البيمارستانات في الإسلام, المطبعة الهاشمية, (دمشق 1933م), ص75 ؛ الكروي: المرجع في الحضارة , ص297.

(788) الطبري: تاريخ, ج4, ص29؛ المقريزي: الخطط, ج2, ص188؛ عيسى: تاريخ البيمارستانات, ص10.

(789) عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص24.

رئيس أحياء على طائفة الكحالة فضلاً عن رئيس الجرائية وحكمه حكم رئيس الأطباء نفسه والكحالين على طائفة الجرائحية والمجبرين[790]

وكانت أعظم الوظائف الصناعية في الدولة الفاطمية بمصر وظائف الأطباء فكانت ألقاب أرباب الصناعات الرئيسة كرياسة الطب من الدرجة الأولى درجة المجلس أو أمره المجلس وموضوعها التحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ولا يكون إلا واحداً وفي المرتبة الأولى مرتبة المجلس العالي[791], وكان من الوظائف الصناعية العظيمة وظيفة الطبيب الخاص وهو الطبيب الخاص بالخليفة يجلس على باب دار الخلافة كل يوم ويجلس على الدك التي بالقاعة المعروفة بصناعة الذهب بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الاستاذون (الخدم والطواشية) فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص, فيكتب لهم رقاعاً على خزانة الشراب فيأخذون ما فيها وتبقى الرقاع عند مباشريها شاهداً لهم ولكل منهم الجاري والراتب على قدره[792] وهو أشبه بالطب الحديث اليوم, وكانت هناك خزانة الشراب والتي يشرف عليها اطباء خاصين وهي أشبه ما تكون بالصيدلية الملكية , تحتوي أنواع الاشربة وأصناف الأدوية المختلفة[793] .

لم تذكر المصادر التاريخية أسماء البيمارستانات الموجودة في عهد الدولة الفاطمية سوى بيمارستان واحد وهو بيمارستان القشاشين الذي كان يقع بالقرب من الجامع الأزهر[794], وفي حديث المقريزي عن درب خرابة صالح يؤكد وجود

---

(790) خليل, ياسين: الطب والصيدلة عند العرب, منشورات جامعة بغداد, (بغداد 1979م) ,ص45 ؛ عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص24.

(791) عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص24-25.

(792) عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص25.

(793) ابن الطوير: نزهة المقلتين, ص130؛ المقريزي: الخطط ,ج2, ص188؛ ماجد, نظم الفاطميين, ج2 , ص23.

(794) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية, ص33؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص451؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص315 ؛ عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص75 .

هذا البيمارستان في عهد الفاطميين قائلاً: "هذا الدرب على يسرة من سلك أول الخراطين إلى الجامع الأزهر كان موضعه في القديم بيمارستان ثم صار مساكن وعرف بخربة صالح" وفيه سوق الصنادقيين وهو تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه القديم من جملة البيمارستان[795] .

واهتم الخلفاء الفاطميون بالمرضى وعنايتهم ومعالجتهم, ففي سنة (415هـ/ 1024م) زار الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله البيمارستان متنكراً مع عبيده وأطلق لكل من المجانين خمسين درهماً وللقيم عليها خمسمائة درهم, ورسم بعمارته وإجراء الماء إليه على رسمه وان يطبخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم[796] .

أبرز الأطباء في العصر الفاطمي :

1- أبو جعفر: احمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزار ولد في القيروان سنة (285هـ/898م) وتوفي في سنة369هـ/979م, وكان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم, وكان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاماً له يسمى (رشيق) اعد بين يديه جميع المعجونات والاشربة والأدوية ,فكان يصرف الأدوية للمرضى من دون إن يأخذ أجراً عليها طلباً للثواب, وقد عالج ابن النعمان حتى شفي من مرضه فأرسل القاضي النعمان بكتاب يشكره فيه على علاج ابنه ومعه منديل بكسوة وثلثمئة مثقال فقرأ الكتاب وأجاب شاكراً ولم يقبض المال ولا الكسوة[797].

---

[795] الخطط ,ج2 , ص451 ؛ عيسى: تاريخ البيمارستانات , ص75.

[796] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص17.

[797] ابن جلجل, أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (كان حياً 377هـ/987م): طبقات الأطباء والحكماء, تحقيق أيمن فؤاد سيد, مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ,(القاهرة 1955م), ص88-89.

2- إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس: هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن جريج نصراني فاضل في صناعة الطب, كان من خدمة الحاكم بأمر الله ويعتمد عليه في الطب وتوفي إسحاق بن إبراهيم في خلافة الحاكم بأمر الله بالقاهرة[798] .

3- موسى بن العازار الإسرائيلي: وهو من الأطباء المشهورين في الدولة الفاطمية وخدم في خلافة المعز لدين الله وقد عُرف بالتقدم والحذق في صناعة الطب وله عدة مؤلفات ومن أهمها "كتاب المعزي في الطبيخ" الذي ألفه للخليفة المعز لدين الله[799] .

4- إسحاق بن موسى: وهو من الأطباء الذين عاصروا الخليفة المعز لدين الله وكان جليل القدر عند المعز لدين الله ومتولياً أمره كله وتوفي إسحاق بن موسى في سنة(363هـ/972م), واغتم المعز لدين الله لموت إسحاق لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن إسحاق[800] .

5- يوسف النصراني: كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب فاضلاً في العلوم وعاصر الخليفة العزيز بالله, ولما كانت السنة الخامسة من خلافة العزيز بالله صير يوسف بطريركاً على بيت المقدس واستمر فيها ثلاث سنين وثمانية أشهر , توفي في مصر ودفن في كنيسة مارثوادوس[801] .

6- أعين بن أعين: كان طبيباً متميزاً في مصر وله ذكر جميل وحسن معالجه, عاصر الخليفة العزيز بالله وتوفي في خلافة العزيز بالله سنة(385هـ/995م) وله من الكتب (كتاش) وهو كتاب في أمراض العين ومداواتها[802].

---

[798] ابن أبي اصيبعه, موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم (ت668هـ/1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تحقيق نزار رضا , دار مكتبة الحياة , (بيروت لا.ت) , ص544.

[799] ابن القفطي: جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/ 1248م): أخبار العلماء باخبار الحكماء, تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت 2005م)، ص240 ؛ ابن أبي اصبيعه:عيون الأنباء , ص545.

[800] ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص545.

[801] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص196 ؛ ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص545.

[802] ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص546.

7- التميمي: هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي كان مقامه أولاً بالقدس ونواحيها وكان متميزاً في أعمال صناعة الطب والاطلاع على دقائقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه[803], أدرك الدولة الفاطمية عند دخولها مصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وزير الخليفة المعز لدين الله ووزير العزيز بالله وصنف كتاباً كبيراً في عدة مجلدات سماه (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء)[804].

8- سهلان: هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر, خدم الخلفاء المصريين وارتفع جاهه في الأيام العزيزية, وقد توفي في أيام الخليفة العزيز بالله وكانت وفاته في يوم السبت في ذي الحجة سنة380هـ/990م واخرج يوم الأحد إلى كنيسة الروم بقصر الشمع فأخذ بجنازته من داره على النحاسيين على الجامع العتيق على المربعة إلى حمام الفار وبين يديه خمسون شمعة موقودة[805].

9- أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر: كان طبيباً نصرانياً مشهوراً وله دراية وخبرة بصناعة الطب وقد خدم في خلافة العزيز بالله فقد كان يحترمه ويقدره, وكان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده, وكان متقدماً في الدولة, توفي في أيام الحاكم بأمر الله[806] .

10- عمار بن علي الموصلي: اشتهر بطب العيون وسافر إلى مصر وأقام بها في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله, ومن أهم الكتب التي ألفها (المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية) وألفه للخليفة الحاكم بأمر الله[807] .

---

(803) ابن القفطي: أخبار العلماء, ص85-86؛ ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء, ص546-548 ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول , ص152.

(804) ابن القفطي: أخبار العلماء , ص85-86.

(805) ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص548-549.

(806) ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص549.

(807) ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص549.

11- الحقير النافع: وهو ابن مقشر كان من أهل مصر وهو يهودي عاصر الخليفة الحاكم بأمر الله وكان طبيباً جراحاً حسن المعالجة, وقد أطلق الحاكم بأمر الله ألف دينار له جزاء لمداواته وخلع عليه ولقبه بالحقير النافع وجعله من أطباءه الخاصين[808] .

12- أبو بشر: كان في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ويعد من الأفاضل بصناعة الطب[809] .

13- ابن مقشر الطبيب: كان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين مكيناً في الدولة حظياً عند الخليفة الحاكم بأمر الله وكان يعتمد عليه في صناعة الطب وبلغ عند الخليفة الحاكم بأمر الله أعلى المنازل وكان له من الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة ولما مرض ابن مقشر زاره الحاكم بأمر الله بنفسه ولما مات أطلق لمخلفيه مالاً وفيراً .

14- علي بن سليمان: كان طبيباً فاضلاً للحكمة والعلوم الرياضية متميزاً في صناعة الطب وقد عاصر الخلفاء الفاطميين من خلافة العزيز بالله وولده الحاكم بأمر الله ولحق في أيام الظاهر لإعزاز دين الله, وله من الكتب (كتاب الحاوي في الطب) وكتاب (الأمثلة والتجارب والإخبار والنكت والخواص الطبية المتنوعة من كتب ابقراط وجالينوس) وكتاب (التعاليق الفلسفية) ووجد بخطه وابتدأ بتصنيفه في حلب سنة 411هـ/996م[810] .

15- ابن الهيثم: هو أبو علي محمد بن الحسن بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ) أصله من البصرة ثم انتقل إلى مصر وأقام بها حتى وفاته, كان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها, وقد استدعاه الخليفة الحاكم بأمر الله لمعالجة

---

[808] ابن القفطي: أخبار العلماء, ص136-137؛ ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص549؛ ابن العبري , تاريخ مختصر الدول , ص158.

[809] ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص549.

[810] ابن القفطي: أخبار العلماء, ص320؛ ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء, ص550؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول , ص158.

فيضان نهر النيل ولم يستطيع حلها ولكنه بقي في مصر معززاً مكرماً حتى وفاته[811] .

16- علي بن رضوان: هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر وكان مولده ومنشؤه بمصر وبها تعلم الطب ولم يزل ملازماً للاشتغال والنظر في العلم إلى تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة وقدم الحاكم بأمر الله وجعله رئيساً على سائر المتطببين, وكانت وفاته في خلافة المستنصر بالله[812] .

17- افرائيم: هو أبو كثير افرائيم بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب إسرائيلي المذهب وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر, وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهتهم الأموال والنعم شيئاً كثيراً جداً, وخلف من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد ومن الأموال النعم[813] .

18- سلامة بن رحمون: هو أبو الخير سامة بن مبارك بن رحمون بن موسى وهو من أطباء مصر, اطلع على كتب جالينوس ثم نصب نفسه لتدريس كتب المنطق والفلسفة, ومن مؤلفاته كتاب (نظام الموجودات) و(مقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر) و(مقالة في العلم الإلهي) و(مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب)[814] .

19- ابن العين: هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة وأقام ببغداد مدة واشتغل بصناعة الطب ومهر فيها وانتقل من بغداد إلى الديار المصرية, وكان من اجل المشايخ وأكثرهم علماً في صناعة الطب وصنف كتباً كثيرة فيه وكان له عدة تلاميذ, توفي في سنة (548هـ/1153م)

---

(811) ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء , ص550.

(812) ابن أبي اصبيعه: عيون الأنباء , ص561-567.

(813) ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء , ص567-568.

(814) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء, ص161-162؛ ابن أبي اصيبعه: طبقات الأطباء, ص568 ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول , ص174.

بالقاهرة في خلافة الظافر بأمر الله وله كتاب الكافي في الطب, وبدأ التأليف به في سنة 510هـ/1116م وأكمله سنة 547هـ/1152م[815] .

20- الشيخ السديد رئيس الطب: هو القاضي الأجل السديد أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي دكان لقب القاضي أبي المنصور شرف الدين وإنما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً, وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها, قال الشيخ السديد: " أول من مثلت بين يديه من الخلفاء وانعم على الخليفة الآمر بأحكام الله وذلك أَنّ أبي كان طبيباً في خدمته وكان مكيناً عنده رفيع المنزلة في أيامه", توفي الشيخ السديد في القاهرة سنة 592هـ/1195م[816].

---

[815] ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء , ص570-571.

[816] ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء , ص572-576.

بيت المال:

من المعروف أن بيت المال ركن الدولة وحصنها المنيع, لذا وجب صونه,وصرفه في الموضع الذي يجب أن يصرف فيه ليعود بالنفع العام للجميع, وتعمل السياسة المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ومصروفاتها, وقد سارت الدولة العربية على هذه السياسة منذ ظهورها, فأنشئت بيت المال مؤسسةً تشرف على حفظه وصيانته والتصرف فيه لصالح الدولة ورعاياها في جميع أوجه نشاطات الدولة سواء كانت الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية وهو يشبه وزارة المالية الحالية وصاحب بيت المال يقوم مقام وزير المالية[817]

أما عن فكرة نشوء بيت المال فيرجع إلى عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم), إذ منذ بدأت الأموال تتدفق إلى مركز الدولة العربية الإسلامية مما اوجب التصرف في إيجاد وسيلة لحفظ هذه الأموال من اجل صرفها في مصالح الجماعة التي تستحقها وحسب ما أمر الله به سبحانه وتعالى ولا يبقى منه شيئاً[818].

زادت الفتوحات العربية الإسلامية في العهد الراشدي وزادت معها الأموال المتدفقة إلى الدولة العربية الإسلامية ولاسيما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لذا أوجبت الحاجة إلى توزيع قسم من هذه الأموال على بقاء جزء منها ليكون أشبه بالمخزون للحالات الطارئة والضرورية وثم حفظ هذه الأموال في مكان أمين يسمى بيت المال[819].

---

[817] حسن, إبراهيم حسن: النظم الإسلامية, ص221.

[818] أبو عبيد, القاسم بن سلام (ت224هـ/838م): كتاب الأموال, تحقيق محمد خليل هراس, دار الكتب العلمية, (بيروت 1983م), ص354.

[819] أبو يوسف: الخراج, ص45؛ البلاذري: فتوح البلدان, ص131؛ قدامة بن جعفر (ت328هـ/939م): الخراج وصناعة الكتابة, تحقيق محمد حسن الزيدي, دار الرشيد للنشر,(بغداد 1981م) , ص36.

كانت الموارد الأساسية لبيت المال في العصر الأموي تتمثل بالغنائم والصدقات والفيء[820] وكان المباشر لبيت المال يضبط ما يدخل إليه وما يخرج منه وما يحتاج إلى ضبط ما يصل إليه المال إلى أن يقيم لكل عمل من الأعمال وجهة من الجهات أوراقاً مترجمة باسم الجهة ووجوه أموالها فإذا وصل إليه وضع الرسالة الواصلة قريبة من ذلك العمل ثم شطبها بما يصح عنده من الواصل إليه[821].

أما في العصر العباسي فقد استمر العمل بالنظام المعمول به نفسه في إدارة بيت المال مع أجراء بعض التعديلات كالتي عملها الخليفة المهدي في ديوان الزمام وديوان زمام الأزمة[822] .

أما بيت المال في العصر الفاطمي , فقد كان يقسم إلى قسمين بيت مال العامة وبيت مال الخاص, فأما بيت مال العامة ما يشتمل على الأموال التي تنفق في سبيل الخدمات العامة كبناء المساجد وكري الأنهر والبرك وبناء وترميم المارستانات ودور العلم وبناء القناطر والجسور والتي نظم عمل هذه الخدمات عن طريق الدواوين التي أنشأت في العصر الفاطمي[823] .

وكان للأموال ديوان خاص يدعى ديوان الخزانة, وكانت تحت أشراف القاضي ولا ينوب عنه احد, كما كانت هناك عدة دواوين مختصة في كل جانب مثل ديوان الاهراء وهو مختص بالغلات ويجب أن يكون متولي الديوان من اكبر المتدينيين الأكفاء, أما الأسلحة والذخائر فلها ديوان خزائن السلاح, وكل ما استحقه المسلمون

---

[820] البلاذري: فتوح البلدان, ص25 ؛ الصالح, صبحي: النظم الإسلامية, ص256.

[821] النويري: نهاية الأرب ,ج8 , ص217.

[822] الطبري: تاريخ, ج8, ص159.

[823] الصالح, صبحي: النظم الإسلامية, ص222.

ولم يتعين مالكه فهو حق من حقوق بيت المال والحق الذي يجب صرفه في مصالح المسلمين ثلاثة أقسام: الصدقة والغنيمة والفيء[824] .

فضلاً عن بيت مال المسلمين العام هناك بيت مال آخر هو بيت مال الخاصة وهو بيت مال الخليفة وهو بشكل مؤسسة مستقلة بذاتها لها مواردها ومصروفاتها فضلاً عن كونها خزانة احتياطية للدولة التي يعتمد عليها في حالات الطوارئ والعجز المالي, ففي بداية السيطرة الفاطمية على مصر اعد الخليفة الأموال اللازمة لإنفاقها على الجيش المتوجه إلى مصر[825], حيث سار إلى المهدية واخرج الأموال من قصور أبائه ما مقداره خمسمائة حمل من الدنانير ثم رجع إلى قصره[826], وبذلك تستطيع أن تعرف مدى الثروة التي يمتلكها الخلفاء الفاطميين في المغرب والتي ازدادت بعد دخولهم مصر, وهو أمر غير مستبعد في ضوء ما نعرفه عن سيطرة الفاطميين على كل الطرق التجارية المؤدية إلى غانا التي كانوا يجلبون منها الذهب بعد قضائهم على أمارة تاهرت واحتلالهم سلجماسة[827] .

---

[824] الصالح, صبحي: النظم الإسلامية, ص221.

[825] المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص96-97.

[826] ابن أبي دينار: المؤنس, ص64.

[827] طرخان, إبراهيم علي: غانة في العصور الوسطى, بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية, العدد 13 لسنة 1967م, ص61-64 ؛ الذهبي: تجارة مصر, ص127.

واردات بيت المال

1-الخراج:

ومن أهم موارد بيت المال في مصر عهد الفاطميين هو الخراج وهو الخَرَاجُ والخْرجُ: الإتاوة وهو الأجر, ومنه الخراج الأرضيين[828], والخراج كراء الأرض واجر لها, وهو ضريبة مالية تفرض على مستثمري الأراضي الزراعية التي حررت أو فتحت عنوة وترك أمر جبايتها لاجتهاد أولي الأمر[829], في حين عبر عنه ابن ادم بأنه الضريبة التي كانت تدفع لخزينة الدولة عن الأراضي التي احتلها المسلمون حتى لو اسلم صاحبها, حيث تختلف مقدار الخراج حسب نوعية الأرض وطريقة أروائها واستقرارها ونوعية العمل بها[830] .

والخراج هو ضريبة الأرض على ما تخرجه من غلات وقد وضعت على أسس ثابتة[831], ومن أهم الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة الخراج هي في قوله تعالى: ((أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))[832] .

والخراج في عهد الفاطميين من الموارد المالية المهمة في مصر, وهو ضريبة عقارية تفرض على الأراضي التي تزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وغيره من الريف[833], لذا يمكن أن يكون

---

[828] الجوهري: الصحاح, ج1, ص309.

[829] أبو يوسف: الخراج, ص260؛ الماوردي, أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م):الأحكام السلطانية والولايات الدينية, دار الحرية للطباعة, (بغداد 1989م), ص231؛ ابن رجب الحنبلي, أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب (ت795هـ/1393م): الاستخراج لأحكام الخراج, دار الكتب العلمية, (بيروت 1985م), ص9.

[830] الخراج: ج1, ص58.

[831] معروف, ناجي: أصالة الحضارة العربية, ط3, دار الثقافة, (بيروت 1975م), ص330.

[832] سورة المؤمنون/ الاية (72).

[833] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص296.

الخراج أما نقداً أو عيناً حسب زيادة المحصول أو نقصانه, وكان لمصر عادةٍ لم تزل منذ عهد فراعنتها في استخراج الخراج إلا وهي عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها وتطبيقها ويقع إتمامه في شهر توت (رابعه أول أيلول) فإذا كان ذلك وربما كانت زيادة على ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها[834] .

كان من المهم بعد أَن دخل الفاطميون مصر أن يبدوأ عهدهم الجديد بتنظيم الشؤون الإدارية المالية وضبط بيت المال وموارده والتدقيق في جباية الأموال حتى تتوفر لديهم المقومات اللازمة لبقاء دولتهم وامتداد نفوذهم لتضمن لهم سبيل الحياة المترفة والعيش الرغيد التي حاولوا أن ينافسوا بها العباسيين في بغداد[835] .

وحين دخل جوهر الصقلي كان على الخراج علي بن العرمرم فأقره شهراً ثم أشرك معه رجاء بن صولاب[836] وذلك مما يدلل على أن الفاطميين كانوا منذ دخولهم لمصر امتداداً سياسياً للحكم الإسلامي, وفي عام 363هـ/973م كان الخراج نصفين احدهما في يد علي بن محمد بن طباطبا وعبد الله بن عطا الله والنصف الآخر إلى الحسن بن عبد الله والحسين بن احمد الروذباري وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب[837], ثم تولى يعقوب بن كلس شؤون البلاد المالية, إذ تولى الخراج وجميع وجوه الأموال والسواحل والأعشار وأشرك معه عسلوج بن الحسن وكان ذلك في النصف الثاني من محرم سنة363هـ/973م[838], فرضت الدولة الفاطمية الضرائب على الأراضي الزراعية بالوجهين القبلي والبحري لصيانة الجسور والحفاظ عليها, وكان عبء ذلك مُلقى على أهل القرية لما فيه من عمل تعود منفعته خدمة للصالح العام, ومن ناحية النفقات فيدفعها

---

[834] ابن حوقل: صورة الأرض, ص126.

[835] البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص311.

[836] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص189.

[837] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص209.

[838] المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص210؛ ايليسف, تيكيتا: الشرق الإسلامي في العصر الوسيط, ترجمة منصور أبي الحسن, مؤسسة دار الكتاب الحديث, (بيروت 1986م), ص326.

المالك أو المقطع أو متقبل الأرض ثم تخصم من المبلغ المطلوب لبيت المال, ولذا تعد بيانات حول نفقات الصيانة يقوم بأعدادها الوكلاء الخاصين لهذا العمل[839] .

ويعد الخراج في عهد الدولة الفاطمية احد النظم المالية, إذ كانت تأتي أولاً من ضريبة الأرض التي فرضت على مساحة الأرض, وهي تشمل على المال الذي يجبى كل سنة على الأرض المزروعة وعلى الواجبات العينية من غلة ونخل وكروم وفواكه وأغنام ودجاج وغيرها من منتجات القرية[840] .

اعتمد الفاطميون في جباية خراجهم على خمسة أقساط ولاسيما إذا حُسبت على أساس الغلة فيكون استيفاؤها في أعقاب حصول المحصول, وبما إن الخراج والزراعة مرتبطان بعضهما البعض, فكان العام المالي في مصر يفتتح شهر أيلول الذي يوافق انحسار فيضان النيل وبداية الموسم الزراعي[841] .

اتبع الفاطميون في جباية الخراج نظام البواقي وهو نظام يلتزم بموجبه الضامن بدفع مبلغ من المال إلى ولاة الأمر لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الإفادة من المبالغ المتبقية كأرباح بعد إيفائه بالتزاماته[842], وقد اعتمدت الدولة الفاطمية هذا النظام في وقت لاحق يتضمن الحصول على أموالها بعد إن يتعهد شخص بجباية الضرائب في قرية أو عدة قرى[843], وعليه يقوم كل شخص التزم أرضاً يتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن يقوم معه بهذا العمل, ويحصل ما عليه من الخراج على أقساط ويحسب له من

---

(839) المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص98 ؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص113.

(840) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص296.

(841) ينظر: كاهن, كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطور العثمانية, نقله إلى العربية بدر الدين القاسم, ط3, مطبعة الحقيقة,(بيروت 1983م), ص92-93.

(842) المقريزي: الخطط , ج1 , ص114؛ الصالح, صبحي: النظم الإسلامية, ص361.

(843) ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج4, ص489.

مبلغ ضمان الأرض ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجانها بضرائب مقدرة في ديوان الخراج[844] .

بعد أن استقر الأمر لجوهر الصقلي ودخول مصر سنة358هـ/969م بدأت أمور مصر بالاستقرار بعد موت كافور الإخشيدي ونظمت جباية الخراج واعتنى الخليفة المعز لدين الله بعمارة الجسور وتطهير الترع وتأمين الزراع وشهد الخراج حتى نهاية عصر الخليفة الحاكم بأمر الله بين ثلاثة وأربعة ملايين دينار[845] .

ومن الطرق الأخرى في جباية الخراج هو نظام الإقطاع وهو أن يمنح الخليفة شخصاً من المقربين إليه حق الاستحواذ على إيراد منطقة معينة مدى الحياة وقد يورث لذريته من بعده[846], وخضع هذا النظام لإدارة خاصة عن طريق ديوان الإقطاع[847], وكان الخليفة العزيز بالله يأمر بتقدير الخراج المفروض على الأرض المقطعة دون المقطعين مما يبين استمرارية ولاية الدولة المركزية على الملكية حتى في شكل الإقطاع, ثم تضاعفت الاقطاعات في أواخر الدولة الفاطمية[848].

وكذلك الخليفة الحاكم بأمر الله اسقط جميع المكوس والرسوم التي جرت العادة بأخذها واقطع ووهب العقارات والأعمال والضياع والأملاك السلطانية[849], إذ إن معاملة الحكومة الفاطمية للفلاحين اتسمت بالتسامح مع الفلاحين ولاسيما أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من المصريين, فلم تترك الحكومة الفاطمية أمر تقدير

---

(844) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص296.

(845) المقريزي: الخطط , ج1, ص82–83 ؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص104.

(846) سعد, احمد صادق: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي (مصر الفرعونية–الهيلينية– الإمبراطورية الإسلامية الفاطمية في المغرب إلى مصر–عهد المماليك),دار ابن خلدون,(بيروت 1979م), ص296.

(847) ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص86 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.

(848) سعد: تاريخ مصر , ص269؛ الساعدي, ثامر لفتة: النظام المالي في مصر (أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية/ جامعة بغداد, (بغداد 2007م) , ص22.

(849) المقريزي: الخطط, ج1, ص61.

الضرائب للمتقبلين أو المقطعين بل حددوا فئاتها وكانوا يراجعونها من وقت لآخر[850], فضلاً عن حرص الحكومة على تسعير المواد الزراعية والغذائية, وطبقت سياسة اقتصادية حكيمة إذ ما فائدة جباية الضرائب عن حاصل لا يسد رمق الفلاح نفسه, إن الدولة هنا تشجع الفلاح على تجاوز الأزمة وتتعامل معه كمنتجاً تحاسبه على الإنتاج لا كما كان يحصل في زمن عددٍ من الخلفاء الأمويين أو العباسيين الذي تعسفوا في جباية الخراج[851], ونفذت حكومة الخليفة الحاكم بأمر الله مشروعاً كان له الأثر العظيم في تسهيل الري والموصلات, ففي عام 404هـ/1013م طهر خليج الإسكندرية بعد أن طم تقريباً ولاسيما في قسمه الأول عند خروجه من فرع رشيد وبلغ ما أنفقته الحكومة على هذا العمل خمسة عشر ألف دينار[852]

هناك إشارات ذكرتها المصادر تمثل الأسلوب الذي اتبعه الخلفاء الفاطميين مع الفلاحين, فعندما تولى الخليفة المستنصر بالله مصر, أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن تمت أحوالهم واتسعت أموالهم[853], وعندما تولى بدر الدين الجمالي (466–487هـ) وقضى على الفتن وسادت الطمأنينة عاد الفلاحون إلى الأرض يزرعونها وعنيت الحكومة بالترع والجسور فارتفعت الإيرادات في أيامه إلى أكثر من ثلاثة ملايين دينار وفي عهد أبنه الأفضل (487–515هـ) إلى خمسة ملايين دينار[854], ونفذ في وزارته مشروع مائي عظيم الأهمية, إذ اشرف أبو المنجا شعيا وكان على رأس أدارة الزراعة على حفر خليج يخرج من النيل وكان السبب في حفر هذا الخليج ألى أنّ البلاد الشرقية كان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل الماء إليها إلا من خليج السردوس أو من غيره من المجاري

---

[850] المقريزي: الخطط, ج1, ص61 ؛ مشرفة, عطية مصطفى: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين, دار الفكر العربي, القاهرة , 1944م, ص169.

[851] ينظر: الطبري: تاريخ, ج4, ص113.

[852] ابن آياس: نزهة الأمم , ص184.

[853] النويري: نهاية الأرب ,ج28 , ص154.

[854] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص100.

البعيدة, وقد استغرق الحفر عامين وكان في كل سنة تظهر فائدته ويتضاعف ارتفاع البلاد التي يجري فيها[855]

لم تقتصر سياسة التسامح التي اتبعها الخلفاء الفاطميين عليهم فحسب بل شملت عدداً من الوزراء فقد حارب الوزير اليازوري (450هـ/1058م) المضاربين ممن كانوا يحصلون على المحصول قبل الحصاد بثمن ليس فيه صالح للمنتج[856] .

وكذلك الوزير المأمون البطائحي (515-519هـ) سامح بأموال ضخمة كانت متراكمة في ذمة الملاك والمتقبلين وأصدرت الحكومة منشوراً تدل عباراته على نظرة الحكومة إلى الفلاحين جاء فيه: " ولما انتهى إلينا حال المعاملين[*] والضمناء والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم أمرنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة قصداً في استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته وإنقاذ عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها ولما كان ذلك من جميل الأحدوثة التي لم تسبق إليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال إيرادها في هذا الكتاب وإيداعها في هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت إليه أحوال الضمناء والعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والأموال, عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الأشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الأمر العالي بوضع ذلك في الحال وإنشاء السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الإحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان لُيقرأ على رؤوس الأشهاد بسائر البلاد, ومبلغ ما انتهت إليه المسامحة إلى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمئة إلف وعشرون ألفا وسبعمئة وسبعة وستون دينار ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة أربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن

---

[855] ابن المأمون: أخبار مصر, ص11 ؛ ابن آياس: نزهة الأمم , ص119.

[856] المقريزي: إغاثة الأمة , ص27-28.

(*) المعاملون: وهم عمال النواحي والجهات التابعة لديوان الخراج , وقد يطلق أيضاً على الباعة كالبقال والقصاب والخباز. المقريزي: إغاثة الأمة , ص27.

الغلة ثلاثة ألاف وثمنمئة ألف وعشرة آلاف ومئتان وتسعة وثلاثون أردباً......"[857].

وهذا يدل على حالة الأمن والسلام وإنصاف الرعية في العصر الفاطمي , والتي وصفها المقدسي بقوله: "وأما الولايات فللفاطمي وهم في عدل وامن, لأنه سلطان قوي غني في راحة وأتم سياسة ونفاذ أمر وكل سامع يطيع من الأركان سراً وعلانية"[858], وكذلك كانت حالة البلاد في رخاء وسعة عيش, كما يدل على ذلك الوصف الذي خلفه لنا ناصر خسرو الذي زار مصر سنة439هـ/1047م (حتى كان كل امرئ مطمئناً على حياته وماله)[859], وكذلك سامح الوزير طلائع بن رزيك الناس بما عليهم من الأموال والبواقي[*] الثابتة في الدواوين[860] .

إن إتباع هذه السياسة من قبل الفاطميين يعود بالنفع إلى درجة كبيرة على الطبقة الفقيرة من أهل المدن وحمايتهم من غلاء الأسعار وتوفير الغلال للرعية, وخلاصة القول كانت الدولة تحرص في سياستها لأهل الخراج على إجراء العدل وإزاحة الظلم عنهم من غير إجحاف بمالية الدولة أو أضرار بأهل الخراج .

---

(857) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص242-243 ؛ اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص194.

(858) أحسن التقاسيم , ص176.

(859) سفرنامة , ص124.

(*) البواقي: وهو من الأنظمة التي اعتمدها الفاطميون في جباية الخراج والذي يلتزم بموجبه الضامن لدفع مبلغ من المال إلى الحكومة لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين. هوبكنز: النظم الإسلامية, ص114.

(860) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة, ج5, ص316.

2-الجزية:

الجزية لغةً هي خراج الأرض, والجمع جزى وجْزيُ[861], وعرفها الجوهري بأنها ما يؤخذ من أهل الذمة والجمع جزى مثل لحية ولحى, وجزاه بما صنع يجزيه جزاء, وجازاه بعين[862], أما المعنى الاصطلاحي للجزية فهي عبارة عن مبلغ معين من المال توضع على الرؤوس وتسقط بالإسلام[863], وتؤخذ من أهل الكتاب والمجوس والصابئة لقاء الحماية لهم ليكونوا امنين[864] .

وكانت الجزية في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) تفرض على أهل الكتاب وعلى المجوس ولا تؤخذ من عرب الجزيرة من عبده الأوثان, إذ لا يقبل منهم الإسلام[865], وهو الحال نفسه الذي كان في باقي العصور التي تلت عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم), وكانت الجزية من أهم الموارد المالية للفاطميين وهي ضريبة رؤوس أهل الذمة من اليهود والنصارى الأحرار البالغين من دون النساء والصبيان[866] .

أما في العصر الفاطمي فقد كانت الجزية ثلاث طبقات تبعاً لثروة الأفراد, فالطبقة العليا يدفع أفرادها أربعة دنانير وسدس الدينار, والطبقة الوسطى دينارين وقيراطين, والطبقة السفلى دينار واحد وثلث وربع وحبتين يضاف إلى كل طبقة درهمين وربع الدرهم تدفع للموظفين القائمين بالتحصيل[867] .

---

(861) ابن منظور: لسان العرب, ج4, ص143.

(862) الصحاح, ج1, ص119.

(863) حسن, إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي, ط4, مكتبة النهضة المصرية, دار الجيل, (بيروت 1966م), ج4, ص333.

(864) الماوردي: الأحكام السلطانية , ص227.

(865) أبو يوسف: الخراج, ص66.

(866) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص765.

(867) ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص317-319.

وكان يشترط فيمن تجب عليه الجزية المذكورة والبلوغ والحرية[868] فهي تسقط بالدخول في الإسلام, وذلك لقوله تعالى: ((قَـاتِـلُـواْ الَّـذِيـنَ لاَ يُـؤْمِـنُـونَ بِـالـلّـهِ وَلاَ بِـالْـيَـوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُـحَرِّمُـونَ مَـا حَرَّمَ الـلّـهُ وَرَسُولُـهُ وَلاَ يَـدِيـنُـونَ دِيـنَ الْـحَقِّ مِنَ الَّـذِيـنَ أُوتُـواْ الْـكِـتَـابَ حَـتَّـى يُـعْطُواْ الْـجِزْيَـةَ عَن يَـدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))[869] .

فرضت الجزية على اليهود والنصارى والمقررة على رقابهم في كل سنة وتدفع من الذين يعملون بالتجارة والصناعة في المدن, أما في المناطق الريفية فتدخل ضمن الخراج وكانت تجبى بحسب الشهور الهلالية[870], وكانت تؤخذ الجزية من أهل الكتاب طيلة حكم الفاطميين, وقد بلغت في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله عن كل نفس دينار وثلث وأحياناً ديناران[871], ولا تعرف مقدار هذه الضريبة في زمن الفاطميين, ولكن المقريزي[872] يقدر ما يتحصل منها في سنة 587هـ/1191م ب130,000دينار أي بعد عشرين سنة من انتهاء دولة الفاطميين, ويذكر القلقشندي إن لها ديواناً خاصاً بما يعرف باسم "ديوان الجوالي"[873], وهو الاسم المرادف لكلمة جزية , وكان مراقب الأسواق "المحتسب" يقوم بجبايتها[874].

وكان موعد دفعها بحلول الحول أي أنها تؤدى بعد انقضاء السنة بالشهور الهلالية[875], فإذا اسلم الذمي أو مات في إثناء الحول ألزمه من يتولى الديوان بقدر مما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته[876] .

---

[868] القاضي النعمان: دعائم الإسلام ,ج1 , ص380.

[869] سورة التوبة/ الاية (29).

[870] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص308 ؛ مشرفة: نظم الحكم, ص171.

[871] ماجد: نظم الفاطميين, ج1, ص119–120.

[872] الخطط ,ج1 , ص308.

[873] صبح الأعشى, ج3, ص496.

[874] الشيزري: نهاية الرتبة , ص474.

[875] الماوردي: الأحكام السلطانية , ص230 ؛ ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص123.

3-الزكاة:

أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة, وهي مأخوذة من زكاء الشيء إذا نما وزاد, يقال زكا الزرع والمال يزكو إذا كثر و زاد ورجل زكى, وقيل أصلها الثناء الجميل, مأخوذة من التطهير(877), أما اصطلاحاً فهي إخراج شيء من مال الإنسان والتصدق به وهذا الأمر كفيل بتنمية هذا المال وإنزال البركة فيه(878) .

وتأتي الصدقة أحياناً مرادفة للزكاة, ومعنى الصدقة إعطاء جزء من المال لإعمال الخير حسب تقدير الشخص, فمقدارها غير محدد بينما الزكاة محددة وهي فريضة بينما الصدقة اختيارية(879), كانت الزكاة تفرق بعد جمعها على مستحقيها من الفقراء وغيرهم بعد إن ترفع إلى بيت المال السهام الثمانية المفروضة له وفق قوله تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))(880), ويقضي الشرع الإسلامي أَنْ تؤخذ الزكاة من المسلم الغني لتبعد عنه نظرة الحقد والحسد حيث يقول سبحانه وتعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا . . .))(881) .

وهي تعد من الموارد المالية لبيت مال المسلمين ونص القران الكريم عليه والسنة النبوية الشريفة, لذا فهي من الواجبات الدينية المفروضة على المسلمين الأغنياء وسارت الدولة الفاطمية على هذا الأساس, ألا انه لا توجد لدينا مقادير

---

(876) الماوردي: الأحكام السلطانية , ص230 ؛ المقريزي: الخطط ,ج1 , ص308.

(877) ابن منظور: لسان العرب, ج14, ص358 ؛ القرطبي: الجامع لأحكام القران, ج1, ص343.

(878) حسن, إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام, ج1, ص381.

(879) فوزي, فاروق عمر ومفيد محمد نوري: النظم الإسلامية (دراسة تاريخية) منشورات دار الحكمة, (بغداد 1987م), ص105.

(880) سورة التوبة/ الاية (60).

(881) سورة التوبة/ الاية (103).

الأموال المتحصلة من الزكاة ويذكر المقريزي إن أول من جبى الزكاة هو صلاح الدين الأيوبي وزير الخليفة الفاطمي العاضد بالله سنة 567هـ/1171م[882] .

4-النجوى:

من الموارد المالية لبيت مال الفاطميين هي "النجوى" وهي ضريبة واجبة الدفع على الدعاة الاسماعيلين للخلافة الفاطمية وتكون طريقة دفعها عن طريق الداعي أو نقبائه, وكان مبلغها ثلاثة دراهم وثلث ويحمل هذه الأموال الداعي إلى الخليفة[883] .

اتخذ الفاطميون "النجوى" من قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً . . .))[884] .

ومن الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثي ديناراً وثلثي دينار على حكم النجوى وبصحبتها رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول وتعود اليه وعليها خط الخليفة "بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك" فيدخر ذلك ويتفاخر به[885].

5-الاحباس:

الاحباس هي الأموال الموقوفة على جهات البر ويصح أن تكون منفعتها لأشخاص بشروط معينة[886] واهتم الفاطميون بها وعملوا على تنظيمها, فعملوا لها ديواناً أطلق عليه ديوان الاحباس[887], وتولى الأشراف على هذا الديوان "القاضي" ويعد هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب بل في أرجاء الدولة

---

(882) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص311.

(883) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص391.

(884) سورة المجادلة/ الاية (12).

(885) ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص112.

(886) ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص100-101 ؛ المقريزي: الخطط ,ج3 , ص265.

(887) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص265.

الإسلامية كافة[888], إذ ذكر المقريزي ذلك قائلاً: "فلما قدمت الدولة الفاطمية من المغرب إلى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضي القضاة يتولى أمر الاحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للاحباس ديوان مفرد"[889], وهو أوقر الدواوين مباشرة, ولا يخدم فيه إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية[890], لأنه اختص بالأماكن الدينية والصرف على المستحقين في المساجد[891], وما تشتمل عليه المساجد من تعمير وفرش والصرف على أئمتها وخدامها[892] .

وقد ادخل الفاطميون الكثير من التنظيمات الخاصة بالوقف, فقد أمر الخليفة المعز لدين الله سنة363هـ/974م إن تحول الأموال المتحصلة من الممتلكات الموقوفة من المودع(*) إلى بيت المال الذي هو لوجوه البر, وطالب المنتفعين بأن يظهروا الوثائق التي تدل على أحقيتهم في ريع هذه الاوقاف[893], وكان أول من ضمن جباية الاحباس في الدولة الفاطمية هو محمد ابن القاضي أبي الطاهر محمد الذهلي ,فقد ضمن الاحباس في سنة 363هـ/974م بمقدار ألف ألف وخمسمئة ألف درهم في كل سنة تدفع منها الاموال الى المستحقين ويحمل الباقي إلى بيت المال[894] , وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهماً في الشهر برسم الماء لزوارها[895].

وفي أيام الخليفة الحاكم بأمر الله قام بوقف عدة ضياع وهي اطفيح وصول وطوخ وست ضياع وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن

---

[888] سيد, أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر, ص544.
[889] الخطط ,ج3 , ص265.
[890] ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص100-101.
[891] ماجد: نظم الفاطميين, ج1, ص121.
[892] سيد, أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر, ص545.
(*) المودع: وهو صندوق كان يعد لحفظ مال مخصص لجهة معينة أو لغرض معين, ويعهد بحفظه إلى القاضي. المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1 , ص212.
[893] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص212.
[894] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص266.
[895] المقريزي: الخطط ,ج3 , ص266.

للأكفان لفقراء المسلمين[896], وبهذا أصبح للفاطميين مورداً لبيت المال من الاحباس التي استخدمت في أغراض البر والإحسان .

من الأوقاف التي تعود ملكيتها إلى أشخاص وليس للدولة, هي حجة وقف الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك, وهي أقدم حجة وقف ترجع إلى العصر الفاطمي إذ أوقف في جمادى الأولى سنة554هـ/1159م عدداً من الرباع ونصف بركة الحبش[*] وناحية بلقس الأشراف[**] على أَنْ يكون النصف والثمن منها على الأشراف الحسينيين المقيمين بالقاهرة ومصر, والثلث على الأشراف الحسنين في مدينة رسول الله ويمنح السهم الباقي للشريف ابن معصوم على أَنْ يكون له طول حياته ثم من بعده لولده وولد ولده وان انتهوا رجعت هذه الاحباس إلى الأشراف والأقارب المقيمين في المدينة[897], وكان يعمل في ديوان الاحباس كاتبان ومعينان لنظم الاستمارات ويورد في استيمارة كل ما في الرقاع والرواتب وما يجبى له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري[898] .

---

[896] المسبحي, عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد(ت420هـ/1029م): نصوص ضائعة من أخبار مصر, اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد ,(لا.م 1995م) , ص31.

(*) بركة الحبش: مساحة واسعة من الأرض طولها نحو ميل ويغمرها ماء النيل وقت فيضانه , فكانت الأرض تشبه البرك ولهذا سميت بركة, وسميت ببركة الأشراف لان الوزير طلائع بن رزيك أوقفها على الأشراف. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ,ج1, ص 401؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا, ج1, ص365.

(**) بلقس الأشراف: قرية من قرى مركز شبرا الخيمة, وهي الآن من بين قرى محافظة القليوبه, أوقفها طلائع بن رزيك على الأشراف. ينظر: ابن دقماق: الانتصار, ج5, ص45.

[897] ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص114-115.

[898] القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص495.

6- المصادرات:

المصادرة المطالبة, فيقال صادرة على كذا أي طالبه به[899], وقيل فلان يعرف موارد الأمور ومصادرها وصادرت فلاناً على هذا الأمر من نجح وتصادروا على ما شاءوا[900], وهي من الوسائل التي اعتمد عليها الفاطميون من مكافحة الغلاء وتسعير الأقوات والسلع الضرورية وتحتيم بيعها في أوقات الأزمات وقد وضعت في مكان أمين تحت الأشراف الدقيق من جانب المحتسب ومعاونيه[901] .

فقد لجأ الفاطميون إلى المصادرة من اجل تنظيم بيع الغلال , ففي عهد الخليفة المستنصر بالله اخرج الوزير اليازوري سنة 461هـ/1068م ما في الاهراء من الغلال وأمر ببيعها بسعر منخفض مما أدى إلى هبط الأسعار في السوق, وهي بذلك تتخذ أجراءً صحيحاً لان فيه راحة الفرد من تأمين الغذاء والبيع ضمن الأسعار المحددة[902] وقد هدد الوزير المأمون البطائحي في خلافة الآمر بأحكام الله التجار بالمصادرة إن لم يهبط السعر إلى كل مائة إردب بمائة وثلاثين ديناراً[903] .

وعندما تولى أبو علي أحمد بن الأفضل الوزارة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله, أمر الوزير بسجن الخليفة نفسه, واستولى على جميع ما في القصر ووضع يده على ما مخازن الغلال الخاصة بالخليفة وأمر بتوزيعها حيث بلغت مئات الأرادب[904].

---

[899] الفيروز آبادي: القاموس المحيط ,ج2 , ص68.

[900] الزمخشري: أساس البلاغة , ص523.

[901] المقريزي: إغاثة الأمة , ص26.

[902] المقريزي: إغاثة الأمة , ص27.

[903] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص270 ؛ سعد: تاريخ مصر , ص274.

[904] سعد: تاريخ مصر , ص274.

7- المكوس:

وهي رسوم مالية فرضت على التجار والبضائع الأرضية الأجنبية وهي بمثابة الرسوم الكمركية , وتعد المكوس نظام ضرائبي مستقر يعود بالعوائد المالية المستمرة لقاء اخذ الضريبة من المستحقين[(905)], وقد تنبه الخلفاء الفاطميون لأهمية هذه الضرائب غير المباشرة لتنمية مواردهم عند أتضاع الخراج ,ولقد كانت هذه الرسوم تقل وتكثر من حيث نوعها ومقدارها وعددها, ولم يكن لها نسبة ثابتة, فكانت الحكومة الفاطمية تأخذ من تجار الروم الواردين على الثغور الخمس أحياناً, والعشر أحياناً أخرى وكانت النسبة تتراوح بين 10% و20% وترتفع حتى تصل إلى 35% من قيمة البضائع[(906)] .

اهتم الخليفة المعز لدين الله بالمكوس كونها ذات مردود مالي جيد ولاسيما حين تنتعش التجارة, وحينما أراد الخليفة الحاكم بأمر الله الرجوع إلى أصول الإسلام الأولى ,في المرحلة التي أطلقت عليها آسم "زهد وعدالة الحاكم" اسقط جميع الرسوم والمكوس التي جرت العادة بأخذها[(907)], وهذا إنما يؤكد أن الحاكم بأمر الله أراد من خلال عمله هذا جذب قلبوب الناس إليه فضلاً عن تخفيف العبء من الصناعة والتجارة والذي يؤدي بالتالي إلى ازدهارها وتطورهما .

كانت الدولة الفاطمية تلجأ إلى إلغاء المكوس في أثناء الأزمات الاقتصادية تيسيراً على الناس, أذ يذكر لنا المسبحي قائلاً: "إن دواس بن يعقوب الكتامي متولي الحسبة قرأ سجلاً في شوارع مصر أثناء أزمة الحنطة التي مرت بها مصر عام 415هـ/1024م, بحطيطه جميع المكوس عن سائر أصناف الغلات الواردة

---

(905) ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص326 ؛ المقريزي: الخطط ,ج1 , ص109.

(906) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص464.

(907) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص285.

إلى سواحل مصر الفسطاط مما أدى إلى توافر الأخبار في الأسواق وانخفاض سعر الدقيق"[908] .

وقد أبدى الرحالة والجغرافي المقدسي في إثناء زيارته لمصر استغرابه من ثقل المكوس خاصة في تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل بالفسطاط[909], ويذكر الرحالة ناصر خسرو إن عائدات بيت المال من المكوس ألف دينار مغربي[910], وعلى الرغم من كثرة المكوس في أيام الدولة الفاطمية إلا إن هذا يدلل على ازدهار وتطور الصناعة والتجارة فضلاً عن مسامحة الحكومة الفاطمية في اوقات معينة عن إبطال المكوس حيناً وتحقيقها حيناً آخر فلم تكن المكوس على وتيرة واحدة[911] .

8- المواريث الحشرية:

وهي مال من يموت وليس له وارث شرعي (وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء) أو الباقي من مال من يموت بعد توزيع التركة أو من يموت وله وارث أو فرض لا يستغرقه جميع المال ولا غاصب له[912]

وهي من المصادر المهمة لبيت المال ولاسيما في حقب انتشار الأوبئة التي تنتج عن الأزمات الاقتصادية بسبب كثرة الوفيات وانتقال أموالهم وثرواتهم إلى بيت المال, سواء كانت مباني أم أموال أم أراضي زراعية وكان لهذه المواريث ديواناً خاصاً سمي بديوان المواريث الحشرية[913] .

---

[908] أخبار مصر, ص75.

[909] أحسن التقاسيم , ص177.

[910] سفرنامة , ص94.

[911] المقريزي: الخطط , ج1, ص218.

[912] ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص319 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص460.

[913] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص188.

وكان يتولى هذا الديوان شاهد عدل ويقوم بمساعدته جماعة من الكتاب بمتابعة الأموال وأخذها إلى بيت المال وتكتب له نسخ للديوان وكانت التقارير تستمر طوال اليوم ولا تختم إلا عند صلاة العصر[914], وكان جوهر قد وعد الرعية في "الأمان" الذي منحه لهم وقت الفتح أن يجري في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) ويقع ما كان يؤخذ من تركات موتاهم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها, لأنه لا استحقاق لتصييرها بيت المال[915] .

وقد حاول الوزير الأفضل في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله إصلاح حال المواريث فافرد أموالها ومنع من اخذ شيء من التركات وأمر بحفظها لأربابها ورفض أن يضم التركات التي لم يطلبها مستحق إلى بيت المال وكان مبلغها مئة ألف وثلاثون ديناراً, فطلب القاضي من الوزير رفعها إلى بيت المال فوقع رقعته " أنما قلدناك الحكم ولا رأي لنا فيما لا تستحقه, فاتركه على حالة لمستحقيه ولا تراجع فيه"[916] .

---

[914] القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص460.

[915] ابن الجوزي: المنتظم ,ج14 , ص197.

[916] ابن ميسر: أخبار مصر, ص59 ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص188.

المبحث الثاني
أدارة موارد الـدولـة

الدواوين

1- ديوان المجلس

2- ديوان الرواتب

3- ديوان النظر

4- ديوان التحقيق

5- ديوان الثغور

6- ديوان الإقطاع

7- ديوان المستغلات

8- ديوان الخاص

عمل الفاطميون على ضبط موارد الدولة من خلال إنشاء أدارة مالية مركزية إذ أَنّ تقسيم العمل كلاً حسب اختصاصه وسيطرة الدولة على الحسابات وهذا إن دل على شيء فهو يدل على انتظام العمل لدى الفاطميين ولاسيما في الجانب المالي لما له من علاقة وثيقة الصلة بالجانب الإداري والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها, عندما تولى العزيز بالله اتخذ من يعقوب بن كلس وزيراً له وأطلق يده في تدبير الأمور إذ نصب يعقوب بن كلس الدواوين في داره ,فجعل ديواناً للعزيزية فيه عدة كتاب وديواناً للجيش وديواناً للأموال وديواناً للخراج وديواناً للسجلات والإنشاء وديواناً للمستغلات[917].

وقد تشددت الحكومة في عهد ابن كلس وعسلوج في جباية الضرائب وتحصيل ما تأخر منها وحملاً الناس على التعامل بالدينار المعزي ورفضا قبول الدينار الراضي (322هـ- 329هـ) إلا بسعر دون قيمته بكثير وقد علق المقريزي على تشدد الحكومة في جمع الأموال بقوله: "وهذا لم يسمع بمثله في أيام العزيز"[918], ومعناه أن الدولة الفاطمية تعمل على أَنّ تسحب عمله لها قيمتها في نفوس الناس كونها العملة المتداولة قبل دخول الفاطميين لمصر واعتمادهم الدينار المعزي وهذا ما يعود إلى مالية الدولة بالربح فضلاً عن إزالة كل مظهر من مظاهر السيادة العباسية وابتداء عهد جديد له سياسة ونظم مختلفة .

شدد الخليفة العزيز بالله الرقابة على المسائل المالية لمعالجة أي سوء أدارة لما للجانب المالي من أهمية في ضبط أمور الدولة كونه العماد الذي ينظم حاجاتها ومصروفاتها, لذا نراه يقدر الرواتب للموظفين[919] حتى لا ينحرفوا عن الطريق المستقيم ولا تفسد ضمائرهم وليضمن ولائهم للفاطميين, فقد ذكر المقريزي إن الخليفة حين ولى علي بن عمر العداس الأموال في سنة 381ه/983م أمره أن لا

---

[917] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج2 , ص378.

[918] المقريزي: اتعاظ الحنفا ,ج1 , ص211.

[919] النويري: نهاية الأرب ,ج26 , ص49.

يرتفق ولا يرتزق ولا يضع ديناراً ولا درهماً[920], وهذه سياسة اقتصادية يحتمها المنهج الذي سار عليه الفاطميون إذ إن بناء شخصية الإنسان من خلال توفير مستلزمات عيش الكريم من أهم أسباب استقرار الدولة والتلاحم الاجتماعي فيها .

كانت الإدارة المالية في مصر الفاطمية تشمل عدداً من الدواوين لكل منها اختصاصه المحدود ومن هذه الدواوين ديوان المجلس, ديوان النظر, ديوان التحقيق, ديوان الرواتب وديوان الاحباس وديوان الثغور وديوان الإقطاع وديوان المستغلات وذكرنا لهذه الدواوين هو الذي يشكل الطريق الذي من خلاله نتعرف على اتجاهات مصروفات الخدمة العامة في الجانب المالي للدولة الفاطمية .

استحدثت الدولة الفاطمية عدداً من الدواوين استكمالاً للدواوين الموجودة سابقاً[*] التي استطاعت من خلالها تصريف شؤون البلاد واختص كل ديوان بعمل معين خاص به, والديوان هو مجتمع الصحف وهي كلمة الفارسية معربة واصله دَّوان[921] وهو موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[922], يقال دَوَنَ الكتب جميعها وهو ديوان الحساب, وقيل هو الدفتر يكتب فيه أسماء الجند لأجل العطاء[923] .

كان للفاطميين الأثر الكبير في التنظيم الدقيق للإدارة المالية بإنشائهم العديد من الدواوين التي كانت تعمل بتنظيم دقيق لايرادتها ومصروفاتها في بداية كل عام على غرار الميزانيات الحديثة .

---

[920] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص491.

(*) مثل ديوان الصعيد, المفرد, التراث, الترتيب, الكراع, أسفل الأرض وهي دواوين ليست لها علاقة بالخدمة العامة. ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص74.

[921] ابن منظور: لسان العرب, ج13, ص166.

[922] المارودي: الأحكام السلطانية , ص307.

[923] ابن منظور: لسان العرب ,ج13 , ص166 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج13, ص106.

الدواوين

1- ديوان النظــر:

وهو من الدواوين ذات الاختصاص الإداري, إذ لخص ابن الطوير ديوان النظر بقوله: " أما دواوين الدولة فأن اجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن في يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير وهو يندب المرسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال ومطالبة أرباب الدولة"[924], فكأنه يتولى مراقبة الإيرادات وما تجبيه منها الدواوين الأخرى وله أن يناقشها ويطالبها في حالة التأخير, ويبدو إن اختصاصات كل من ديواني النظر والمجلس لم تكن منفصلة تماماً .

وكان صاحب الديوان يرأس دواوين الأموال ولان ديوان النظر يقوم بالأشراف المالي عليها جميعها فيعد رأس الدواوين ولصاحبه حق العزل والولاية وهو الذي يعرض على الخليفة أو الوزير[925] .

2- ديوان المجلس:

هو أصل الدواوين قديماً وفيه مهمة الدولة بأجمعها وفيه عدة كتَّاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان, اختص ديوان المجلس بعملين مهمين أولهما التحدث بأمر الاقطاعات والأشراف على الأعطية وتسجيل ما يرد من الهدايا والتحف من الملوك والأمراء, والثاني ضبط ما ينفق في الدولة من المهام لمعرفة ما بين كل سنة من التفاوت ويتم تسجيل كل ذلك في دفتر المجلس ويلحق بديوان

---

(924) نزهة المقلتين, ص79-81 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493 ؛ المقريزي:الخطط , ج2, ص145.

(925) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.

النظر ودفتره متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم وما ينفق في عيد الفطر وفي فتح الخليج وأرباب الرواتب(926) .

وكان لديوان المجلس أثر مهم في المجتمع المصري إذ إنه اشتمل على كل ما له صلة بالخليفة وتنظيم الاحتفالات والأعياد والمناسبات وتوزيع الاقطاعات والسياسة العامة للدولة والنفقات الأخرى, إذ تم إعداد الأموال, وتحت أشراف الخليفة بنفسه في تقديم الخدمات العامة للدولة, إذ ذكر ابن المأمون في أحداث سنة 501هـ/1107م انه قال لابن أبي الليث متولي ديوان المجلس: " أن بلغني أن بئراً معطلة وأرضاً بائرة وبلداً خراباً لأضربن عنقك " فقال: "وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أَنْ يكون فيها بلد خراب وبئر معطلة وارض بور"(927), وهذا يدل على الشعور بالمسؤولية إزاء الرعية وتقديم الخدمات فضلاً عن اتخاذ الشدة والحزم وعدم التهاون في التأخير في تقديم الخدمة العامة.

ومن مهام ديوان المجلس عمل الاستيمار (دفتر المجلس) وهو يتضمن العطاء والظاهر من الرسوم التي تقرر في غرة السنة والضحايا وما ينفق في دار الفطرة وفي فتح الخليج والاسمطة المستعملة في رمضان وغيره وسائر المآكل والمشارب والتشريفات وما يطلق من الاهراء من الغلات وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على اختلاف الطبقات من الرواتب وما يرد من الملوك من الهدايا والتحف وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم وضبط ما ينفق في الدولة من مهمات(928), وفي سنة 427هـ/1035م أراد اليازوري وزير الخليفة المستنصر بالله أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليوازن بينهما وطلب من أصحاب الدواوين إعداد ميزانية لكل ديوان وتقديمها إلى ديوان المجلس, لأنه أصل الدواوين وكانت نفقات الميزانية في مصر توزع حسب الترتيب الأتي:

---

(926) ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص74-75 ؛ الساعدي, ثامر: النظام المالي, ص44.

(927) أخبار مصر: ص9 ؛ المقريزي: الخطط, ج2, ص138.

(928) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493-495 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص139.

1- 200,000 دينار للصرف على الأرض البور أو غير المزروعة .
2- 300,000 دينار تصرف عطاءً للأجناد وأرباب الوظائف .
3- 100,000 دينار للقصور .
4- 100,000 دينار ثمن نفقات القصور .
5- 100,000 دينار نفقة العمائر واستقبال الضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم .
6-100,000 دينار فائض بحمل إلى بيت المال(929) .

كان المبدأ السائد في ذلك الوقت أن تقدم ميزانية الدولة كتابة لإحصاء قدر الارتفاع والنفقات وكان ضبطها يتم حسب السنة الشمسية, لان الخراج الذي يكون الجزء الأكبر من الدخل كان يجبى على حكم السنة القبطية أو الشمسية فكان على ديوان النظر وديوان التحقيق المقابلة بين الصرف والدخل(930), وأمر الأفضل بن بدر الجمالي يعمل تقدير ارتفاع مصر فجاء مبلغ الارتفاع خمسة آلاف دينار وكان متحصل الاهراء ألف ألف إردب(931)

3- ديوان التحقيق:

من أهم الدواوين في الدولة الفاطمية "ديوان التحقيق" أي المقابلة على الدواوين, وانشأ هذا الديوان الوزير الأفضل سنة501هـ/1107م, إذ لم يكن هذا الديوان موجوداً قبل ذلك, وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ويلحق بمتولي "نظر الدواوين"(932), أي انه الهيأة التي تتولى مراجعة وتنظيم مصروفات الحكومة فهو أشبه باللجنة المالية أو ديوان المحاسبة مما يدلل على سعة اختصاص هذا الديوان وعبء المهام الملقاة على عاتقه .

---

(929) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص241.

(930) ابن مماتي: قوانين الدواوين, ص27؛ ماجد: نظم الفاطميين, ج1, ص124.

(931) ابن ميسر: أخبار مصر ,ج2 , ص59 ؛ المقريزي: الخطط ,ج1 , ص241.

(932) ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص80 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.

4- ديوان الخاص:

ومهمة هذا الديوان الأشراف على نفقات الخليفة والقصر, وكان يجمع إلى جانب ديوان المجلس فيقال: "ديواني المجلس والخاص السعيدين"[933], وكانت هذه الدواوين تنسب إلى الخليفة نفسه .

فتسمى بآسم فيقال: "ديوان الخاص الفائزي[934] أو ديوان الخاص الامري"[935], وفي وقت استبداد وسيطرة الوزراء على مقاليد الحكم كان هذا الديوان ينتسب إليهم فيقال:"ديوان التحقيق الافضلي السعيد"[936], وكانت مهمة هذا الديوان تحصيل الأقساط المستحقة من الضمناء والعاملين في الدولة[937] .

وكانت نفقات الخزائن المختلفة والأعياد والاحتفالات حسب الترتيب الآتي:-

600,000 دينار	حيث انفق من بيت المال عام 516هـ/ 1122م لعمل الملابس المطلوبة لدار الكسوة التي أنشأها المعز لدين الله سنة363هـ/973م, إذ كان يفصل فيها أنواع الثياب على اختلاف أصنافهم[938].
70,000-80,000 دينار	لخزانة البنود وهي الرايات أو الألوية التي تتخذ للقتال شعاراً لها أو في المناسبات الدينية ومزينة بالآيات القرآنية[939] .

---

[933] ابن المأمون: أخبار مصر, ص66.

[934] سيد, أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية, ص355.

[935] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص84.

[936] القلقشندي: صبح الأعشى, ج1 , ص103.

[937] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص84 ؛ ماجد: نظم الفاطميين ,ج1 , ص116.

[938] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص409.

[939] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص424.

50,000 دينار	لخزانة التوابل وهي ما تحتويه على كافة أنواع التوابل(940) .
257 دينار	لدار العلم (لشراء الحصر والورق والحبر والأقلام)(941) .
3000 دينار	سماط شهر رمضان(942) .
4000 دينار	سماطي عيد الفطر والنحر, وقد بلغ ما انفق في عيد النحر عام 515هـ , 3370 دينار غير ما ذبح في أيام العيد(943) .
2000 دينار	ثمن الكسوة في عيد الفطر .
500 دينار	مقدار ما يصرف في خميس العهد (خميس العدس) من الخراريب الذهب للتفرقة على الفقراء(944) .
75,000 دينار	لخزانة الاهراء وكانت تحتوي على ثلثمئة ألف إردب(945) .
10,000 دينار	لخزانة الفطرة(946) .
12,000 دينار	نفقات قافلة الحج في كل سنة منها 10000ثمن الطيب والحلوى والشمع 40000ثمن الوفد الواصلين إلى الحضرة 60000ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة

(940) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص42.

(941) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص458-459.

(942) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص398

(943) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص224.

(944) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص450.

(945) القلقشندي: صبح الأعشى, ج3, ص479 ؛ المقريزي: الخطط ,ج1 , ص464.

(946) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص492.

	العسكر وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك[947] .
3000 دينار	صرة أول العام من الدنانير والرباعية والقراريط[948] .
2000 دينار	ثمن الضحايا في أول العام[949] .

5- ديوان الرواتب:

من الدواوين الفاطمية التي اختصت بمقدار العطاء لمرتزقة الدولة شهرياً و بأنتظام, وهو يشتمل على أسمائهم ومقدار العطاء لهم وأرزاقهم التي لم تقتصر على ما يدفع لهم كل شهر بل كانت تشتمل على ما يطلق لهم من المواد الغذائية كالقمح والشعير, وكان كتاب هذا الديوان يسجلون في دفاتره المبالغ والمقادير المقرر أطلاقها لأرباب الرواتب[950], مما تقدم نجد أَنّ الفاطميين اهتموا بالرعية ولاسيما المرتبطين بالدولة, إذ لم تقتصر مدفوعاتها على النقد فقط بل شملت المواد العينية ومن أهمها تامين الأمن الغذائي .

وكانت مهمة الموظفين في هذا الديوان إعداد قوائم الرواتب في نهاية السنة (ذي الحجة) وتحرر نسخة من الاستيمار وترسل إلى صاحب ديوان النظر ليعرضها على الخليفة في أول العام (محرم)[951], وكان موظفو الديوان يتحرون الدقة التامة في إعداد الميزانية فلا يفتحون اعتمادات مالية من أبواب لا أصل لها في ميزانية الدولة أو من أبواب لا فيها ومن حقهم أن يقترحوا الاستغناء عن بعض

---

[947] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص427.
[948] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص246.
[949] المقريزي: الخطط ,ج1 , ص437.
[950] القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.
[951] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص146.

الموظفين أو تعيين موظفين جدد[952] إن الأمور المالية تتطلب الدقة في أعداد القوائم الخاصة بالرواتب, لأنها تتغير حسب مقدار العطاء وما يجري فيه من تعديل .

وقد عرض استيمار الرواتب على الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 406هـ/1015م فأقرهُ كما رفع إليه, إذ بلغت رواتب المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر في هذه السنة 70,733 دينار[953], يؤكد هذا النص أَنّ الدولة اهتمت بحاجات المتولين للأمور الدينية في مصر, إذ لم يعترض الخليفة على صرف المبالغ المخصصة لهم على الرغم من ارتفاع قيمتها لان ذلك يتماشى مع سياسة الدولة الجديدة .

وقد عرض استيمار الرواتب على الخليفة المستنصر بالله فأقره ووقع على ظهره بخطه: "الفقر مر المذاق, والحاجة تذل الأعناق, وحراسة النعم بإدرار الأرزاق, فليجروا على رسومهم في الإطلاق ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ", وبهذا الأمر أوعز الخليفة أن تحرر الميزانية كما هي من دون أن ينقص من أرباب الوظائف شيئاً[954], يلتقي الخليفة المستنصر بالله هنا مع الحاكم بأمر الله في مدى تقديره لكون الفقر سلاح فتاك ينخر جسد الدولة انطلاقاً من قول الإمام علي (عليه السلام): " من ابتلي بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال: بالضعف في يقينه, والنقصان في عقله, والرقة في دينه, وقلة الحياء في وجهه, فنعوذ بالله من الفقر"[955] أنها تبين أن الفقر مر المذاق وان الحاجة تدعو إلى عدم الالتزام بالدفاع والتمسك بالنظام والدولة .

---

[952] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص147 ؛ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص562.

[953] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص141.

[954] ابن الطوير: نزهة المقلتين, ص78 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص144 ؛ البراوي: حالة مصر الاقتصادية , ص315.

[955] النراقي, محمد مهدي (ت1209هـ/1831م):جامع السعادات, دار المرتضى, (بيروت 2006م), ج2 , ص324.

أما في عهد الخليفة الحافظ لدين الله لما رفع الاستيمار إليه ذيله بهذه العبارة "لا يستكثر في ذات الله كثير الإعطاء ولا يكدره بالتأخير له والتسويف والإبطاء ولما انتهى إليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم, قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم, شملهم برحمته ورأفته, وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته, وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيداً للأنعام والمن وتهنئة بصدقة لا تتبع بالأذى والمن فليعتمد في ديوان الجيوش المنصور أجراء ما تضمنت هذه الأوراق ذكرهم على ما القوه وعهدوه من رواتبهم وإيجابها على سياقها لكافتهم من غير تأويل ولا نعتت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا في تسبباتهم على عادتهم لا ينقص من أمرهم ما كان مبرماً كرماً من أمير المؤمنين وفعلاً مبروراً وعملاً بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى: ((إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً))[956], وأمر الخليفة بنسخ هذا التوقيع وإرساله إلى جميع الدواوين الحكومية[957] .

6- ديوان المستغلات:

كان العديد من الممتلكات تعود ملكيتها للدولة الفاطمية واشتملت على المخازن والأفران والحمامات والحوانيت فضلاً عن احتكارها للمناجم من اجل الحصول على موارد مالية وبيعها الأخشاب الفائضة عن الحاجة ولاسيما أنها تستعملها في المراكب في دار الصناعة, لذا انشأ الفاطميون ديوان المستغلات[958] لكونه يشتمل على ممتلكات الدولة .

---

[956] سورة الإنسان/ الاية (9).

[957] المقريزي: الخطط ,ج2 ,ص140 ؛ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية , ص563.

[958] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص6.

(*) تم ذكر عدد المساجد والمشاهد الدينية في الفصل الثاني, المبحث الأول, ولم يقتصر اهتمام الفاطميين بالبناء فقط وإنما من خلال الاهتمام بالعلماء والفقهاء وإطلاق الجرايات لهم, فقد كان أرباب الأموال يمدون الجامع الأزهر بأنواع مختلفة من البر فيقدم له من الذهب والفضة

لم تذكر المصادر مخصصات الخليفة الفاطمي لكل منشات البناء والعمران في مصر, إلا أننا نستطيع أن ندرك مدى حجم الأنفاق من خلال أعداد المساجد والمشاهد الدينية[*] والحمامات والمخازن والحوانيت والقياسر[**], ومما لا شك فيه إن هذه الممتلكات كانت ذات عوائد مالية كبيرة سواء كان للخليفة باعتبارها ملكه الشخصي أو لعامة الناس من ناحية الإفادة منها .

7- ديوان الثغور:

انشأ هذا الديوان لجباية الرسوم الكمركية التي تخص التجارة الواردة إلى مصر عبر البلدان الأخرى, وكانت مهمة موظفي هذا الديوان عمل تذاكر خاصة بالمستحقات المالية لدى هذه الجهات, وكان على صاحب ديوان الثغور ضبط هذه التذاكر ثم رفعها إلى صاحب الديوان الكبير للتوقيع عليها ورفعها[959] .

ووجود هذا الديوان يعكس لنا حجم التبادل التجاري الذي شهدته مصر أيام الدولة الفاطمية والتي استوجبت تسجيل المستحقات المالية وبهذا يتضح لنا تطور الإدارة المالية لدى الفاطميين, ومما لاشك فيه أَنّ هذا التطور ينعكس بالتالي على رفاهية البلد وتقدمه.

8- ديوان الإقطاع:

اختص هذا الديوان بما هو مقطع للأجناد , وكان عمل هذا الديوان ينحصر في إثبات الاقطاعات وما على المقطعين من دفعة من الأموال إلى بيت المال[960] وكان يتم استغلال الأراضي التي يعطيها الخليفة لبعض أتباعه ولكن ملكيتها ليست مطلقة بل يتمتع المطلق بحق الانتفاع بإيرادها لمدة محدودة بشرط من شروط

والفلوس إعانة للمنقطعين لعبادة الله تعالى فتحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلوى ولاسيما في المواسم والأعياد. ينظر: المقريزي: الخطط ,ج2 , ص457.

(**) ينظر: الفصل الثالث.

[959] القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص491.

[960] ابن الطوير: نزهة المقلتين , ص86 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.

الخليفة التي صدر بها المرسوم[961] وهذا يعني أن هناك أقطاع تمليك يكون فيه تمليك الأرض للشخص ولورثته من بعده وإقطاع استغلال وهو حسب حقبة معينة يتفق عليها الطرفان .

نشأ هذا الديوان بعد سيطرة المعز لدين الله على مصر وضم أملاك الدولة الإخشيدية إلى أراضي الدولة العامة وأصبح للخليفة الحق في إقطاع الأراضي وهو إقطاع تمليك يُنتفع بها[962], إذ لم يقتصر الخليفة على الدعم المادي للجند وذويهم وإنما اشتمل على تكريمهم على امتلاك الأراضي التي استحوذ عليها الخليفة المعز لدين الله في مصر ولاسيما أولئك الذين اثبتوا كفاءة عالية[963] .

فرق المعز لدين الله الكثير من الأموال على جنده, حتى وصف بان أنفاقه عليهم لا يقارن بما أنفقه الخلفاء الأمويون والعباسيون وغيرهم من الملوك والسلاطين على جنودهم, فقد كان يهب الجنود من الأعطيات والأموال والسلاطين الشيء الكثير, وليس هذا فحسب, بل جعل الأنفاق على ذويهم في أثناء غيابهم وتكليفهم بالحملات العسكرية, وتعهد بالإنفاق الدائم على من يموت عائلهم بالجهاد وأمد المحاربين بالمؤن والسلاح وغيرها[964], وكانت نفقة الجيش كله من مال السلطان ولكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته ولا يجبر على دفع دينار منها احد الرعايا والعمال, وتصرف أرزاق الجند من الخزانة في وقت معين ,بحيث لا يرهق والٍ أو احد من الرعية بمطالبة الجند[965] .

---

(961) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج3 , ص493.

(962) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص85.

(963) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص85 ؛ مشرفة: نظم الحكم , ص186.

(964) القاضي, النعمان: المجالس والمسايرات, ص256؛ أ.اشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي, ص242 ؛ ثامر, عارف: المعز لدين الله , ص178.

(965) خسرو: سفرنامة , ص110.

المبحث الثالث

المعاملات النقدية

1- السكة والنقد

2- الصيرفة

3- السفتجة

1- السكة والنقد

أدت السكة أثراً مهماً في حياة المجتمعات البشرية منذ ظهورها, إذ أمكن بموجبها معالجة مختلف الصعوبات التي بقيت تواجه التعامل بين تلك المجتمعات وذلك باتخاذها وسيلة للمبادلة ووحدة أساسية للحساب, وتُعّد النقود ضرورة اجتماعية ومن الطراز الأول إذ لم يستغني عنها أي مجتمع مهما كانت ديانته أو لغته أو نظمه السياسة, والسكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد نقش فيه صور أو كلمات مقلوبة وبضربها على الدنانير أو الدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة[966], ويقصد بها أحياناً تلك النقوش التي تتزين بها النقود على اختلاف أنواعها وأحياناً تعني قوالب السك التي تختم بها العملة المتداولة, وتطلق أيضاً على الوظيفة التي تقوم في سك العملة والتي تكون تحت إشراف الدولة, وهي التي تعطيها قانونية التعامل بها[967] .

وكان العرب يتعاملون بالنقود التي ضربتها الأمم المجاورة لهم, وكان التعامل بهذه النقود وزناً لا عدداً, كأنما هي "تبر" أي غير مضربة, وكانت لهم أوزان خاصة بهم, وبقي هذا الحال إلى مجيء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة (65-86هـ/685-705م) فظهر في عهده عملة إسلامية صرفة مستقلة[968] .

---

(966) ابن خلدون: المقدمة, ص216.

(967) ابن خلدون: المقدمة, ص216 ؛ المقريزي: النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود, تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم, المكتبة الحيدرية, (النجف 1967م), ص4 ؛ فهمي, عبد الرحمن محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة للطباعة,(لا.م 1964م) , ص7-8.

(968) ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية, ص43-44؛ الخضري, محمد, محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) تحقيق الشيخ محمد العثماني, دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت لا.ت), ص316.

كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية الساسانية[969], وعندما جاء الإسلام اقر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) التعامل بهذه النقود, كما اقر الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) التعامل بهذه النقود أيضاً[970] مع إن هذه النقود كانت تضرب على أوزان مختلفة[971], أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد أراد المسلمون إبراز شخصيتهم في هذه المرحلة على الرغم من انشغالهم بالفتوح ونشر الدين الجديد, فعمدوا إلى وضع بصماتهم على العملات[972] وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ضربت دراهم نقشت عليها عبارة "الله اكبر" وكذلك حملت النقود في زمن الإمام علي (عليه السلام) العبارات نفسها[973] واستمر الحال إلى قيام الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) بإصدار العملات الإسلامية الخالصة[974].

لم ترد ذكر النقود في القران الكريم بلفظ نقود بل وردت كلمات تدل عليها من خلال الدرهم والدينار والورق ,قال تعالى: ((وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ))[975], قال تعالى: ((وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً . . .))[976], قال تعالى:

---

[969] البلاذري: فتوح البلدان , ص651 ؛ المقريزي: شذور العقود , ص4 .

[970] البلاذري: فتوح البلدان, ص651؛ ابن خلدون: المقدمة, ص261؛ المقريزي, شذور العقود, ص7.

[971] ينظر: المقريزي: شذور العقود , ص4-5.

[972] حلاق, حسان علي: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي, دار الكتاب اللبناني, بيروت, دار الكتاب المصري, القاهرة, 1987م, ص22.

[973] البلاذري: فتوح البلدان , ص454.

[974] ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية, ص43-44 ؛ الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية , ص316.

[975] سورة يوسف/ الاية (20).

[976] سورة آل عمران/ الاية (75).

((...فَـابْـعَـثُـوا أَحَدَكُم بِـوَرِقِـكُمْ هَذِهِ إِلَـى الْـمَدِيـنَـةِ فَـلْـيَـنظُرْ أَيُّـهَـا أَزْكَـى طَعَـامـاً فَـلْـيَـأْتِـكُم بِـرِزْقٍ مِّـنْـهُ وَلْـيَـتَـلَـطَّفْ وَلَـا يُـشْعِـرَنَّ بِـكُمْ أَحَـداً))[977] .

أدت الدولة الفاطمية أثراً كبيراً في تشجيع التجارة والتبادل السلعي وأخذت العملة النقدية تزداد أهميتها وفقاً لهذا النشاط فيها, وقد حدد "الأمان" الذي أعطاه القائد جوهر للمصريين على تغير النقود وتجديدها ومنع الغش فيها وصرفها إلى العيار الذي عليه النقود المنصورية في شمال أفريقيا[978] .

فقد أمر جوهر بضرب الدينار المعزي سنة 363هـ/973م والذي يحمل لقب الخليفة المعز لدين الله ولقبه[979], وكانت سكة الفاطميين تحمل صفتهم المذهبية وانتهت بذلك كل الخصائص السكة الإخشيدية[980], فقد وجدت على النقود عبارات علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين, كما يظهر لقب المعز "الإمام معد أمير المؤمنين" وقد أخذت النصوص المكتوبة على الدنانير المصرية منذ عهد المعز زخرفها فظهرت على شكل دوائر تحيطها حلقات من خطوط بارزة على وجهي الدينار وبإمكاننا أن نقرأ في هذه الدوائر عبارات كثيرة نصها على الوجه[981], محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون, وفي ظهر الدينار ثلاثة سطور هامشية أخرى نصها من الخارج إلى الداخل: بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة إحدى وأربعين وثلثمئة ودعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد , المعز لدين الله أمير المؤمنين[982] .

---

(977) سورة الكهف/ الاية (19).

(978) المقريزي: شذور العقود , ص79.

(979) المقريزي: شذور العقود , ص79.

(980) المقريزي: شذور العقود , ص77.

(981) المقريزي: شذور العقود, ص76 ؛ زيدان, جرجي: تاريخ مصر الحديث, تحقيق نظير عبود, مج2, دار الجيل, (لبنان 1984م), ص254.

(982) المقريزي: شذور العقود , ص77.

ثم ضربت دراهم جديدة من الفضة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله حددت قيمتها فيما يتعلق للدينار حيث كانت كل ثمانية عشر درهماً بدينار[983] وكان هدف الدولة تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن.

وتعد دور الضرب مورداً مهماً من موارد الدولة فهي تحصل مقابل سك ما يتعامل به الناس من النقد بأنواعه الذهب والفضة والنحاس رسماً ولمنع حالات الغش والتلاعب في قيمته إذا خرج عن إشراف الدولة , فقد ذكر ابن مماتي ما كان يضرب من دنانير بدار الضرب بالقاهرة قائلاً: " وأجرة كل ألف دينار تضرب بالقاهرة ثلاثون ديناراً يخرج من ذلك أجره الضرابين ثلاثة دنانير, ورسم المشارفة ربع وسدس وثمن وحبة وثلثي دينار "[984] .

أما فيما يخص الفضة فكانت دار الضرب تحصل مقابل سك عيارها رسم قدره نصف دينار عن كل ألف دينار (أي 20 درهماً) خالصاً من أجرة الضرابين وحق متولي العبار وسائر المؤن, لأنها تلزم مالكها دون الديوان وهو ما أطلق عليه اسم رسم واجب السكة وأجرة الضرابين[985], أما دار العيار[*] فقد كانت تمد خزانة الدولة بمبالغ طائلة, لأنها المكان الوحيد الذي يشرف على مراقبة المكاييل والموازين والصنج ويعود اهتمام الحكومة الفاطمية بهذه الدار لحماية الشعب من الاستغلال وإيرادات هذه الدار عبارة عن أثمان ما يباع من هذه الموازين ومصاريف أصلاحها وتمريرها لمن يريد[986] ويشرف المحتسب على تلك المواد

---

(983) ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص232–233.

(984) قوانين الدواوين, ص232–233.

(985) المقريزي: الخطط, ج1, ص418 ؛ فهمي: النقود العربية , ص94.

(*) دار العيار: هي دار الضرب لأنها تعني عناية خاصة بوزن الذهب والفضة وزناً دقيقاً ولهذا رادف الحرف الواحد الحرف الآخر. المقريزي: شذور العقود , ص70.

(986) ابن مماتي: قوانين الدواوين , ص333–334.

لضمان عدم تغييرها وبيعها للتجار وكانت الحكومة تحصل على مبالغ كثيرة جراء ذلك[987] .

ابتدع الفاطميون نوعاً من النقود التذكارية الذهبية تسمى "خراريب" جمع "خروبة" وهي دنانير صغيرة الحجم خفيفة الوزن, توزع في بعض المواسم والأعياد على أفراد الشعب المصري كما في خميس العهد (خميس العدس) وهو من أعياد النصارى وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية ضرب خمسمئة دينار ذهباً وعشرة آلاف خروبة وتفرقها على جميع أرباب الرسوم في هذا العيد[988], وقد احضر الوزير المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب بخميس العهد من الخراريب الذهب, وهو خمسمئة دينار عن عشرين ألف خروبة, واستدعى كاتب بيت المال ودفع له بإطلاق ألف دينار وأمره بإحضار مشارف دار الضرب وسلمها إليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة, واحضرها فأمر بحملها إلى الخليفة فخص المأمون منها ثلثمئة دينار[989] .

وكانت تضرب نقود تذكارية أخرى برسم التفرقة في أول كل عام وكان الوزير يحمل منها ثلثمئة وستون قيراطاً والى أولاده وأخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشرة رباعيات وعشر قراريط إلى دينار[990] وجملة المبلغ ثلثمئة ألف دينار فيتقبلها الوزراء والأمراء وأرباب الراتب من الخليفة على سبيل التبرك .

2-الصيرفة:

تُعدّ العملة من أهم وسائل المعاملات التجارية, وتعد عملية تحويل الأموال من عملية لأخرى هي المجال المهم الذي اضطلع به الصيارفة, وكانت هذه العملية

---

(987) القلقشندي: صبح الأعشى ,ج10 , ص461.

(988) المقريزي: إغاثة الأمة , ص64 ؛ فهمي: النقود العربية , ص67.

(989) المقريزي: إغاثة الأمة , ص64.

(990) المقريزي: شذور العقود , ص78 ؛ فهمي: النقود العربية , ص58.

تتصل بعمليتي وزن واختبارات العملات, فقد كانت العملات المحلية في ذلك الوقت تُعدّ الوسيلة العادية في المعاملات التجارية, وتشير موسوعة الجنيزة إلى إن عملية التحويل كانت من الأشياء المألوفة في العصر الفاطمي[991] .

وقد نشأت في القاهرة أماكن للصيرفة[992] ودكاكين وفنادق, مما أدى إلى ازدهار التبادل التجاري ونشاطه وأصبح هذا النظام أشبه بنظام نقابي, إذ ظهرت تعبيرات اصطلاحية جديدة مثل عبارة "دار الوكالة" التي ظهرت أول مرة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وتعني بيتاً واسعاً للتجار[993] .

ومن اختصاص المحتسب الأشراف على الصيارفة عند بيع السلعة أو العملة, والصراف هو الذي يتولى هذه العملية فعليه إن يكون حافظاً للشريعة ويبتعد عن الربا, وكان المحتسب يقوم بمراقبة الصيارفة ويقبض على المخالف ويحاسبه اشد الحساب وكان يهتم بموازينهم ومكاييلهم[994], ومن الوسائل التي لفتت أنظار رحالة العصر, الأمن والأمان اللذان كانا يسودان الأسواق, فقد ذكر ناصر خسرو إن تجار الصيارفة لا يغلقون أبواب حوانيتهم في أثناء النهار بل يتم إسدال ستائر شفافة لحجز البضاعة فقط , ولم يكن احد من المارة ليجرؤ على مد يده على أي نوع من تلك البضائع[995] .

وعلى ما يبدو أَنّ المسلمين كانوا لا يميلون إلى امتهان مهنة كالصيرفة وذلك بسبب اتصالها بالعقيدة الإسلامية التي تحرم الربى أو العمولة, فقد اضطلع اليهود

---

(991) Goitein , S.D.A. Meditranean society ؛The jewish communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza p.23.

(992) الشيزري: نهاية الرتبة , ص104.

(993) المقريزي: الخطط ,ج1 , ص450.

(994) ابن الإخوة: معالم القربة , ص196 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة , ص398.

(995) سفرنامة , ص124 ؛ ريسلر , جاك: الحضارة العربية , تعريب خليل احمد خليل , منشورات عويدات, (باريس 1993م) , ص163.

الذين أقاموا في الفسطاط بالجانب الأكبر من أعمال الصيرفة[996], وكانت نسبة العاملين منهم في هذا المجال كبيرة في المدن الإسلامية, وكانوا يقومون بعمليات التسليف وقبول الحوالات والصكوك لقاء عملة محدودة, كما يقومون بإقراض الولاة في بعض الأحيان إذ ما نفذت أموال بيت المال[997] وكان بسبب كثرة العملة في المعاملة أو تآكلها أو تداخل الغش فيها, فإنها تذبذب في القيمة, مما يترتب تزايد أسعار المبيعات فكان من الصعب أحياناً التمييز بين النقود الخالصة والمغشوشة, بحيث كانت الدولة تلجا إلى خفض الأسعار بمنع العملة الرديئة في المعاملة والى فرض رقابة مشددة لمنع تداول النقود المغشوشة[998], إذ كان من عمل الصيارفة سحب هذه العملة الرديئة من التعامل ووضع عملة جيدة بدلاً منها , وخصصت الدولة الفاطمية مكاناً محدداً للصيرفة يسهل الأشراف عليه سمي (رحبة الصيارفة) بجوار المسجد الجامع في مصر[999] .

وكان أهم ما يميز العملة الفاطمية العبارة التي تدل على جودتها, فكان ينقش عبارة (عال) أو (عال غاية) وهي الرمز الذي يبين صرف العملة على المعيار الرسمي[1000] وكانت تختلف أسعار العملة باختلاف أسعار الذهب والفضة من وقت لآخر حسب العرض والطلب, كما تتفاوت نسبة الدرهم إلى الدينار باختلاف سعر الذهب والفضة[1001] ومنذ الفتح الفاطمي لمصر كان الدينار المعزي يساوي 15,5 درهم وقد تغيرت هذه القيمة بعض الوقت حتى وصلت إلى 36 درهم, أما فيما يخص الدينار والدرهم من ناحية وبين الفلوس من ناحية أخرى فلم تكن محدودة,

---

(996) متز: الحضارة الإسلامية ,ج2 , ص384.

(997) الصابي, هلال بن محسن (ت448هـ/1056م): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء, تحقيق ميخائيل عواد, مطبعة المعارف , (بغداد 1941م), ص 105.

(998) ينظر: ابن ميسر: أخبار مصر, ص49.

(999) المقريزي: الخطط ,ج3 , ص151.

(1000) ماجد: نظم الفاطميين, ج1, ص130.

(1001) احمد, حسن خضيري: علاقات الفاطميين , ص143.

لأنها نسبة جزئية تغيرت قيمتها بسبب الغش الذي كان يحدث فيها عن طريق الصيارفة اليهود[1002].

وفي أيام الخليفة الحاكم بأمر الله تزايد أمر الدراهم في شهر ربيع الأول سنة 399هـ/1008م, فبلغت كل ثلاثين درهماً بدينار, وانزل من القصر عشرون صندوقاً فيها دراهم جديدة فرقت للصيارفة, وقرى سجل يمنع المعاملة بالدراهم الأولى, وترك من في يده شيء منها ثلاثة أيام وان يورد ما تحصل منها إلى دار الضرب, فاضطربت الناس وبلغت كل أربعة دراهم بدرهم جديد, وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهماً بدينار[1003], وفي حال انتشار الغش في النقود, كان الصيارفة وأكثرهم من اليهود والنصارى في بلاد الشام خلال (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) يلجأون إلى سحب النقود الرديئة من الأسواق واستبدالها بالعملة الأجود[1004] .

وفي أيام الخليفة الآمر بأحكام الله بلغ الدينار أقصى درجات النقاوة في العصور الإسلامية حداً لم يصل إليه احد[1005], ويُعدُّ نقاء الدينار احد الخصائص المميزة لاقتصاد مصر حتى نهاية الحكم الفاطمي, وقد كانت الدولة الفاطمية تحصل على الأموال من مصادر عدة ومنها دار الضرب ودار العيار حيث كانت تحصل مقابل سك ما يتعامل به الناس من الذهب والفضة رسماً مقابل هذا العمل منعاً للتلاعب في قيمته إذا خرج عن أشراف الدولة, ويعتبر هذا الرسم أجره دار الضرب عما يحضره الموردون من التجار من الذهب على اختلاف أصنافه فضلاً عن سيطرة الفاطميين على كل الطرق التجارية المؤدية إلى المناطق التي يكثر

(1002) المقريزي: الخطط ,ج2 , ص47 ؛ فهمي: النقود العربية , ص65.

(1003) المقريزي: إغاثة الأمة , ص64.

(1004) المقريزي: شذور العقود , ص74.

(1005) ابن بعرة , منصور الذهبي الكاملي (ت القرن الرابع الهجري/الثالث عشر الميلادي): كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية, تحقيق عبد الرحمن فهمي, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, (القاهرة 1965م) , ص59.

فيها الذهب, إذ لم يعتمد الفاطميون عند مجيئهم مصر على الثروة الكبيرة من الذهب التي جمعوها خلال الستين عاماً في المغرب والتي حُملت على الجمال وسبكت على هيئة أريحة الطواحين[1006] .

كانت دار الضرب في أول أمرها في الفسطاط واستمرت بها حتى عام 516هـ/1122م, إذا أمر الوزير الأفضل بنقلها إلى القاهرة أو ببناء دار فيها كونها مقر الخلافة[1007], ومركز الدولة الإداري والسياسي والمعقل الرئيسي لنشر الدعوة الإسماعيلية[1008], ثم بنيت دور للضرب في القاهرة والتي سميت بالآمرية نسبة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله الذي بناه وزيره المأمون البطائحي سنة 516هـ/1122م[1009] ووجدت أيضاً دور للضرب في الإسكندرية وقوص وصور وعسقلان[1010], وكانت دور الضرب من المنشات[1011] التي عنى بها الخلفاء الفاطميون لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بحياة البلاد الاقتصادية, فكان يشرف عليها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم[1012] .

وظلت دار الضرب تؤدي خدمات جليلة, فهي التي تسلط المقادير اللازمة للتعامل وتنشيط التجارة وكانت تزيد من إنتاجها أو تقلل منه حسب الحاجة وأنها تتدخل في حل الأزمات المالية إذ ما حدثت, فهي التي تحدد السعر لكل من النقدين المستعملين حفظاً للتوازن بينهما من جهة ومنعاً لأي اضطراب قد يكون له اثر سيء ينعكس على النشاط الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي[1013] .

[1006] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص301 ؛ شذور العقود , ص74.

[1007] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص244.

[1008] المسبحي: أخبار مصر , ص68.

[1009] ابن ميسر: أخبار مصر ,ج2 , ص92 ؛ المقريزي: الخطط ,ج2 , ص244.

[1010] المقريزي: الخطط ,ج2 , ص177 ؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ,ج4 , ص53.

[1011] ابن ميسر: أخبار مصر, ج2, ص92.

[1012] المقريزي: الخطط ,ج1 ,ص445.

[1013]الساعدي, ثامر: النظام المالي, ص188-189.

3-السفتجة:

تطور النشاط التجاري نتيجة لتوسع الدولة العربية الإسلامية مما أدى إلى حركة تجارية واسعة شملت مختلف البضائع التجارية التي تطلبت تجاراتها استحداث نظام مالي جديد ومتطور هو "السفتجة" فإلى جانب التعامل بالعملة النقدية من الدنانير والدراهم استحدث نظام السفتجة وهي أن يعطي مالاً لآخر وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه إياه[1014], وهي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به من خطر الطريق[1015], واستعمله وسيلة للدفع وأمان من الضياع وخفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص[1016] .

وفي العصر الفاطمي استعملت السفاتج للتعامل التجاري بين الاهراة والأقاليم المجاورة, ويظهر من وثائق الجنيزة, إذ كانت السفتجة تأخذ طابع العملة, كما يحدث في فلسطين وسوريا كذلك بين القاهرة وبغداد, فقد أرسلت سفتجة من طرابلس بليبيا إلى الفسطاط بمبلغ مئتي دينار سنة 455هـ/1063م[1017] .

شاع استعمال السفتجة في القرنين الرابع والخامس الهجريين على الرغم من محدودية استعمالها[1018] وكان الولاة يرسلون ما زاد من دخل ولاياتهم إلى بغداد بسفاتج[1019], وقد ذكر الرحالة خسرو انه لما أراد مغادرة أسوان في طريقة إلى عيذاب اخذ من تاجر في أسوان يدعى أبو عبيد الله محمد بن فليح كتاباً إلى وكيله في عيذاب جاء ما نصه: " أعط ناصراً ما يريد, وهو يعطيك صكاً للحساب "[1020],

---

[1014] ابن منظور: لسان العرب, ج2, ص298.

[1015] الزبيدي: تاج العروس, ج1, ص1434.

[1016] متز: الحضارة الإسلامية, ج2, ص379.

[1017] جوتياين, س.د: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية, تعريب وتحقيق عطية القوصي, منشورات وكالة المطبوعات, (الكويت 1980م), ص198.

[1018] الدوري, عبد العزيز: النظم الإسلامية, ص168.

[1019] الدوري, عبد العزيز: النظم الإسلامية, ص168.

[1020] سفرنامة, ص135.

فلما انفق خسرو ما معه من ماله في عيذاب أعطى الورقة للوكيل فأعطاه ما أراد بعد أن اخذ منه صكاً بذلك فقام الوكيل بإرسال الصك إلى أسوان[1021], وهذا يدل على أَنّ النشاط التجاري والاقتصادي هو السبب الرئيس في اتساع نظام السفتجة وشيوع استعمالها .

(1021) خسرو: سفرنامة , ص135.

الخاتمة

لقد حظيت الدولة الفاطمية بمكانة متميزة ليس في تاريخ مصر الإسلامية إنما في تاريخ الدولة العربية الإسلامية عامة, لما قدمته من جهود متميـزة فـي كثيـر مـن المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والخدمية ذات المساس المباشر بحياة الرعية, وقد وجدت تلك الجهود صدى لدى أبناء الرعية مما أسهم في تنشئتهم تنشئة صالحة, ولذلك فان مدة القرنين من الزمان لحكمها كانت خصبة لمعطياتها وانجازاتها, ومـن هذا الجانب فان الدراسة قد نفذت إلى تلك المعطيات بالبحث والتحليل وقد توصـلت الدراسة إلى أمور عدة من أهمها:

1- بينت الدراسة أن الخدمة العامة عند الفاطميين قد استندت إلى أصول عقائدية تعتمد القران الكريم والسنة النبوية وفكر وسلوك أهل البيت (عليهم السلام).
2- وقد أوضحت الدراسة أن كثيراً من المصادر الأولية والمراجع الثانويـة قـد أغفلت عن قصد الإشارة إلى جلّ النصوص التاريخية التي تؤكد عدالة الخلفاء الفاطميين من خلال سلوكهم مع رعيتهم .
3- كذلك بينت الدراسة وبالقرائن والأدلة إن جلّ الخلفاء الفاطميين قد تعاملوا مع رعيتهم بما تمليه عليهم عقيدتهم الإسلامية خلافاً لما في عددٍ من المصـادر من أنهم كانوا متعسفين معهم .
4- وقد وقفت الدراسة أيضاً على كثير من الحالات التي تدلل على التسامح الديني والمذهبي في العصر الفاطمي على الرغم من وجود بعض ردود الفعل غيـر المنضبطة التي لا تؤثر في هذا المجال .
5- وأوضحت الدراسة من خلال القرائن والأدلة المتوافرة أَنّ ما قيل عن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ليس صحيحاً ولاسيما ما يتعلق بكونه سيء العقيـدة والسلوك, إذ أشارت كثير من المصادر إلى توحيده وعدالته وحسن معاملتـه للرعية .

6- لقد أثبتت الدراسة إلى أن اسم عبيد الله الذي التصق باسم عبد الله المهـــدي لا يمكن التعويل عليه, في حين أَنّ جلّ المسكوكات قد أشارت صراحة إلـــى أَنّ آسمه عبد الله وليس عبيد الله كما تصر عددً من المصادر.

7- وتوصلت الدراسة أيضاً إلى أن معظم الخلفاء الفاطميين قد خصصوا كثيـــراً من الأوقاف التي تعنى بالبر إلى الجانب العلمي من خلال الاهتمام بالعلمـــاء والمدارس العلمية وطلابها .

8- وهدفت الدراسة أيضاً إلى بيان أوجه الخدمات العامة في الدولة الفاطمية من خلال المساجد والمشاهد المقدسة والكنائس وغيرها.

9- وقد أثبتت الدراسة أيضاً إن الخلافات السياسية في الدولة العربية الإســـلامية عامةً والدولة الفاطمية خاصةً قد انعكست سلباً علـــى الجوانـــب الاقتصـــادية والاجتماعية مما اثر في الخدمات العامة المقدمة للرعية.

ملحق رقم (1)

آمــان جوهــر الصقلي

((بسم الله الرحمن الرحيم, هذا كتاب من جوهر الكاتب, عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه, لجماعة أهل مصر الساكنين بها, من أهلها ومن غيرهم: أنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي, وهم: أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقائه, وأبو إسماعيل الرسِّي أيده الله, وأبو الطيب الهاشمي أيده الله, وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله, والقاضي أعزه الله, وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم, فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) وحسن نظره لكم, فلتحمدوا الله على ما أولاكم وتشكروه على ما حماكم, وتدأبوا فيما يلزمكم, وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم, العائدة بالسلامة لكم, وبالسعادة عليكم, وهو أنه(صلوات الله عليه) لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم, إذا قد تخطفتكم الأيدي, واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأَسْر من فيه, والأحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق, واشتد كَلَبُه, فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) بإخراج العساكر المنصورة, وبادره بإنقاذ الجيوش المظفرة دونكم, ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق, الذين عمَّهم الخزي, وشملتهم الذلة, وأكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا عليهم, واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم, وعظم ضجيجهم, وعلا صراخهم, فلم يُغثهم إلا من أرمضه أمرهم, ومضَّه حالهم, وأَبكى عينه ما نالهم, وأَسهرها ما حلَّ بهم, وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) فرجا بفضل الله عليه وإحسانه لديه, وما عوده وأجراه عليه, استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم, وعذاب أليم, وان يؤمن من استولى عليه الوَهْل, ويفرخ رَوْعَ من لم يزل في خوف ووجل, وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم, وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على

أموالهم, وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى, فسُفكت دماؤهم وابتزت أموالهم مع اعتماد ما جرت به عادته من إصلاح الطرقات, وقطع عبث العابثين فيها, ليتطرق الناس آمنين, ويسيروا مطمئنين, ويتحفوا بالأطعمة والأقوات, إذ كان قد انتهى إليه(صلوات الله عليه) انقطاع طرقاتها, لخوف مادتها, إذ لا زاجر للمعتدين, ولا دافع للظالمين, ثم تجديد السكة وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة, وقطع الغش منها, إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا إصلاحها, وأستفراغ الوسع فيما يلزمه منها, وما أوعز به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) إلى عبده من نشر العدل, وبسط الحق, وحسم الظلم, وقطع العدوان, ونفي الأذى, ورفع المؤن, والقيام في الحق, وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان, وجميل النظر, وكرم الصحبة, ولطف العشرة, وافتقاد الاحوال, وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم, وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم, حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لمَّ شعثهم, وأقام أودهم, وأصلح بالهم, وجمع قلوبهم, وألَّف كلمتهم, على طاعة وليِّه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) وما امر به مولاه من اسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضى(صلوات الله عليه) بإثباتها عليكم, وإن أجبركم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه(صلى عليه واله وسلم) وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفي بها, فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال, وان أتقدم في رم مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقاد, وان أعطي مؤذنيها وقَوَمَتَها ومن يؤمُّ الناسَ فيها أرزاقهم, وأدرها عليهم ولا أقطعها عنهم ولا أدفعها إلا من بيت المال, لا بإحالةٍ على من يقبِض منهم, وغيره ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) مما ضمنه كتابه هذا ما ذكره من ترسل عنكم أيدهم الله, وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم, فذكرتُها إجابة لكم, وتطميناً لأنفسكم, والا فلم يكن لذكرها معنى, ولا في نشرها فائدة, إذ كان الإسلام سنة واحدة, وشريعة متبعة, وهي إقامتكم على مذهبكم وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم, والاجتماع عليه في جوامعكم

ومساجدكم, وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين بعدهم , وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم, وان يجري الأذان, والصلاة, وصيام شهر رمضان وفطره, وقيام لياليه, والزكاة, والحج, والجهاد على ما أمر الله وكتابه, وما نصَّه نبيُّه(صلى الله عليه واله وسلم) في سنته, وأجرى أهل الذمة على ما كانوا عليه, ولكم عليَّ أَمانُ الله التام العام, الدائم المتصل, الشامل الكامل, المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام, في أنفسكم, وأموالكم, وأهليكم, ونعمكم, وضياعكم, ورباعكم, وقليلكم وكثيركم, وعلى انه لا يعترض عليكم معترض ولا يجتنى عليكم متجنٍ ولا يتعقب عليكم متعقب, وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون, ويُذَبَّ عنكم, ويُمنع منكم, فلا يُعترض آذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قويكم, فضلاً عن ضعيفكم, وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحُه, ويشملكم نفعُه, ويصل إليكم خيره, وتتعرفون بركته وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) ولكم عليَّ الوفاء بما ألتزمته, وأعطيتكم إياه, عهدَ الله وغليظ ميثاقه وذمته وذمة أنبيائه ورسله وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين (قدَّس الله ارواحهم) وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلوات الله عليه) فتصرحون بها وتلعنون بالانصراف إليها, وتخرجون إليَّ وتسلمون عليَّ, وتكونون بين يدي, إلى أن أَعبر الجسر, وانزل في المناخ المبارك, وتحافظون من بعد على الطاعة وتثابرون عليها وتسارعون إلى فروضها, ولا تخذلون وليّاً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) وتلزمون ما أُمرتم به, وفقكم الله وأرشدكم أجمعين))[1022] .

[1022] المقريزي: اتعاظ الحنفا , ج1 , ص67-70.

ملحق رقم 2

الخاص بسجل الوقف بمقتضاه الحاكم بامر الله بعض املاكه بمصر والقاهرة , على الجامع الازهر ودار الحكمة وبعض المساجد الاخرى

((هذا كتاب اشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود, في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة اربعمائة , اشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور ابي على الحاكم بامر الله امير المؤمنين بن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما, على القاهرة المغرية ومصر الاسكندرية والحرمين حرسهما الله واجناد الشام والرقة ونواحي المغرب وسائر اعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لامير المؤمنين, من بلاد الشرق والغرب, بمحضر رجل متكلم, ان صحت عنده معرفة المواقع الكاملة والحصص الشائعة, التي يذكر جميع ذلك ويحدد هذا الكتاب, وانها كانت من املاك الحاكم الى ان حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين امر بانشائهما وتأسيس بنائهما, وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة, مشاعاً جميع ذلك غير مقسوم ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها, فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة, جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة القيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة, الذي كله بفسطاط مصر بالراية, وفي جانب الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق, وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموقع المعروف بحمام الفار, ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من اربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية ايضاً

بالموضع المعروف بحمام الفار وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيس, بحدود ذلك كله وارضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفعاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجاري مياهه وكل حق له هو له داخل فيه وخارج عنه, وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بته لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها, باقية على شروطها جارية على سبلها المعروضة في هذا الكتاب, ولا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث, ولا يستثنى فيها ولا يتأول ولا يستفتى يتجدد تحبيسها مدى الاوقات, وتستمر شروطها على اختلاف الحالات, حتى يرث الله الارض والسماوات, على ان يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي اليه ولايتها ويرجع اليه امرها, بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها, من اشهدها عند ذوي الرغبة في اجارة امثالها, فيبتدئ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين وحرقته من غير اجحاف بمن حبس ذلك عليه, وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً, فمن ذلك لجامع الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الاستشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع, يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزي الوازن الف الف دينار واحدة وسبع وستون دينار ونصف دينار وثمن دينار, ومن ذلك للخطيب بهذا الجامع اربعة وثمانون دينار دون ذلك لثمن الف ذراع حصر عبدانية تكون عده له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك لثمن ثلاثة عشر الف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحد وثمانية دنانير, ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراضها اثنا عشر ديناراً ونصف وربع دينار, ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وايام الجمع مع ثمن الكافور والمسك واجرة الصانع خمسة عشر ديناراً, ومن ذلك لنصف قطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير, ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن

الخيط وابرة الخياطة خمسة دنانير, ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد, ومن ذلك الثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار, ومن ذلك لثمن اردبين ملحاً للقناديل ربع دينار, ومن ذلك ما قدر لمؤنة الناس والسلاسل والتتانير والقباب التي فوق سطح الجامع اربعة وعشرون ديناراً, ومن ذلك لثمن سلب ليف واربعة احبل وست دلاء ادم نصف دينار, ومن ذلك لثمن قنطارين خرقاً لمسح القناديل نصف دينار, ومن ذلك لثمن عشر خفاف للخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار, ومن ذلك لثمن ازيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع اجرة حملها ثلاثة دنانير, ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة الف رطل ومائتا رطل مع اجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف ومن ذلك لارزاق المصلين يعني الائمة وهم ثلاثة واربعة قومة وخمسة عشر موذناً وخمسمائة دينار وستة وخمسون دينار ونصف, منها للمصلين ولكل رجل منهم ديناران في كل شهر, ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة اربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد, ومن ذلك لمرمه ما يحتاج اليه في هذا الجامع من سطحه واترابه وحياطنه وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً , ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وحمل تبن ونصف حمل ذلك لتبن المخزن يوضع فيه بالقاهرة اربعة دنانير, من ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير, ومن ذلك لاجرة متولي العلف واجرة السقا والحبال والقواويس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف, ومن ذلك لاجرة قيم الميخاة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً, والى هذا انقضى حديث

الجامع الازهر, واخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر ان تناثر الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثين قنديلاً, ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلاً, وشرط ان تتعلق في شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها ان تحفظ به, وشرط شروطاً كثرة في الاوقاف منها اذا فضل شيء اجتمع يشتري به ملك فاذا عاز واستهدم ولم يف الربع بعمارنه بيع وعمران واشياء كثيرة, وحبس ابظاء عدة ادر وقياسر لافائدة من ذكرها فأنها مما ضربت بمصر))[1023]

[1023] المقريزي: الخطط , ج2 , ص230-232.

ملحق رقم(3)

السجل الذي أصدرته الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله والذي يتضمن المسامحة بالبواقي من الخراج على الفلاحين إلى

آخر سنة عشر وخمسمائة

((ولما انتهى إلينا حال المعاملين والضمناء والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم أمرنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة قصداً في استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته وإنقاذ عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها ولما كان ذلك من جميل الأحدوثة التي لم تسبق إليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال إيرادها في هذا الكتاب وإيداعها في هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت إليه أحوال الضمناء والعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والأموال ,عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الأشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الأمر العالي بوضع ذلك في الحال وإنشاء السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الإحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان لُيقرأ على رؤوس الأشهاد بسائر البلاد ,ومبلغ ما انتهت إليه المسامحة إلى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة إلف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينار ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة أربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة ألاف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون أردباً وثمن ونصف وسدس وثلثا قيراط , ومن العناب ربع أردب , ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرادب ونصف , ومن زريعة الوسمة عشرة أرادب وربع , ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قنطاراً ورطل ونصف , ومن الفوه أربعمائة وسبعون رطلاً , ومن الشب تسعمائة وثلاثة

عشر قنطاراً ونصف , ومن الحديد خمسمائة رطل وأحد وثلاثون رطلاً , ومن الزفت ألف وثلاثمائة وثلاثة أرطال وربع وسدس , ومن القطران تسعة عشر رطلاً وثلث , ومن الثياب الحلبى ثلاثة أثواب , ومن المآزر مائة مئزر صوف , ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالاً , ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلاثمائة وخمسة أرؤس , ومن البسر ثلاثمائة وثلاثة عشر قنطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً , ومن السحيل ثلاثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعاً , ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة , ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة , ومن الأطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة أطراف , ومن الملح ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعون أردبا وثلث , ومن الأشنان احد عشر أردباً , ومن الرمان ألفا حبة , ومن العسل النحل خمسمائة واحد وأربعون قنطاراً وسدس , ومن الشهد اثنان وثلاثون زيراً وقادوساً واحداً , ومن الشمع أربعمائة وأربعون رطلاً , ومن الخلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة وخليتان , ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطاراً , ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة وأربعة وستون رأسا , ومن الدواب أربعة وسبعون رأسا , ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وسدس وثمن , ومن الجبن ثلاثمائة وعشرون رطلا , ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزة , ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلا وربع , ومن بيوت الشعر بيتان))[1024] .

[1024] المقريزي: الخطط , ج1 , ص242-243.

ملحق رقم (4)

نص كتاب الخليفة الحاكم بأمر الله بحماية النصارى

((بسم الله الرحمن الرحيم .هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين, لجماعة النصارى بمصر, عندما انهوا إليه الخوف الذي لحقهم والجزع الذي هالهم فأقلقهم واستذراءهم بظَل الدولة, وتحرَمهم بحضور الحضرة, بما رآه وأمر به من تكميل النعمة عليهم بتوخَيه لهم ذمة الإسلام وشرعه, من تصيَرهم تحت كنفه بحيث تصفو لهم موارد الطمأنينة, وتضفوا عليهم ملابس السكون والدعة, وإجابتهم إلى ما سألوا فيه من كتب أمان لهم يخلد حكمه على الأحقاب, ويتوارثه الإخلاف منهم والأعقاب, فأنتم جميعاً آمنون بأمان الله عز وجل, وأمان نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه واله وسلم وعلى اله الطاهرين, وأمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب, سلام الله عليه, وأمان الأيمة من أباء أمير المؤمنين, سلام الله عليهم, هذا على نفوسكم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأحوالكم وأملاككم, وما تحويه أيديكم, أماناً صريحاً ثابتاً, وعقداً صحيحاً باقياً, فثقوا به, واسكنوا إليه, وتحققوا أن لكم جميل رأي أمير المؤمنين وعاطفته, وعصرته تحميكم, وعصمته تقيكم, لا يقدم عليكم بسوء احد, ولا تتطاول إليكم بمضرة يد إلا كانت زواجر أمير المؤمنين مقصرة من باعه, وعظم إنكاره, مضيقاً فيه من ذراعه, والله عون أمير المؤمنين على ما تعتقدونه من صلاح وإصلاح لسكان أقطار مملكته, ومن له وسيلة الثواء في كنف دولته, وإياه يستشهد على ما أمضاه من أمانة لكم, وعهده الذي يشرفه طرفكم, وكفى بالله شهيداً. وليقرر في أيديهم حجة بما أسبغ من النعم عليهم, إن شاء الله تعالى))[1025] .

[1025] الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي , ص358-359.

ملحق رقم (5)

السجل الذي أصدره الخليفة الحافظ لدين الله
بإنشاء المدرسة الحافظية

((أمير المؤمنين لما منحه الله من الخصائص التي جعلته لدينه حافظاً, والمصالح أمور المسلمين ملاحظاً, ولما عاد بشمول المنافع لهم مواتراً, وبما أحظاهم عنده تبارك وتعالى معيناً وعليه مثابراً, لا يزال يوليهم إحساناً وفضلاً ومناً ويسبغ عليهم أنعاماً لم تزل تسهم هممهم إلى أن تتمنى, وقد يسر الله تعالى لخلافته ودولته, ووهب لإمامته ومملكته, من السيد الآجل الأفضل, أكرم ولي ضاعف تقواه وإيمانه, واكتمل صفي وقف اهتمامه واعتزامه على ما يرضيه سبحانه, واعدل وزير لم يرض في تدبير الكافة بدون الرتبة العليا, وأفضل ظهير ابتغى فيما آتاه الله الدار الآخر, ولم ينس نصيبه من الدنيا, فهو يظافر أمير المؤمنين على ما عم صلاحه عموم الهواء, ويفاوض حضرته فيما يستخلص الضمائر بما يرفع فيه من صالح الدعاء.

ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية_حماه الله تعالى_ على غيره من الثغور, فأنه خليف بعناية تامة لا تزال تتجد عنده وتغور لأنه من أوقى الحصون والمعاقل, والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوي والناقل, وهو يشتمل على القراء والفقهاء, والمرابطين والصلحاء, وان طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه, والطارئين عليه, مشتتو الشمل, متفرقوا الجمع أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلددين, ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين, وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وأنعاماً, ومستقراً لهم ومقاماً, ومثوى لجميعهم ووطناً, ومحللاً لكافتهم وسكناً, فجدد السيد الآجل الأفضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين في أن يكون ما يتصرف إلى مؤنة كل منهم والقيام بأوده وإعانته على ما هو بسبيله وبصدده من عين وغلة, مطلقاً من ديوانه, وأسترقد أمير المؤمنين المثوبة في ذلك فأجابه جرياً على عادة إحسانه, واستقرت التقدمة في هذه المدرسة لك أيها الفقيه

الرشيد جمال الفقهاء أبو الطاهر: لنفاذك واطلاعك وقوتك في الفقه واستضلاعك, ولأنك الصدر في علوم الشريعة, والحال منها في المنزلة الرفيعة, والمشتغل الذي اجتمع له الأصول والفروع, ومن إذا اختلف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع, هذا ما أتت عليه من الورع والتقى, وان مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه مخفقاً, وأمر أمير المؤمنين إن تدرس علوم الشريعة للراغبين وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين, وخرج أمره يكتب هذا المنشور بذلك شداً لأزرك, وتقوية لأمرك ورفعاً لذكرك.

فاخلص في طاعة الله سراً وجهراً, فأنه تعالى يقول في كتابه: ((. . . ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا))[1026] واعتمد توزيع المطلق عليهم, وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدي اجتهادك إليه, ويوقفك نظرك عليه, وقرب من ارتضيت طريقته, وابعد من أنكرت قضيته, فقد وكل ذلك إليك, وعرف بك من غير اعتراض فيه عليك, فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضي المكين_أدام الله تأييدهما_ وكافة الحماة والمتصرفين والعمال المستخدمين فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن احتوت عليه من الطلبة وإعزازهم, والاشتمال عليهم, والاهتمام بها لهم والتوخي على منافعهم, وليتك هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع, وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنه, أن شاء الله عز وجل))[1027]

[1026] سورة الطلاق/ الآية رقم (5) .

[1027] القلقشندي: صبح الأعشى, ج10, ص458-459.

أولاً: المصادر:

- القران الكريم

◆ ابن الآبار , محمد بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م):

1- الحلة السيراء, تحقيق حسين مؤنس, ط2, دار المعارف, (القاهرة 1985م).

◆ البغدادي, صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت739ه/1341م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل, (بيروت 1992م).

◆ ابن الأثير, عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ/ 1232م):

2- الكامل في التاريخ , دار صادر , (بيروت لا.ت).

◆ ابن الأخوة , محمد بن محمد بن احمد (ت729هـ/1328م):

3- معالم القربة في أحكام الحسبة, دار الحداثة, (بيروت 1990م).

◆ ابن ادم القرشي , يحيى (ت203هـ/818م):

4- الخراج, تحقيق حسين مؤنس, دار الشروق, (القاهرة 1987م).

◆ أبو داود , سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ/889م):

5- سنن أبي داود, دار الكتاب العربي, (بيروت لا.ت).

◆ الإدريسي, أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ/1164م):

6- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, عالم الكتب, (بيروت 1989م).

◆ الادفوي, كمال الدين أبي فضل جعفر بن ثعلب (ت748هـ/1358م):

7- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد, المطبعة الجمالية بحارة الروم, (مصر 1914م).

◆ الازرقي , أبو الوليد محمد عبد الله بن احمد (ت245هـ/859م):

8- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار, تحقيق علي عمر, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة 2004م).

◆ الأشعري , أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت330هـ/939م):

9- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين, تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, ط2, (القاهرة لا.ت).

◆ الأصفهاني, ابو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/966م):

10- مقاتل الطالبين, تحقيق احمد صقر, دار المعرفة, (بيروت لا.ت).

◆ ابن أبي اصيبعه, موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم (ت668هـ/1269م):

11- عيون الإنباء في طبقات الأطباء, تحقيق نزار رضا, دار مكتبة الحياة, (بيروت لا.ت).

◆ الامدي , عبد الواحد بن محمد (ت550هـ/1155م):

12- غرر الحكم ودرر الكلم, مكتب الأعلام الإسلامي, (قم لا.ت).

◆ الأنطاكي , يحيى بن سعيد (ت458هـ/1065م):

13- تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق المعروف بصلة تاريخ اوتيخا, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, جروس برس , (لبنان 1990م) .

◆ ابن اياس , محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1520م):

14- نزهة الأمم في العجائب والحكم , تحقيق محمد زينهم ومحمد عزب, مكتبة مدبولي , (القاهرة 1995م).

◆ بحشل , اسلم بن زرار الواسطي (ت292هـ/904م):

15- تاريخ واسط, تحقيق كوركيس عواد, عالم الكتب, (بيروت 1406هـ).

◆ البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجغفي (ت256هـ/869م):

16- صحيح البخاري, دار الفجر للتراث, (القاهرة 2005م).

◆ ابن بسام, محمد بن احمد (ت844هـ/1440م):

17- نهاية الرتبة في طلب الحسبة, دار الحداثة, (بيروت 1990م).

◆ البستي, محمد بن حيان (ت354هـ/965م):

18- مشاهير علماء الأمصار, تحقيق م.فلا يشهمر, دار الكتب العلمية, (بيروت 1959م).

◆ ابن بطوطة , محمد بن عبد الله (ت779هـ/1377م):

19- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (المعروف برحلة ابن بطوطة), دار صادر, (بيروت 1964م).

◆ ابن بعرة , منصور الذهبي (ت القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي):

20- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية, تحقيق عبد الرحمن فهمي محمد, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, (القاهرة 1965م).

◆ البكري , محمد بن أبي سرور (ت1087هـ/1676م):

21- الروضة المأنوسة, في أخبار مصر المحروسة, تحقيق عبد الرزاق عيسى, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة 1997م).

◆ البلاذري , أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ/892م):

22- فتوح البلدان, تحقيق عبد الله أنيس الطباع, مؤسسة المعارف للطباعة والنشر, (بيروت 1987م).

23- البلخي, ابو زيد احمد بن سهل (ت322هـ/933م):

146- البدء والتاريخ, تحقيق خليل عمران المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت 1997م).

◆ البلوي, أبو محمد, عبد الله بن محمد الحديثي (بعد 330هـ/941م):

24- سيرة احمد بن طولون, تحقيق محمد كرد علي, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة لا.ت).

◆ الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت279هـ/892م):

25- سنن الترمذي, تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون, دار أحياء التراث العربي, (بيروت لا.ت).

◆ ابن تغري بردى, أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت874هـ/1467م):

26- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, تعليق محمد شمس الدين, دار الكتب العلمية, (بيروت 1993م).

◆ ابن تيمية, تقي الدين احمد (ت728هـ/1327م):

27- الحسبة في الإسلام, دار الحداثة, (بيروت 1990م).

◆ الجبرتي, عبد الرحمن بن حسن (ت1237هـ/1832م):

28- عجائب الآثار في التراجم والأخبار, دار الجيل, (بيروت لا.ت).

◆ ابن جبير, أبو الحسن محمد بن احمد (ت614هـ/1217م):

29- رحلة ابن جبير(هي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك), تحقيق إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م).

◆ الجرجاني, علي بن محمد (ت816هـ/1413م):

30- التعريفات, تحقيق إبراهيم الابياري, دار الكتب العربي, (بيروت 1405ه).

◆ ابن جلجل, أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (كان حيا سنةً 377هـ/994م):

31- طبقات الأطباء والحكماء, تحقيق أيمن فؤاد سيد, مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية, (القاهرة 1955م).

◆ ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت597هـ/1200م):

32- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا, مراجعة وتصحيح نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت).

33- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز, تحقيق طه عبد الرؤوف سعد, دار ابن خلدون, (الإسكندرية 1996م).

◆ الجوهري, إسماعيل بن حماد (ت393هـ/1002م):

34- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, ط3, تحقيق احمد عبد الغفور عطا, دار العلم للملايين, (بيروت 1984م).

◆ ابن الحاج, أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت737هـ/1335م):

35- المدخل الشريف على المذاهب الاربعة (المدخل), دار الحديث, (القاهرة 1981م).

◆ الحبال, أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله (ت482هـ/1089م):

36- وفيات قوم المصريين ونفر سواهم, تحقيق إبراهيم صالح, دار البشائر, (دمشق 1995م).

◆ ابن أبي الحديد, أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن حمد بن الحسين(ت656هـ/ 1258م):

37- شرح نهج البلاغة, تحقيق محمد إبراهيم, دار الكتاب العربي, (بيروت 2007م).

◆ الحر العاملي, محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين(ت1255هـ/1826م):

38- تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة, مؤسسة آل البيت لاحياء التراث, (قم 1409هـ). وطبعة اخرى: تحقيق عبد الرحيم المرباني, دار احياء التراث العربي, (بيروت لا.ت)

◆ ابن حجر, العسقلاني أبو الفضل احمد بن علي (852هـ/1449م):

39- رفع الإصر عن قضاة مصر, تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد مهدي ومحمد إسماعيل, المطبعة الأميرية, (القاهرة 1957م).

◆ ابن حزم, أبي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/1063م):

40- جوامع السيرة النبوية, ط2, تحقيق عبد الكريم سامي الجندي, دار الكتب العلمية, (بيروت 2009م).

◆ أبو الحسن الروحي, علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (عاش في القرن السادس الهجري):

41- بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء, تحقيق عماد احمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن وسعاد محمود عبد الستار, أشراف ومراجعة أيمن فؤاد سيد, (القاهرة 2004م).

◈ الحموي, ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/840م):

42- معجم البلدان, دار الفكر, (بيروت لا.ت).

43- المشترك وضعاً والمفترق صعقاً, جوالينيع, 1846م, (القاهرة لا.ت).

◈ الحميري, أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (كان حياً سنة 900هـ).

44- الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي مع فهارس شاملة), تحقيق أحسان عباس, مكتبة لبنان, (بيروت 1974م).

◈ ابن حماد, أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت628هـ/1228م):

45- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم, تحقيق جلول محمد البدوي,(الجزائر لا.ت).

◈ ابن حوقل, أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/990م):

46- صورة الأرض, ط2, مطبعة بريل, (ليدن 1980م).

◈ الحنفي, عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي (كان حياً 1179هـ /1765م):

47- فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتب الخراج , تحقيق احمد عبيد الكبيسي, مطبعة الإرشاد, (بغداد 1985م).

◈ خسرو, ناصر علوي (ت481هـ/1088م):

48- رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري, ط2, نقله إلى العربية يحيى الخشاب, تصدير عبد الوهاب عزام, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1993م).

◈ ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1405م):

49- المقدمة, مطبعة الكشاف, (بيروت لا.ت).

50- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, دار الكتب العلمية, (بيروت 1992م).

◈ ابن خلكان, أبو العباس شمس الدين احمد محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م):

51- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق أحسان عباس, دار صادر, (بيروت 1977م).

◆ ابن خياط, خليفة (ت240هـ/854م):

52- تاريخ خليفة خياط, تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز, دار الكتب العلمية, (بيروت 1995م).

◆ ابن دقماق, إبراهيم بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1406م):

53- الانتصار لواسطة عقد الأمصار(في تاريخ مصر وجغرافيتها), تحقيق لجنة أحياء التراث العربي, دار الآفاق الجديدة, (بيروت لا.ت).

◆ الدمشقي, أبو الفضل جعفر بن علي (ت القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر ميلادي):

54- الإشارة إلى محاسن التجارة , تحقيق الشوربجي, (القاهرة 1977م).

◆ الدواداري, ابن أيبك أبي بكر عبد الله الدواداري (ت736هـ/1335م):

55- كنز الدرر وجامع الغرر(المسمى الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية), تحقيق صلاح الدين المنجد, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, (القاهرة 1961م).

◆ الدميري , كمال الدين (ت808هـ/1405م):

56- تاريخ الخلفاء, اعتنى به محمد الفاضلي, مؤسسة المعارف للمطبوعات, (بيروت 2001م).

◆ ابن أبي دينار, أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت1101هـ/ 1681م):

57- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس, ط3, دار المسيرة, (لبنان 1993م).

◆ الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م):

58- سير أعلام النبلاء, تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي, ط3, مؤسسة الرسالة, (بيروت 1413هـ).

59- العبر في خبر من غبر, تحقيق صلاح الدين المنجد, ط2, مطبعة حكومة الكويت, (الكويت لا.ت).

60- تاريخ دول الإسلام, حيدر آباد- الدكن, (الهند 1337هـ).

◆ الرازي, احمد بن حمدان (ت275هـ/888م):

61- الزينة في الكلمات الإسلامية, تحقيق عبد الله سلوم السامرائي, (بغداد 1972م).

◆ الرازي, بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1267م):

62- مختار الصحاح, تحقيق سيرة خلف الموالي, طباعة ونشر وتوزيع المركز العربي للثقافة والعلوم, (بيروت لا.ت).

◆ الرازي, فخر الدين (ت544هـ/1150م):

63- أسرار التنزيل وأنوار التأويل, تحقيق محمود احمد محمد, بابا علي الشيخ عمر, صالح محمد عبد الفتاح, (بغداد 1985م).

◆ الزبيدي, محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني(ت1205هـ/ 1790م):

64- تاج العروس من جواهر القاموس, (الكويت لا.ت).

◆ ابن رجب الحنبلي,أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب(ت795ه/1393 م):

65- الاستخراج لأحكام الخراج , دار الكتب العلمية, (بيروت 1985م):

◆ الزركشي, محمد بن عبد الله (ت795هـ/1392م):

66- أعلام الساجد بأحكام المساجد, تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراعي, لجنة أحياء التراث الإسلامي, (القاهرة 1385هـ).

◆ الروذراوري, أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد (ت488هـ/ 1095م):

67- ذيل تجارب الأمم ملحق بكتاب تجارب الامم, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م).

◆ الزمخشري, جار الله أبو القاسم محمود بن عمر(ت538هـ/1143م):

67- أساس البلاغة, ط3, الهيئة المصرية للكتاب, (لا.م 1985م).

68- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, تحقيق خليل مأمون شيحا, ط3, دار المعرفة, (بيروت 2009م).

◆ ابن زولاق, الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي (ت387هـ/997م):

69- فضائل مصر وأخبارها وخواصها, تحقيق علي محمد عمر, هيئة الكتاب, (القاهرة لا.ت).

◆ زين العابدين, علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) (95هـ/713م):

70- الصحيفة السجادية الكاملة, تقديم محمد باقر الصدر, منشورات الرضا, (بيروت 2008م).

◆ سبط ابن الجوزي, يوسف بن قزغلي البغدادي (ت654ه/1256م):

71- تذكرة الخواص من الامة بذكر الائمة, تحقيق حسين تقي زاده , نشر المجمع العلمي لاهل البيت, (طهران 1426ه).

72- السبكي , أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1370م):

73- طبقات الشافعية الكبرى, تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي, ط2, هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, (الجيزة 1992م).

◆ ابن سعد, عبد الله بن منيع (ت230هـ/844م):

74- الطبقات الكبرى, تحقيق محمد علي عمر, مكتبة الخانجي, (القاهرة 2001م).

◆ ابن سعيد المغربي,أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الغرناطي(ت685هـ/ 1284م):

75- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقارة من كتاب المغرب في حلى المغرب, تحقيق حسين نصار, مطبعة دار الكتب, (لا.م 1970م).

◆ السمعاني, أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/ 1166م):

76- أدب الإملاء والاستملاء, تحقيق سعيد محمد اللجام, منشورات دار ومكتبة الهلال, (لا.م 1989م).

◆ السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م):

77- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, (لبنان 2004م).

◆ الشارعي, موفق الدين أبي محمد بن أبي أكرم المكي بن عثمان (ت708هـ/ 1378م):

78- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار, (لا.م لا.ت) .

◆ أبو شامة, شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي(ت665هـ/ 1228م):

79- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق محمد علي, مطبعة دار الجيل, (بيروت 1956م).

◆ شبر, عبد الله (1242هـ/1826م):

80- تفسير القران الكريم, دار أحياء التراث العربي, (لا.م 2007م).

◆ الشهرستاني, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م):

81- الملل والنحل, تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن, ط3, دار المعرفة, (بيروت 1993م).

◆ الشيرازي, هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود (ت470هـ/1077م):

82- ديوان المؤيد في الدين, تحقيق محمد حسين كامل, دار الكتاب المصري, (القاهرة 1949م).

◆ الشيزري, عبد الرحمن بن نصر(ت589هـ/1193م):

83- نهاية الرتبة في طلب الحسبة, تحقيق السيد البازي العريني, مطبعة لجنة التاأليف, (القاهرة 1946م).

◆ الصابي , هلال بن محسن (448هـ/1056م):

84- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء, تحقيق ميخائيل عواد, مطبعة المعارف, (بغداد 1941م).

◆ الصدوق, محمد بن علي بن الحسين القمي (ت381هـ/991م):

85- من لا يحضره الفقيه, الأميرة للطباعة والنشر, (بيروت 2008م).

◆ الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1345م):

86- الوافي بالوفيات, تحقيق واعتناء احمد الارناؤوط وتركي مصطفى, دار أحياء التراث العربي, (بيروت 2000م).

◆ الصفدي, الحسن بن أبي محمد عبد الله (ت717هـ/1317م):

87- نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, المكتبة العصرية, (بيروت 2003م).

◆ ابن الصيرفي, أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي (ت542هـ/1147م):

88- الإشارة إلى من نال الوزارة, تحقيق عبد الله مخلص, المعهد العلمي الفرنسي, (القاهرة 1933م).

◆ الضبي, احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت599هـ/1202م):

89- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس, دار الكتاب العربي, (دمشق 1967م).

◆ طاش كبرى زاده, احمد بن مصطفى (ت963هـ/1572م):

90- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم, دار الكتب العلمية, (بيروت 1985م).

◆ الطبرسي, أبو علي الفضل بن الحسن (ت548هـ/1153م):

91- مجمع البيان في تفسير القران, دار القارئ, دار الكتاب العربي, (لا.م 2009م).

◆ الطبرسي, ميرزا حسين النوري (ت1320هـ/1894م):

92- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل, مؤسسة آل بيت لأحياء التراث, (قم 1408هـ).

◆ الطبري, محمد بن جرير(ت310هـ/922م):

93- تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري, دار الكتب العلمية, (بيروت 1407هـ).

94- جامع البيان عن تأويل آي القران, دار الفكر, (لبنان 1988م).

◈ الطرطوشي, أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت521هـ/1126م):

95- سراج الملوك, (لا.م 1399هـ).

◈ ابن الطقطقا, محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م):

96- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية, منشورات الشريف الرضي, (لا.م 1414هـ).

◈ ابن الطوير, أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (ت617هـ/1123م):

97- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين, تحقيق أيمن فؤاد سيد, دار النشر, (بيروت 1992م).

◈ ابن ظافر, جمال الدين علي (ت613هـ/1216م):

98- أخبار الدول المنقطعة, تحقيق علي عمر, مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة 2001م).

◈ ابن ظهيرة, جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين(ت986هـ/1578م):

99- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة, تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس, دار الكتب, (لا.م 1969م).

◈ العاملي, أبو الحسن بن محمد طاهر(ت القرن الثاني عشر الهجري/القرن الثامن عشر الميلادي):

100- تفسير البرهان المسماة بمرآة الأنوار ومشكاة الأسرار, تحقيق لجنة من العلماء والمحققين, مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات, (قم 2007م).

◈ ابن عبد البر, الحافظ يوسف (ت463هـ/1070م):

101- جامع بيان العلم وفضله, تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان, ط2, (مصر 1968م).

102- الدرر في اختصار المغازي والسير, تحقيق شوقي ضيف, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, لجنة أحياء التراث الإسلامية, (القاهرة 2002م).

◈ ابن عبد الحكم, القاسم بن عبد الرحمن(ت257هـ/870م):

103- فتوح مصر والمغرب, تحقيق عبد المنعم عامر, الهيئة العامة للقصور والثقافة, (القاهــرة 1961م).

◆ ابن عبد الحكم, أبو محمد عبد الله (ت214هـ/829م):

104- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن انس وأصحابه, تحقيق احمد عبيد, ط2, مكتبة وهبة, (لبنان 1954م).

◆ عبد اللطيف البغدادي, موفق الدين ابو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد (ت629هـ/ 1231م):

105- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر, تحقيق ودراسة علي محسن عيسى, منشورات دار الحكمة, مطبعة التعليم العالي, (بغداد 1987م).

◆ ابن العبرى, ابو الفرج غريغوريوس بن اهارون (ت685هـ/1286م):

106- تاريخ مختصر الدول, تحقيق خليل المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت).

◆ أبو عبيد, القاسم بن سلام (ت224هـ/838م):

107- الأموال, تحقيق محمد خليل هراس, دار الكتب العلمية,(بيروت 1983م).

◆ ابن عبد الظاهر, محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت692هـ/ 1292م):

108- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة, تحقيق وتقديم وتعليق أيمن فؤاد سيد, مكتبة الدار العربية للكتاب, (القاهرة 1996م).

◆ ابن عذارى, أبو محمد بن محمد المراكشي (ت القرن السابع الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي):

109- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (تاريخ افريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري), تحقيق ج.س, كولان وليفي برونفسال, ط3, دار الثقافة, (بيروت 1983م).

◆ ابن العماد الحنبلي, أبو الفتح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت1089هـ/1678 م):

110- شذرات الذهب في أخبار من ذهب, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت).

◆ عمارة اليمني، ابو محمد عمارة بن علي بن زيداً المذجحي (ت 569هـ/1173م):

111- النكت العصرية في اخبار الدول المصرية، اعتنى بتصحيحه هرتو يغ درنبرغ، مطبعة مرسو في شالوت (لا.م 1897م).

◆ الغزالي , أبو حامد محمد بن محمد (ت505هــ/1111م):

112- إحياء علوم الدين, مكتبة ومطبعة كرياطة فوتر اسمارغ.

113- منهاج العابدين, تحقيق محمد مصطفى أبو العلا, مكتبة الجندي, (مصر 1972م).

◆ الفاسي, تقي الدين محمد بن احمد (ت832هــ/1432م):

114- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام, مكتبة النهضة الحديثة, (مكة المكرمة 1956م).

◆ الفاسي, الحسن محمد بن الوزان (القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي):

115- وصف أفريقيا, ترجمة محمد صبحي ومحمود خضر, الرباط , (لا.م 1980م).

◆ الفاكهي, محمد بن إسحاق (ت275هــ/888م):

116- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه , تحقيق عبد الملك عبد الله دهيش, ط2, دار خضر, (بيروت 1414هــ).

◆ أبو الفدا, عماد الدين إسماعيل (ت732هــ/1331م):

117- المختصر في أخبار البشر, مكتبة المتنبي, (القاهــرة لا.ت).

◆ الفراهيدي, عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت175هــ/791م):

118- العين, تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي, دار الرشيد للنشر (سلسة المعاجم والفهارس), (الجمهورية العراقية 1980م).

◆ ابن فرحون, برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (ت799هــ/1396م):

119- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, دار الكتب العلمية, (بيروت لا.ت).

◆ الفيروز آبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هــ/1414م):

120- القاموس المحيط, تحقيق وتقديم يحيى مراد, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, (لا.م 1429هــ).

◆ الفيومي, احمد بن محمد بن علي المغربي (ت770هــ/1368م):

121- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, المطبعة الأميرية, (بولاق 1939م).

◈ القاضي النعمان, أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي (ت363هــ/973م)

147- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم), ط3, تحقيق اصف بن علي فيضي, دار المعارف, (القاهرة لا.ت).

148- رسالة افتتاح الدعوة، رسالة في ظهور الدعوة الفاطمية، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت 1970م).

149- المجالس والمسايرات, تحقيق الحبيب الفقي وآخرون, المطبعة الرسمية, (تونس 1978م).

◈ ابن قتيبة , الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هــ/889م):

122- عيون الأخبار, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت 2005م).

◈ قدامة بن جعفر, أبي الفرج الحافظ بن زياد البغدادي (ت328هــ/939م):

123- الخراج وصناعة الكتابة, تحقيق محمد حسين الزبيدي, دار الرشيد للنشر, (بغداد 1981م) .

◈ القرشي, عماد الدين أدريس (ت872هــ/1467م):

124- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار), تحقيق محمد البعلاوي, دار الغرب الإسلامي, (بيروت 1985م).

◈ القرطبي, أبي عبد الله محمد بن احمد (ت671هــ/1272م):

125- الجامع لأحكام القران, اعتنى به هشام سمير البخاري, دار أحياء التراث العربي, (بيروت 2001م).

◈ القضاعي, أبي عبد الله محمد بن سلامة(ت454هــ/1046م):

126- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي, تحقيق نشأت بن كمال المصري, البدر للنشر والتوزيع, (مصر 2008م).

◈ القزويني, زكريا بن محمد بن محمود (ت682هــ/1823م):

127- آثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر, (بيروت لا.ت).

◆ ابن القفطي, جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت646هـ/1248م):

128- أخبار العلماء بأخبار الحكماء, تحقيق إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, (بيروت 2005م).

◆ ابن القلانسي, أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ/1160م):

129- ذيل تاريخ دمشق, تحقيق امدروز, نشر الآباء اليسوعيين, (بيروت 1908م).

◆ القلقشندي, احمد بن علي (ت821هـ/1418م):

130- صبح الأعشى في صناعة الانشا, المطبعة الأميرية, (القاهرة 1916م).

131- مآثر الانافة في معالم الخلافة, تحقيق عبد الستار احمد فراج, عالم الكتب, (الكويت لا.ت).

◆ الكتبي, محمد شاكر (ت764هـ/1362م):

132- فوات الوفيات, تحقيق أحسان عباس, دار صادر, (بيروت 1973م).

◆ ابن كثير, أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت774هـ/1372م):

133- تفسير القران العظيم, تقديم محمد الرحمن المرعشلي, دار أحياء التراث العربي, (بيروت لا.ت).

◆ الكليني, محمد بن يعقوب (ت328هـ/939م):

134- فروع الكافي, تحقيق محمد جعفر شمس الدين, دار التعارف للمطبوعات, (بيروت 1993م).

◆ الكندي, محمد بن يوسف (ت350هـ/961م):

135- ولاة مصر, تحقيق مصر, دار صادر, (بيروت لا.ت).

◆ ابن ماجة, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ/886م):

136- سنن ابن ماجة, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, (لا.م لا.ت).

◈ ابن مالك, أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك (ت672هـ/1274م):

137- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة, تحقيق محمد حسن عواد, دار الجيل, (بيروت 1411هـ).

138- ابن المأمون, جمال الدين أبو علي موسى (ت588هـ/1192م):

139- أخبار مصر, تحقيق وكتابة المقدمة أيمن فؤاد سيد, المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية, (القاهرة 1983م).

◈ الماوردي, أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م):

140- الأحكام السلطانية والولايات الدينية, دار الحرية للطباعة, (بغداد 1989م).

◈ ابن المجاور, محمد بن مسعودي بن علي النيسابوري (ت630هـ/1232م)

141- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة(تاريخ المستبصرين), (ليدن لا.ت).

◈ المجلسي, محمد الباقر(ت1111هـ/1699م):

142- بحار الأنوار, ط4, مؤسسة الوفاء, (بيروت لا.ت).

◈ مسلم بن الحجاج, أبو الحصين القشيري (ت261هـ/874م):

143- صحيح مسلم, اعتنى به محمد بن عبادي بن عبد الحليم, مكتبة الصفا, (القاهرة 2004م).

◈ المسبحي, عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد(ت420هـ/1029م):

144- نصوص ضائعة من أخبار مصر, اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد, (لا.م 1995م).

◈ المسعودي, أبو الحسن بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م):

145- مروج الذهب ومعادن الجوهر, تحقيق محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, (بيروت لا.ت).

◈ المقدسي البشاري, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد(ت375هـ/985م):

146- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم, تحقيق محمد أمين الضناوي, دار الكتب العلمية, (بيروت 2003م).

- المقريزي, تقي الدين أبو العباس احمد بن علي(ت845هـ/1441م):

150- البيان والأعراب عما في ارض مصر من الأعراب, تحقيق عبد المجيد عابدين, (القاهرة 1969م).

151- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا, تحقيق محمد عبد القادر, دار الكتب العلمية, (بيروت 2001م).

152- الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, تحقيق محمد زينهم, مديحة الشرقاوي, مكتبة مدبولي, (مصر 1988م).

153- إغاثة الأمة بكشف الغمة, تقديم صلاح الدين الهواري, المكتبة العصرية, (بيروت 2008م).

154- افتتاح الدعوة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت 2005م).

155- النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود, تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم, المكتبة الحيدرية, (النجف 1967م).

- ابن المقفع, ساويس أسقف الأشمونيين :

156- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسيرة الآباء البطاركة, (القاهرة 1948م).

- ابن مماتي, مكارم سعيد بن المهذب بن أبي مليح (ت606هـ/1209م):

157- قوانين الدواوين, تحقيق عزيز سوريان عطية, (القاهرة 1943م).

- المناوي, محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين(ت1031هـ/1612م):

158- النقود والمكاييل والأوزان, تحقيق رجاء السامرائي, (القاهرة 1986م).

- ابن منظور, محمد بن مكرم (ت711هـ/1310م):

159- لسان العرب, دار صادر, (بيروت لا.ت) .

- مؤلف مجهول, (كان حياً في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي):

160- الاستبصار, في عجائب الأمصار, تحقيق سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية العامة, (بغداد لا.ت) .

◈ ابن ميسر, تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت677هـ/1278م):

161- تاريخ مصر, تحقيق أيمن فؤاد سيد, المعهد العالي العربي للآثار الشرقية, (القاهرة 1984م).

◈ ابن النجار, محمد بن محمود(ت647هـ/1249م):

162- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة, (ملحق بكتاب شفاء الغرام للفاسي) مكتبة النهضة الحديثة, (مكة المكرمة 1956م).

◈ النراقي, محمد مهدي (ت1209هـ/1831م):

163- جامع السعادات, دار المرتضى, (بيروت 2006م).

◈ الأنصاري, أبو يحيى زكريا بن محمد (ت926هـ/1523م):

164- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة, دار الفكر المعاصر, (بيروت1411هـ).

◈ النوبختي, أبو محمد الحسن بن موسى(ت310هـ/895م):

165- فرق الشيعة, تصحيح زيزر, (اسطنبول 1921م).

◈ النويري, شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/1332م):

166- نهاية الأرب في فنون الأدب, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر, (لا.م لا.ت).

◈ ابن هشام, أبو محمد بن الملك بن أيوب (ت218هـ/833م):

167- السيرة النبوية, مؤسسة المعارف للطباعة والنشر, (بيروت 2007م).

◈ ابن واصل, جمال الدين محمد ابن سالم (ت697هـ/1297م):

168- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب, تحقيق جمال الدين الشيال, (القاهرة 1953م).

◈ اليافعي, أبو محمد عبد الله بن اسعد بن سليمان المكي (ت768هـ/1366م):

169- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان, تحقيق خليل المنصور, دار الكتب العلمية, (بيروت 1997م).

◈ اليعقوبي, احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/904م):

170- البلدان, تحقيق محمد امين ضناوي, (بيروت 2002م).

171- تاريخ اليعقوبي, تحقيق خليل المنصور, دار الكتب العلمية,(بيروت لا.ت).

◈ أبو يوسف الانصاري, يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م):

172- الخراج, دار المعرفة, (بيروت 1979م).

ثانياً: المراجع:

◆ الإبراشي, محمد عطية:

1- تاريخ علماء المسلمين واثارهم في التربيـــة, ط4, دار النهضـــة العربيـــة, (لا.م 1996م).

◆ إبراهيم, حلمي:

2- كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج, المشرف على التحرير جمـــال الغيطـــاني, (لا.م لا.ت).

◆ أبو سديرة , طه:

3- الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (21-254هـ), دار الفكر العربي, (القاهرة لا.ت).

◆ احمد , احمد كمال والفوال , صلاح مصطفى:

4- الخدمة الاجتماعية والميثاق في المجتمع الاشتراكي العربـــي , مكتبـــة القـــاهرة الحديثة , 1963م .

◆ احمد , حسن خضيري:

5- علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب, مكتبة مدبولي, (القاهرة 1966م).

◆ احمد , عبد الرزاق:

6- تاريخ وآثار مصر الإسلامية(من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفـــاطمي), دار الفكـــر العربي, (القاهرة 1999م),

◆ احمد , لبيد ابراهيم واخرون:

6- الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي, (بغداد 1992م).

◆ الأعظمي, محمد حسن:

7- عبقرية الفاطميين(احتواء على الفكر والتاريخ الفاطمي), منشـــورات دار مكتبـــة الحياة , (لا.م لا.ت).

◆ إقبال , موسى محمد:

8- دور قبيلة كتامة في الدولة الفاطمية, مطبعة الجامعة, (القاهرة 1974م).

◈ أيلسيف , تيكيتا:
9- الشرق الاسلامي في العصر الوسيط, ترجم منصور ابو الحســن, مؤسســة دار الكتاب الحديث, (بيروت 1986م).

◈ أيوب , رزق الله ابراهيم:
10- التاريخ العباسي السياسي والحضاري, الشركة العالمية للكتاب (ش.م.ل), مكتبة المدرسة, دار الكتاب العالمي, (لا.م 1989م) .
11- التاريخ الفاطمي الاجتماعي, الشركة العالمية للكتاب, (لبنان 1996م).

◈ الباشا, حسن واخرون:
12- القاهرة تاريخها فنونها اثارها, مؤسس الاهرام, (القاهرة 1970م).

◈ برهم , نضال عبد اللطيف:
13- الخدمات الاجتماعية, مكتبة المجتمع المصري, (القاهرة 2008م).

◈ البكاء , امين السيد خلف:
14- المسجد في الاسلام حتى نهاية العصر الاموي (دراسة في جوانــب الوظيفيــة والفنية), شركة الحسام للطباعة, (بغداد 2002م).

◈ التهانوي , محمد علي(1185هـ/1695م):
15- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم, تقديم رفيق العجم, مكتبة لبنــان ناشــرون, (بيروت 1996م).

◈ تامر, عارف:
16- المعز لدين الله, منشورات دار الاقامة الجديدة , (بيروت 1982م).
17- العزيز بالله(قاهر القرامطة وافتكين), منشورات دار الاقامة الجديدة , (بيــروت 1982م).
18- تاريخ الاسماعيلية(الدولة الفاطمية الكبيرة), رياض الريس للكتب والنشر, (لندن 1991م).

◈ الجنابي , عجمي محمود خطاب:
19- هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده (170-193هـ), بيــت الحكمــة, (بغداد 1988م).

◆ جويتاين , س.د:
20- دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية, تعريب وتحقيق عطية القوصي, منشورات وكالة المطبوعات, (الكويت 1980م).

◆ الحائري , محمد حسين الاعلمي:
21- دائرة المعارف الشيعية العامة, ط2, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, (بيروت 1993م).

◆ حسن, إبراهيم حسن وعلي, ابراهيم حسن:
22- النظم الاسلامية, ط4, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1970م).

◆ حسن , ابراهيم حسن:
23- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي, ط4, مكتبة النهضة المصرية, دار الجيل, (بيروت 1966م).
24- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1964م).

◆ حسن , حسين الحاج:
25- حضارة العرب في صدر الاسلام , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, (بيروت 1992م).

◆ حسن , زكي محمد:
26- كنوز الفاطميين, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1937م).

◆ حسن , علي إبراهيم:
27- تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي, ط2, مكتبة النهضة المصرية, (القاهرة 1963م).

◆ الحسين , قصي:
28- موسوعة الحضارة العربية (العصر الفاطمي والايوبي), دار ومكتبة الهلال, (بيروت 2005م).

◆ حسين , محمد كمال:
29- انتشار الاسلام, دار الفكر العربي, (لا.م 1976م).

◆ حسين، محمد كامل:
30- أدب مصر الفاطمية، دار الكتاب العربي، (بيروت لا.ت).

◆ الحسيني , فرج حسين نصر:
30- النقوش الكتابية الفاطمية على العمائر في مصر , تقديم اسماعيل سـراج الـدين, مكتبة الاسكندرية, (مصر لا.ت).

◆ حلاق , حسان علي:
31- تعريب النقود والدواوين في العصر الاموي, دار الكتاب اللبناني, بيـروت, دار الكتاب المصري, (القاهرة 1987م).

◆ حمادة , عبد المنعم:
32- مصر والفتح الاسلامي (في العيد الالفي للقاهرة), المجلـس الاعلـى للشـؤون الاسلامية , اشرف على اصدارها محمد توفيق عويصه, (القاهرة 1980م).

◆ حمادة , محمد ماهر:
33- المكتبات في الاسلام نشاتها وتطورها ومصائرها, مؤسسة الرسـالة, (بيـروت 1970م).

◆ الحمد , عادلة علي:
34- قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب, دار المستقبل, (القاهرة 1980م).

◆ الاعظمي, عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي:
35- دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي, مطبعة التعليم العـالي, (بغـداد 1988م).

◆ الحويري, محمود محمد:
36- مصر في العصور الوسطى(دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية), عـين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, (لا.م 1996م).

◆ الخضري, علي حسني:
37- الكعبة على مر العصور, ط2, دار المعارف, (القاهرة لا.ت).

◈ الخضري , محمد:
38- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية), نشر الشـيخ العثمـاني, دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت لا.ت).

◈ خليل , ياسين:
39- الطب والصيدلة عند العرب,منشورات جامعة بغداد,(لا.م 1979م).

◈ خورشيد , إبراهيم زكي وآخرون:
40- دائرة المعارف الإسلامية, دار الشعب, (القاهرة لا.ت).

◈ الخولي, علي محمد الشاذلي:
41- دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي, المجلس الأعلى للشؤون الإسـلامية, (القاهرة لا.ت).

◈ دخيل, محمد حسن:
42- الدولة الفاطمية (الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية), مؤسسة الانتشار العربي, (بيروت 2009م).

◈ الدشراوي , فرحات:
43- الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات), نقله إلى العربية حمادي الساحلي, دار الغرب الإسلامي, (بيروت 1994م).

◈ دعكور, عرب:
44- تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليـك وحضـاراتهم, دار النهضـة العربية, (بيروت 2011م).

◈ دفتري, فرهاد:
45- الاسماعيليون في العصر الوسيط (تاريخهم وفكـرهم), ترجمـة سـيف الـدين القصير, دار المدى للثقافة والنشر, (سوريا 1999م).

◈ الدوري , عبد العزيز:
46- العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسـي والإداري والمـالي), ط3, دار الطليعة, (بيروت 1997م).

- الديوه جي , سعيد:

47- التربية والتعليم في الإسلام, (الموصل 1982م).

48- بيت الحكمة ، ط2، مؤسسة دار الكتب، (لا.م 1972م).

- الراجحي, زكية عبد السلام:

49- العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطيـــة والفاطميـــة, منشـــورات جامعة قارينوس, (ليبيا 2008م).

- الرحيم, عبد الحسين مهدي:

50- الخدمات العامة في بغداد(400-656هــــ), دار الحريـــة للطباعـــة, (بغـــداد 1987م).

51- العصر العباسي الأول (المؤهلات والانجازات), الجامعة المفتوحـــة, (طـــرابلس 2002م).

52- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية, (بغداد 1994م).

- رضا , محمد :

53- معجم متن اللغة, (بيروت 1959م).

- الرفاعي , أنور:

54- النظم الإسلامية, دار الفكر, (لا.م لا.ت).

- رفعت, محمد ومحمد احمد حسونة:

55- تاريخ العصور الوسطى, (لا.م 1924م).

- ريسلر, جاك:

56- الحضارة العربية , تعريب خليل احمد خليل , منشورات عويدات, (باريس 1993م).

- الزركلي, خير الدين:

147- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشـــرقين)، ط15، دار العلم للملايين، (بيروت 2002م)..

◈ زكي , محمد حسن:
56- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى, دار الرائد العربي, (لبنان 1981م).

◈ زيغرد ، هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في اوربا)، نقلـه عن الالمانية فاروق بيضون، كمال الدسوقي، تحقيـق مـارون عيسـى الخـوري، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (لا . م 1964م).

◈ زيدان , جرجي:
57- تاريخ مصر الحديث, تحقيق نظير عبود, دار الجيل, (لبنان 1984م).

◈ سرور, محمد جمال الدين:
58- الدولة الفاطمية في مصر سياستها ومظاهرهـا الحضـارية, مكتبـة النهضـة المصرية, (القاهرة لا.ت).
59- سياسة الفاطميين الخارجية, (القاهرة 1973م).
60- النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعـد الهجـرة, ط3, دار الفكر العربي, (بيروت 1964م).

◈ سزكين , فؤاد:
61- تاريخ التراث العربي, نقله الى العربية عرفه مصطفى, مراجعة محمود فهمـي مجازي وسعيد عبد الرحيم, اعاد صنع الفهارس عبد الفتاح محمـد الحلـو, ادارة الثقافة والنشر, (الرياض 1991م) .

◈ سعد , احمد صادق:
62- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي (مصر الفرعونيـة_الهيلينيـة_الامبراطوريـة الاسلامية الفاطمية في المغرب الى مصر_عهد المماليك, دار ابن خلـدون, (بيـروت 1979م).

◈ سلام, محمد زغلول:
63- الادب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتاب), منشـاة المعـارف, (الاسـكندرية لا.ت).

◈ سلطان, عبد المنعم عبد الحميد:
64- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي (دراسة تاريخيـة وثائقيـة), دار الثقافـة العلمية, (الاسكندرية 1990م)

◆ سليمان , صبحي:
65- موسوعة المدن العربية, مكتبة الايمان, (المنصورة 2006م).

◆ سيد , أيمن فؤاد:
66- الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد), الدار المصـــرية اللبنانيـــة , (القـــاهرة 1992م).

◆ سيمينوفا:
67- الدولة الفاطمية (ابحاث ودراسات), تحقيق وترجمة حســن بيــومي, المجلــس الاعلى للثقافة, (القاهرة 2000م).

◆ شلبي , احمد:
68- تاريخ التربية الاســـلامية, دار الكشـــاف للنشـــر والطباعـــة والتوزيـــع, (لا.م 1954م).

◆ الشوربجي, امينة احمد امام:
69- رؤية الرحالة المسلمين للاحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1994م).

◆ الشيال, جمال الدين:
70- تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربي الـــى نهايـــة العصـــر الفـــاطمي, دار المعارف, (الاسكندرية 1967م).

◆ الشيرازي , ناصر مكارم

71- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل, ط2, الاميرة للطباعة والنشر, (بيـــروت 2009م).

◆ الصالح, صبحي:
72- النظم الاسلامية نشاتها وتطورها, ط4, دار العلم للملايين, (بيروت 1987م).

◆ الصالح, محمد بن احمد بن صالح:
73- المسجد جامع وجامعة, مكتبة الملك فهد الوطنية, (الرياض 2000م).

- الصاوي, احمد السيد:
74- مجاعات مصر الفاطمية, دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع, (بيروت 1988م).

- الطباطبائي, محمد حسين:
75- الميزان في تفسير القران, منشورات الاعلمي للمطبوعات, (بيروت 1997م).

- طقوش, محمد سهيل:
76- تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام, ط2, دار النفائس, (بيروت 2007م).

- عابدين, عبد المجيد:
- القبائل العربية في اقليم مصر, ملحق بكتاب المقريزي "البيان والاعراب" عما في ارض مصر من الاعراب, تحقيق عبد المجيد عابدين, (القاهرة 1969م)
- عاشور, سعيد عبد الفتاح:
77- تاريخ الحضارة الاسلامية, ذات السلاسل, (الكويت 1986م) .
78- المجتمع المصري, عصر سلاطين المماليك, دار النهضة العربية, (القاهرة لا.ت).

- عامر, فاطمة مصطفى:
79- تاريخ اهل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي), الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة 1999م).

- العبادي, احمد مختار:
80- في التاريخ العباسي والفاطمي, دار النهضة العربية, بيروت, لا.ت.

- عبد الكريم , نريمان:
81- المراة في مصر في العصر الفاطمي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (لا.م 1993م).

- عبد الله, عبد الرحمن صالح:
82- تاريخ التعليم في مكة المكرمة, دار الفكر, (بيروت لا.ت).

◆ عبد المنعم, صبحي:
83- تاريخ مصر السياسي والحضاري(من الفتح الاسلامي حتى عهـد الايـوبيين), العربي للنشر والتوزيع, (القاهرة لا.ت).

◆ عبد الوهاب، حسن حسني:
84- ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا، مطبعة المنار، (تونس 1966م).

◆ عبد الوهاب, حسن:
85- تاريخ المساجد الاثرية, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1946م).

◆ عبدالوهاب، محمد (ت 1206هـ): مختصر سيرة الرسول، تحقيق: محمد حامد الفقـي، مطبعة السنَّة المحمدية، (القاهرة 1956م).

◆ عريم, عبد الجبار:
86- فن الخدمات الاجتماعية , مطبعة المعارف, (بغداد 1968م).

◆ عزب, خالد:
87- الفسطاط النشاة والازدهار, دار الافاق العربية, (القاهرة 1998م).

◆ عطا الله, خضر احمد:
88- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفـاطمي, دار الفكـر العربـي, (القـاهرة لا.ت).

◆ عطية الله, احمد:
89- القاموس الاسلامي, مطبعة المعرفة, (القاهرة 1963م).

◆ العقاد, عباس محمود:
90- فاطمة الزهراء والفاطميون, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيـع, (القـاهرة لا.ت).

◆ عكاشة, ثروت:
91- القيم الجمالية في العمارة الاسلامية, دار الشروق, (القاهرة 1977م).

◆ علي, سيد أمير:
92- مختصر تاريخ العرب, نقله الى العربية عفيف البعلبكي, دار العلم للملايين, (بيروت 1961م).

◆ عليان, ربحي مصطفى:
93- المكتبات في الحضارة العربية الاسلامية, دار صفا للنشر والتوزيع, (عمان 1991م).

◆ عمارة , محمد:
94- عندما اصبحت مصر عربية(دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي), المؤسسة العربية للدراسات والنشر, (بيروت 1974م).

◆ عمر, احمد مختار:
95- معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, (القاهرة 2008م).

◆ العميد, طاهر مظفر:
96- تخطيط المدن العربية الاسلامية, مطبعة جامعة بغداد, (بغداد 1986م).

◆ عنان, محمد عبد الله:
97- الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية, دار النشر الحديث, (القاهرة لا.ت).
98- تاريخ الجامع الازهر في العصر الفاطمي, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, (القاهرة 1942م).
99- مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية, مطبعة دار الكتب المصرية, (القاهرة 1931م).

◆ عيسى بك, احمد:
100- تاريخ البيمارستانات في الاسلام, المطبعة الهاشمية, (دمشق 1933م).

◆ عمران, يحيى:
101- النظم والاحكام في جميع الاسواق, (تونس 1975م).

◈ فكري, احمد:
102- مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الفاطمي), دار المعارف, (مصر 1965م).

◈ فهمي, عبد الرحمن محمد:
103- النقود العربية ماضيها وحاضرها, وزارة الثقافة والارشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة للطباعة, (القاهرة 1964م).

◈ فوزي, فاروق عمر ومفيد محمد نوري:
104- النظم الاسلامية (دراسة تاريخية), دار الحكمة, (بغداد 1987م).

◈ فياض, عبد الله:
105- محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية , مطبعة الارشاد, (بغداد 1967م).

◈ القاضي , خالد عبد الرحمن:
106- الحياة العلمية في مصر الفاطمية, الدار العربية للموسوعات, (بيروت 2008م).

◈ القرشي, باقر شريف:
107- حقوق العامل في الاسلام, دار التعارف للمطبوعات, (بيروت لا.ت).

◈ القصير, عبد اللطيف:
108- الادارة العامة (المنظور السياسي) مراجعة خليل الشماع, جامعة بغداد, (بغداد 1980م).

◈ كركوكي, محمد مهري:
109- رحلة مصر والسودان, مطبعة الهلال, (مصر 1914م).

◈ الكروي, إبراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين:
110- المرجع في الحضارة العربية الاسلامية, ط2, منشورات ذات السلاسل, (الكويت 1987م).

◆ لجنة اللغة العربية :
111- الفاظ حضارية, تحرير وداد محمد فاضل, مراجعة احمد مطلوب, منشورات المجمع العلمي, (بغداد 1998م).

◆ لوبون, غوستاف:
112- حضارة العرب, ترجمة عادل زعيتر, ط3, (القاهرة 1956م).

◆ ماجد, عبد المنعم:
113- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر, التاريخ السياسي, دار المعارف, (الاسكندرية 1968م).
114- الحاكم بامر الله الخليفة المفترى عليه, مكتبة الانجلو المصرية, (مصر 1959م).
115- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر(دراسة شاملة لنظم العصر الفاطمي ورسومه), مكتبة الانجلو المصرية, (مصر 1955م).
116- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية, ط2, (الكويت 1968م).

◆ مالكي, سليمان عبد الغني:
117- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الاراضي المقدسة, مطبوعات دار الملك عبد العزيز, (الرياض 1987م).

◆ مبارك, علي باشا:
118- الخطط التوفيقية, مصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة, المطبعة الكبرى الاميرية, بولاق, (مصر 1306ه).

◆ متز, ادم
119- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري, نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريد, ط4, (لا.م 1967م).

◆ محمد , رضا:
120- الفاروق عمر بن الخطاب ثاني, دار الكتب العلمية, ط2, (بيروت 1980م).

◆ محمد , سعاد ماهر:
121- الازهر اثر وثقافة, دراسات في الاسلام يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية, وزارة الاوقاف, يشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة, (لا.م 1963م).

122- مساجد مصر واؤلياها الصالحون, المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية, جمهورية مصر العربية, يشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة, (لا.م 1971م).

◆ محمد , سعاد ماهر وآخرون:
123- اهل البيت في مصر, اعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي, الهدف للاعلام, (القاهرة 2001م).

◆ محمود , سلام شافعي:
124- اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الاول, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1995م .

◆ محمود , ميرزا بشير الدين:
125- نظام الاقتصاد في الاسلام, تعريب مبارك احمد ملك, مطبوعات التبشير, (ربوه باكستان لا.ت).

◆ مرجان, زينب فاضل رزوقي:
126- احوال مصر الادارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير العربي حتى نهاية العصر الراشدي, بيت الحكمة, (بغداد 2003م).

◆ مرزوق, محمد عبد العزيز:
127- الفن الاسلامي(تاريخه وخصائصه), مطبعة أسعد, بغداد, 1965م.

◆ مشرفة, عطية مصطفى:
128- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين, دار الفكر العربي, (مصر لا.ت).
◆ مصطفى , شاكر:
128- المدن في الاسلام حتى العصر العثماني, ذات السلاسل, (الكويت 1988م).

◆ مصطفى, محمود:
129- الادب في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الاموي, قدم له شوقي ضيف, دار الكتاب العربي, (القاهرة 1967م).

◆ المعاضيدي, عبد القادر:
130- واسط في العصر الاموي, دار الحرية للطباعة, (بغداد 1976م).

◆ معروف , ناجي:
131- اصالة الحضارة العربية, ط3, دار الثقافة, (بيروت 1975م).

◆ مغنية , محمد جواد:
132- من هنا وهناك, مؤسسة الاعلمي, (بيروت 1388ه).

◆ المناوي, محمد حمدي:
133- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي, دار المعارف,(مصر لا.ت).

◆ مؤنس, حسين:
134- المساجد , (الكويت 1981م).

◆ المناوي, محمد عبد الرؤوف:
135- التوقيف على مهمات التعاريف, تحقيق محمــد رضــوان الدايــة, دار الفكــر المعاصر, (بيروت 1410هــ).

◆ الناطور, شحادة وآخرون:
136- الخلافة الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري, دار الثقافة, دار الامل, (الاردن 1990م).

◆ النبراوي , فتحية:
137- تاريخ النظم والحضارة الاسلامية,دار المعارف,(القاهرة 2008م).

◆ هوبكنز , ج ف ب:
138- النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى, تعريب أمين توفيق, الشركة الجديدة للطباعة والصحافة والنشر, 1980م.

◆ الياور , طلعت:
139- العمارة العربية الاسلامية في مصر, (جامعة بغداد 1989م) .

ثالثاً:الدوريات (البحوث المنشورة):

- الأمين, حسين: الدولة الفاطمية, بحث منشور في مجلة الموسم, العـــددان 69-70, هولنـــدا, السنة 2008م.
- الترمانيتي, عبد السلام: مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية, بحث منشور في مجلـــة الثقافـــة والتراث, العدد 40لسنة 1994م.
- الخربوطلي: علي حسني: الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة, بحث منشـــور فـــي مجلـــة الموسم, العددان69و70, هولندا, السنة 2008م.
- الساعدي, ثامر لفته حسن:

1- عناصر السكان في مصر الفاطمية والعلاقة بينهم, بحث منشور في مجلة الاستاذ, جامعـــة بغداد/كلية التربية- ابن رشد, العدد 96, لسنة 2009م.

- طرخان, ابراهيم علي: غانة في العصور الوسطى, بحث منشـــور فـــي المجلـــة التاريخيـــة المصرية, العدد 13 لسنة 1967م.
- عيسى, احمد محمد:
  بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية, القاهرة لسنة 1956م.
- الغيطاني, جمال: صاحب هذا المكان الحاكم بأمر الله الفاطمي, بحث منشور في مجلة الموسم, العددان69و70, هولندا, السنة 2008م.
- كشاش , محمد: في تراثنا العربي الإسلامي, بحث منشور في مجلة التراث العربي, العدد 68 لسنة 1997م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- الخزاعي, حوراء حسون شاكر: الاسماعيلية بين الدعوة والدولة حتى عهد الحـــاكم بـــأمر الله الفاطمي, رسالة ماجستير غير منشورة, (كلية الاداب/جامعة الكوفة 2011م)
- الذهبي: ريم هادي: تجارة مصر خلال العصر الفاطمي, رسالة ماجستير غير منشورة، كليـــة التربية للبنات، (بغداد 2008م)
- الساعدي, ثامر لفتة: النظام المالي في مصر (اطروحة دكتوراه) غير منشورة , كلية التربيـــة/ جامعة بغداد, (بغداد 2007م)
- كباشي, غنية ياسر: المكونات الثقافية في الدولة الفاطميـــة(297-567هـــ/909-1171م), اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية/جامعة بغداد, (بغداد 2007م).

خامساً:المصادر الاجنبية:-

1- Goitein , S.D.A: Mediterranean society , the Jewish communities of arab world as portrayed in the Documents of the cairo Geniza .

2- Heyd , w.histoire du compeered Levant au moyon_age(2voli , Leipzig 1923).